

طبقات فحول الشعراء

ابن سلام الجمحي

To PDF: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد قال: قرئ على القاضي وهو الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة، قال محمد بن سلام الجمحي.

ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرفها وأيامها إذا كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجمله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر.

وفي الشعر مفعول مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف. وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي. وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه.

وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تتقنه العين، ومنها ما تتقنه الأذن، ومنها ما تتقنه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعايينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعايينة، فيعرف بمرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده، مع تشابه لونه ومسه وذرعه، حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذي خرج منه وكذلك بصر الرقيق، فتوصف الجارية فيقال: ناصعة اللون، جيدة الشطب، نقية الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، ظريفة اللسان، واردة الشعر، فتكون في هذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر، ولا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة، وتوصف الدابة فيقال: خفيف العنان، لين الظهر، شديد الحافر فتى السن، نقى من العيوب، فيكون بخمسين دينار أو نحوها، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر، وتكون هذه صفتها.

ويقال للرجل والمرأة، في القراءة والغناء: إنه لندى الحلق، طل الصوت، طويل النفس مصيب للحن ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعايينة والاستماع له، بلا صفة

ينتهي إليها، ولا علم يوقف عليه. وإن كثرة المدارس لتعدي علي العلم به. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به.

قال محمد: قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول: بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى؟ قال له: هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه؟ قال: نعم. قال أفتعلم في الناس من هو أعلم في الشعر منك؟ قال: نعم. قال فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت.

وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك. قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء! فهل ينفعك استحسانك إياه؟ وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غناء منه، محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقى مولى آل مخزومة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف السنين، والله تبارك وتعالى يقول: "فقطع دابر القوم الذين ظلموا" "سورة الأنعام: 45" أي لا بقية لهم، وقال أيضاً: "وأنه أهلك عادا الأولى، وثمود فما أبقى" "سورة النجم: 51، 50"، وقال في عاد "فهل ترى لهم من باقية" "سورة الحاقة: 8" وقال: "ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" "سورة إبراهيم: 9".

وقال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية، ونسي لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما. أخبرني مسمع بن عبد الملك، أنه سمع محمد بن علي يقول قال أبو عبد الله بن سلام: لا أدري أرفعه أم لا، وأظنه قد رفعه أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل ابن إبراهيم صلوات الله عليهما. وأخبرني يونس، عن أبي عمرو بن العلاء قال: العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمير وبقايا جرهم. وكذلك يروى أن إسماعيل ابن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي صلى الله عليه، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا. لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان، اقتصروا على معد. ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد بن ربيعة الكلابي في بيت واحد قاله، قال:

فإن لم تجد من دون عدنان والدًا

ودون معد فلتزكك العواذل

وقد روى لعباس بن مرداس السلمى بيت في عدنان قال:

وعك بن عدنان الذين تلعبوا

بمذحج حتى طردوا كل مطرد

والبيت مريب عند أبي عبد الله فما فوق عدنان، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربي قط. وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران بن عمران صلى الله عليه، أو قبله قليلاً وبين موسى وعاد وثمود، الدهر الطويل والأمد البعيد.

فحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً، فكيف بعاد وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يرو قط عربي منها بيتاً واحداً، ولا رواية للشعر، مع ضعف أسره وقلة طلاوته.

وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما علي عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم.

وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية. وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها: أبو الأسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندل بن يعمر بن نفثة بن حلس بن ثعلبة بن ثعلبة بن عدى بن الدئل، وكان رجل أهل البصرة، وكان علوي الرأي وكان يونس يقول: هم ثلاثة الدول، من حنيفة ساكنه الواو، والدليل: في عبد القيس، والدئل: في كنانة، رهط أبي الأسود وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب، فغلبت السليقية، ولم تكن نحوية، فكان سراة الناس يلحنون، ووجوه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

وكان ممن أخذ عنه يحيى بن يعمر، وهو رجل من عدوان، وعداده في بني ليث، وكان مأموناً عالماً يروى عنه الفقه. روى عن ابن عمرو، وابن عباس، وروى عنه قتاده، وإسحاق بن سويد، وغيرهما من العلماء، وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقرن، وعنيسة الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وغيرهم.

قال ابن سلام: أخبرني يونس بن حبيب، قال الحجاج لابن يعمر: أتسمعي ألحن؟ قال: الأمير أفصح الناس قال يونس وكذلك كان ولم يكن صاحب شعر قال: تسمعي ألحن؟ قال: حرفاً. قال: أين؟ قال: في القرآن. قال ذلك أشنع له! فما هو؟ قال: تقول: "قل إن كان أبأؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله"

"سورة التوبة: 24"، قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسي ما ابتداء به. والوجه أن يقرأ: "أحب إليكم" بالنصب، على خير كان وفعلها. قال: وأخبرني يونس قال: قال له: لا جرم، لا تسمع لي لحناً أبداً. قال يونس: فألقه بحراسان، وعليها يزيد بن المهلب فأخبرني أبي قال: كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج: إنا لقينا العدو ففعلنا، واضطربناهم إلى "عرعة الجبل" فقال الحجاج: ما لابن المهلب ولهذا الكلام؟ فقييل له: إن ابن يعمر هناك. فقال: فذاك إذا! ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل. وكان معه أبو عمرو ابن العلاء، وبقي بعده بقاء طويلاً وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها.

وكان بلال بن أبي بردة جمع بينهما بالبصرة وهو يومئذ وال عليها، ولاه خالد بن عبد الله القسري، زمان هشام بن عبد الملك قال أبو عبد الله، قال يونس، قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز يومئذ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه.

وكان عيسى بن عمر أخذ عن ابن أبي إسحاق، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء، وكان معهما مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري، وكان ابن أبي إسحاق خاله، وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه.

وسمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه قال: هو والنحو سواء أي هو الغاية. قال: فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ، لضحك به، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرهم، كان أعلم الناس.

قال: وقلت ليونس: هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟ قال: قلت له: هل يقول أحد الصويق؟ يعني السويق. قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس. وسمعت يونس يقول: لو كان أحد انبغى أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد، كان انبغى لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك. قال: فأخذ على الفرزدق شيء في شعره فقال: أين هذا الذي يجر في المسجد خصييه ولا يصلحه؟ يعني ابن أبي إسحاق.

أخبرني يونس: أن أبا عمرو كان أشد تسليمًا للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهما. كان عيسى يقول: أساء النابغة في قوله حيث يقول:

فبت كأنبي ساورتني ضئيلة

الرقش في أنيابها السم نافع

يقول: موضعها "ناقعاً". وكان يختار السم والشهد، وهي علوية.

وأخبرني يونس، أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك:

مستقبلين شمال الشأم تضربنا

بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائنا يلقي وأرحلنا

على زواحف تزجي، مخها رير

قال ابن أبي إسحاق: أسأت، إنما هي رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع. وقال يونس: والذي قال حسن جائر. فلما ألحوا على الفرزدق قال: "على زواحف نزجها محاسير". قال: ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول.

وكان يكثر الرد على الفرزدق، فقال فيه الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته

ولكن عبد الله مولى مواليا

رد اليباء على الأصل. وهي أبيات، ولو كان هذا البيت وحده تركه ساكناً.

وكان مولى آل الحضرمي، وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف. والحليف عند العرب مولى، من ذلك قول الراعي، يريد به غنياً، وهم حلفاؤهم:

جزى الله مولانا غنياً ملامة

شرار موالى عامر في العزائم

وقال الأخطل:

أتشتتم قوماً أتلوك بنهشل

ولولا هم كنتم كعكل موالياً؟

يعنى حلف الرباب لسعد، وإنما قالها لجرير.

وقال الكلبي يحضض عذرة على فزارة:

وأشجع إن لاقيتموهم فإنهم

لذبيان مولى في الحروب وناصر

وكان عيسى بن عمر إذا اختلف العرب نزع إلى النصب.

كان عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق يقرآن: "يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين" "سورة الأنعام: 27". وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس، يرفعون: نرد، ونكذب، ونكون. قلت لسيبويه: كيف الوجه عندك؟ قال الرفع. قلت: فالذين قرأوا بالنصب؟ قال: سمعوا قراءة ابن أبي إسحاق فاتبعوه.

وكان عيسى بن عمر يقرأ: "الزانية والزاني" "سورة النور: 2"، "والسارق والسارقة" "سورة المائدة: 38" وكان ينشد:

يا عديا لقلبك المهتاج

وكان يقرأ: "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم" سورة هود: 78" فقال له أبو عمرو بن العلاء: هؤلاء بني هم ماذا؟ فقال: عشرين رجلا. فأنكرها أبو عمرو.

وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن: "يا جبال أوبي معه والطير" سورة سبأ: 11"، ويختلفان في التأويل. كان عيسى يقول: على النداء، كقولك: "يا زيد والحارث" لما لم يمكنه: "يا زيد يا الحارث". وكان أبو عمرو يقول: لو كانت على النداء لكانت رفعاً ولكنها على إضمار: وسخرنا الطير، كقوله على إثر هذا: "ولسليمان الريح" سورة سبأ: 12"، أي سخرنا الريح. وقال يونس: قال ابن أبي إسحق في بيت الفرزدق:

و عض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحنا أو مجرف

ويروى أيضاً: مجلف، المحرف: الذي تجرفته السنة وقشرته، والمجلف: الذي صيرته جلفاً، للرفع وجه. قال أبو عمرو: ولا أعرف لها وجهاً. وكان يونس لا يعرف لها وجهاً. قلت ليونس: لعل الفرزدق قالها على النصب، ولم يأبه؟ فقال: لا، كان ينشدها على الرفع. وأنشدنيها رؤية على الرفع. وتقول العرب: سحته وأسحته، يقرأ بهما في القرآن جميعاً، فمن قرأ "فيسحتكم بعداب" سورة طه: 61"، فهو من أسحت يسحت فهو مسحت، وهي التي قال الفرزدق. ومن قرأ: "فيسحتكم"، فهو من سحت يسحت فهو مسحوت.

وأخبرني الحارث البناني، أخو أبي الجحاف، أنه سمع الفرزدق ينشد:

فيا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباهها نهشل أو مجاشع

كأنه جعله غاية فخفض.

ثم كان الخليل بن أحمد: وهو رجل من الأزدي، من فراهيد يقال هذا رجل فراهيدي، ويونس يقول: فراهودي، مثل فردوسي فاستخرج من العروض، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم.

رجع إلى قول الشعراء، وإلى قول العلماء فيه. ولكل من ذكرنا قول فيه.

قال: فنقلنا ذلك إلى خلف بن حيان أبي محرز، وهو خلف الأحمر، اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر، وأصدق له لساناً. كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً، أو أنشدنا شعراً، أن لا نسمعه من صاحبه. وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم. وأعلم من ورد علينا من أهل البصرة: المفضل بن محمد الضبي

الكوفي.

فصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فترلناهم منازلهم، واحتجنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء. وقد اختلف الناس والرواة فيهم. فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنفاذ في كلام العرب، والعلم بالعربية، إذا اختلف الرواة فقالوا بأرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم. فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة، متكافئين معتدلين. وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون. قال ابن سلام: قال ابن عون، عن ابن سيرين، قال: قال عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه".

فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعو رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير. وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بني مروان أو صار منه.

قال يونس بن حبيب: قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير.

ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي منه بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر. وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كان ما يروى من الغناء لهما، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذلك فلما قل كلامهما، حمل عليهما حمل كثير.

ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف. وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.

فمن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم وكان جاور في بهراء، فراه ريب فقال:

و النأي في بهراء واغترابها

قد رابني من دلوي اضطرابها

إن لا تجئ ملأى يجئ قرابها

وقد قال قوم إنه كان من بهراء فجاور عمرو بن تميم، وأنه قال:

والنأي عن بهراء واغترابها

قد رابني من دلوي اضطرابها

ولا نرى ذلك كما قالوا، بلا هو كما ذكر: العنبر بن تميم. وكان على عائشة محرر من ولد إسماعيل، فلما قدم سبي العنبر أمرها رسول الله صلى الله عليه أن تعتق منهم، وهم أصحاب الحجرات. أخبرني أبو محرز واصل بن شبيب المنافي، قال: كان سعد ومالك ابني زيد مناة بن تميم، فكان سعدا أسودهما، وكان مالك ترعية يعزب في الإبل، وأمهما: مفداة بنت ثعلبة بن دودان بن أسد، وخالتهما: مناة بنت ثعلبة، أم ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أبي شيبان وقيس وذهل وتيم، وهو الحصن.

وقال أبو محرز: زار ثعلبة ابنته وهي حامل بسعد، فمخضت ليلاً، فاستحيت من أبيها وزوجها، فخرجت، فأعجلها الولاد، فطرقت على قرية نمل. فأدركها أبوها، وزجر، فقال: لئن صدقت الطير، ليملأن ابنك هذا الأرض من ولده.

قال أبو محرز: فتزوج مالك بن زيد مناة، النور بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد وهم عدى وتيم، ويقال لتيم: تيم عدى، وهما من الرباب، وكانت امرأة زولة جزلة.

فلما اهتداها مالك، خرج سعد في الإبل فعزب فيها ثم أوردتها لظمئها، ومالك في صفرة، وكان عروساً فأراد القيام، فمنعه امرأته من القيام، فجعل سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق، فقال:

وهي خناطيل تجوس الخضرا

يظل يوم وردها مزعفرا

فقلت النوار لمالك: ألا تسمع ما يقول أخوك؟ أجبه. قال: وما أقول؟ قالت: قل:

ما هكذا تورديا سعد الإبل

أوردتها سعد وسعد مشتمل

فولدت حنظلة الأغر، وفيه بيت تميم وشرفها. وقال حنظلة: ولدت لمالك وولد لي مالك. وقال جرير لعمر بن لجأ:

مفداة المباركة الولود

فلم تلدوا النور، ولم تلد كم

ومما يروى من قدم الشعر قول دويد بن زيد بن نهد، قال حين حضره الموت:

لو كان للدهر بلى أبلبته

اليوم يبني لدويد بيته

أو كان قرني واحداً كفيته

يا رب نهب صالح حويته

ورب غيل حسن لويته

ومعصم مخضب ثنيتيه

وقال أيضاً: ألقى على الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا يصلحه اليوم ويفسده غدا قال:
وأوصى بنيه عند موته فقال: أوصيكم بالناس شراً، لا تقبلوا لهم معذرة، ولا تقيلوهم عثرة.
وقال أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، وهو منه أبو باهلة وغني والطفافة:

قالت عميرة: ما لرأسك بعدما

نفد الزمان أتى بلون منكر

أعمير إن أباك شيب رأسه

كر الليالي واختلاف الأعصر

فيهذا البيت سمي أعصر، وقد يقول قوم: يعصر، وليس بشيء.

ومنهم المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم كان قديماً، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وازددت من عدد السنن مئينا

مئة أتت من بعدها مئتان لي

وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقا إلا كما قد فاتنا

يوم يكر وليلة تحذونا

قوله بقا: يريد بقي، وفنا: يريد فني، وهما لغتان لطبي. وقد تكلمت بهما العرب، وهما في لغة طيء أكثر،
قال زهير بن أبي سلمى:

تربّع صارة حتى إذا ما

فنا الدحلان عنه والإضاء

أنشدنيها يونس. وأنشدني له عبد الله بن ميمون المرئي:

إذا ما المرء صم فلم يُناجي

وأودى سمه إلا ندائيا

ولاعب بالعشي بني بنيه،

كفعل الهر يحترش العظايا

يلاعبهم، وودوا لو سقوه

من الذيفان مترعة ملايا

فلا ذاق النعيم ولا شرابا

ولا يسقي من المرض الشفايا

ومنهم زهير بن جناب الكلبي، كان قديماً شريف الولد، وطال عمره فقال:

أبني إن أهلك فإني

قد بنيت لكم بنيه

وجعلتكم أبناء سا

دات زنادكم وريه

من كل ما نال الفتى

قد نلته، إلا التحيه

كم من محيي لا يوا

زيني، ولا يهب الرعيه

فِ تَوْقَدُ فِي طَمِيهِ
وَجَنَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّهِ
الطَّرْفَيْنِ لَمْ يَغْمَزِ شَطِيهِ
نِ مَعاً وَمِنْ حُمْرِ الْقَفِيهِ
غَيْرِ الضَّعِيفِ وَلَا الْعِيهِ
وَلِيَهْلِكَنَّ وَبِهِ بَقِيهِ
لَ، وَقَدْ يُهَادَى بِالْعَشِيهِ

وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ لِلسَّلَا
وَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَازِلَ ال
وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفِ
فَأَصَبْتُ مِنْ حُمْرِ الْقَنَا
وَنَطَقْتُ خُطْبَةً مَاجِدِ
وَالْمَوْتَ خَيْرٌ لِلْفَتَى
مَنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ الْبَجَا

وقال جذيمة الأبرش:

تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ
مِنْ كِلَالِ غَزْوَةِ مَاتُوا
نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا

رُبَّمَا أُوفِيْتُ فِي عِلْمِ
فِي فُنُو أَنَا رَابُتُهُمْ،
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمْ؟

وقال امرؤ القيس:

نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنَ حِزَامِ

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعْنَا

وهو رجل من طيئ لم نسمع شعره الذي بكى فيه، ولا شعراً غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس. وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل، قتلته بنو شيبان، وكان اسم المهلهل عدياً، وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، وهو اضطرابه واختلافه، ومن ذلك قول النابغة:

وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّسَجِ كَاذِبِ

وزعمت العرب أنه كان يدعى في شعره، ويتكرر في قوله بأكثر من فعله. وكان شعراء الجاهلية في ربيعة: أولهم المهلهل، والمرقشان، وسعد بن مالك، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة، والمتلمس، والأعشى، والمسيب بن علس. ثم تحول الشعر في قيس، فمنهم: النابغة الذبياني وهم يعدون زهير بن أبي سلمى من عبد الله بن غطفان، وابنه كعباً ولييد، والنابغة الجعدي، والحطيئة، والشماخ، وأخوه مزرد، وخداس بن زهير، ثم آل ذلك إلى تميم، فلم يزل فيهم إلى اليوم.

كان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل، ومهلهل خاله، وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس، في عصر واحد.

فكان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء يقال: يتهكم ويتهكم. قال الفضل: ويقال: ليلة بكرة، إذا كان قمرها مضيئاً ومنهم من كان يعنى على نفسه ويتعهر. منهم امرؤ القيس، قال:

وَمَلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعِ
فَأَلَيْتُهَا عَنِ ذِي تَمَائِمِ مُحُولِ

وقال:

دَخَلْتُ وَقَدْ أَلَقْتُ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا
لَدَى السِّتْرِ، إِلَّا لِبَيْسَةِ الْمُتَفَضِّلِ

وقال:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

ومنهم الأعشى، قال:

ظَلَلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحْوِطُهَا،
حَتَّى دَنَوْتُ إِذِ الظَّلَامُ دَنَالَهَا

وقال:

وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِيَا
تِ، إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أُرْنَ

وقال:

وَقَدْ أَخْرَجَ الْكَاعِبَ الْمُسْتَرَا
ةً مِنْ خَدْرِهَا، وَأَشْبَعِ الْقِمَارَا

وقال:

وَرَادِعَةَ بِالطَّيِّبِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا
لِجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَقْتَقُ

وقال:

وَقَدْ أَخَالَسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفَلَتُهُ،
وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي، ثُمَّ مَا يَبْلُ

وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن قال:

هُمَا دَلْتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
كَمَا انْقَضَ بَارِزِ أَقْتَمِ الرَّيْشِ كَاسِرُهُ

فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَتَا
أَحْيَا يُرْجَى، أَمْ قَتِيلًا نَحَاذِرُهُ

فَقُلْتُ: ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَفْطَنُوا بِنَا!
وَوَلَّيْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلِ أَبَادِرُهُ

وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسِ، وَأَصْبَحْتُ
مُغْلَقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَا كَرُهُ

قالها وهو بالمدينة، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم وهو وال على المدينة، فأجله ثلاثاً، ثم أخرجها عنها.

قال، وقال يونس: كان للفرزدق غلامان، أحدهما اسمه وقاع والآخر نقطة ولوقاع يقول الفرزدق:

تَغَلَّغَ وَقَاعٌ إِلَيْهَا، فَأَصْبَحَتْ
لَطِيفٌ، إِذَا مَا انْغَلَّ أَدْرَكَ مَا ابْتَغَى،
تخوضُ خُدَارِيَا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا
إِذَا هُوَ لِلظَّبِيِّ الْغَرِيرِ تَقْتَرَا

وقال أيضاً:

فَأَبْلَغَهُنَّ وَحْيَ الْقَوْلِ عَنِّي
أُسَيْدٌ ذُو خَرِيْطَةٍ نَهَارًا،
وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ تَحْتَ الْقِرَامِ
فَقَلْنَ لَهُ: نَوَاعِدُكَ النَّرِيَا
مِنَ الْمُتَلَقِّطِي قَرَدِ الْقِمَامِ
ثَلَاثٌ وَانْتِنَانٌ، فَهِنَّ خَمْسٌ
وَذَاكَ إِلَيْهِ مُجْتَمَعُ الزَّحَامِ
وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى الشَّمَامِ

الشَّمَامُ: المشامَّةُ.

فَبِتْنَ بِجَانِبِي مُصْرَعَاتٍ
وَبِتَّ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ

وكان حرير مع إفراطه في الهجاء، يعف عن ذكر النساء، كان لا يشيب إلا بامرأة يملكها.

قال ابن سلام: فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت. وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال.

قال ابن سلام: أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فتزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته، فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يجتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها فلما توالى لك علمنا أنه يفتعله.

وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار.

قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها،

فقال: أما أطرفتي شيئاً! فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى، قال: ويحك!
بمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة؟! ولكن دعها تذهب في الناس.
قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفي قال: كان حماد لي صديقاً ملطفاً،
فعرض علي ما قبله يوماً، فقلت له: أمل على قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك، لطرفة، فأملى علي:

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلَةً وَلِذَاكَ زُمَّتْ غُدُوَّةَ إِبِلُهُ

عَهْدِي بِهِمْ فِي النَّقَبِ قَدْ سَنَدُوا تَهْدِي صَعَابَ مَطِيَّهِمْ ذُلُّهُ

وهي لأعشى همدان.

وسمعت يونس يقول: العجب ممن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر.
ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عن مضي من أهل العلم إلى رهط أربعة، اجتمعوا على أنهم
أشعر العرب طبقة، ثم اختلفوا فيهم بعد. وسنسوق اختلافهم واتفاقهم، ونسمي الأربعة، ونذكر الحجة
لكل واحد منهم وليس تبدئنا أحدهم في الكتاب نحكم له، ولا بد من مبتدأ ونذكر من شعرهم الأبيات
التي تكون في الحديث والمعنى.

طبقات الشعراء الجاهليين

الطبقة الأولى

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة.

ونابغة بني ذبيان، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ويكنى أبا أمامة.

وزهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة.

والأعشى، وهو ميمون بن يس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ويكنى أبا بصير.

أخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة.

وأخبرني يونس كالمتعجب: أن ابن أبي إسحاق كان يقول: أشعر أهل الجاهلية مرقش، وأشعر أهل الإسلام كثير. ولم يقبل هذا القول ولم يشيع.

وأخبرني شعيب بن صخر، عن هارون بن إبراهيم، قال: سمعت قائلاً يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس. قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم

وبالأشقين ما كان العقابُ

وأفلتتْ علباءُ جريضاً

ولو أدركته صفر الوطاب

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: سمعت رجلاً يسأل يونس عن قوله: صفر الوطاب، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله، فصفرت وطابه من اللبن. وقال غيره: صفر الوطاب، أي أنه كان يقتل، فيكون جسمه صفراً من دمه، كما يكون الوطاب صفراً من اللبن.

وأخبرني شعيب بن صخر، قال: سمعت عيسى بن عمر ينشد عامر بن عبد الملك لزهير أو النابغة، فقال: يا أبا عبد الله، هذا والله لأقول الأعشى:

لسنا نقاتلُ بالعِصِيّ

ولا نُرَامي بالحجارهَط

وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: مر لبيد بالكوفة في بني همد، فأتبعوه رسولاً سؤولاً يسئله: من أشعر الناس؟ قال: الملك الضليل فأعادوه إليه، قال: ثم من؟ قال الغلام القتيل وقال غير أبان: ابن العشرين، يعني طرفة قال: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه فهذان امرؤ القيس وطرفة. قال يونس: كل شيء في القرآن: فأتبعه، أي طالبه وأتبعه، يتلوه.

فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها، واستحسنها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالطباء وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى. كان أحسن أهل طبقتة تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة. وقال من احتج للنابعة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلم بيتاً، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق يتخير الكلام وإنما نبغ بالشعر بعدما أسن واحتتك، وهلك قبل أن يهتر. ويروى أن عمر بن الخطاب قال: أي شعرائكم يقول:

فلست بمستبِقٍ أخاً لا نلّمه

إلى شعثٍ، أي الرجال المهذب؟

قالوا: النابعة. قال: هو أشعرهم وبنو سعد بن زيد مناة تدعى هذا البيت لرجل من بني مالك بن سعد يقال له: شقة، أنشدناه له حلابس العطاردي. وأخبرني خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل.

وأخبرني خلف: أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابعة للزبرقان بن بدر، فمن رواه للنابعة قال:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقى مريضَ المُستنقِرِ الحامي

وهي الكلمة التي أولها:

قالت بنو عامرٍ: خالوا بني أسد

يا بؤسَ للجهل ضراراً لأقوام

ومن رواه للزبرقان بن بدر قال:

إن الذئاب ترى من لا كلاب له

وتحتمي مريضَ المُستنقِرِ الحامي

ويروى: وتتقى، وهذا البيت في قوله:

أبلغ سراة بني عوف مغلغة

وسألت يونس عن البيت فقال: هو للنابغة، أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاءه موضعه، لا محتلباً له.

وقد تفعل ذلك العرب، لا يريدون به السرقة، قال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي:

تلك المكارم لا قعبانٍ من لبنٍ شيباً بماءٍ فعاداً بعدُ أبوالا

وقال النابغة الجعدي، في كلمة فخر بها، ورد فيها على القشيري:

فإن يكن حاجبٌ ممن فخرت به فلم يكن حاجبٌ عمّاً ولا خالا

هلاً فخرت بيومي رَحْرَحان، وقد ظننت هوازن أن العزّ قد زالا

تلك المكارمُ لا قعبانٍ من لبنٍ شيباً بماءٍ فعاداً بعدُ أبوالا

ترويه عامر للنابغة، والرواة مجتمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله.

وقال غير واحد من الرجاز:

عند الصباح يحمد القوم السرى

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً، وقال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون: لا تهلك أسي وتجمّل

وقال طرفة:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم

ويروى عن الشعبي، عن ربيعي بن حراش، أن عمر بن الخطاب قال: أي شعرائكم الذي يقول:

فألفيت الأمانة لم تخنّها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

وهذا غلط على الشعبي، أو من الشعبي، أو من ابن حراش. أجمع أهل العلم أن النابغة لم يقل هذا، ولم يسمعه عمر، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة، فإنه قد ذكر لي أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة:

حلّفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيّة وليس وراء الله للمرء مذهب

وحرى أن يكون هذا البيت، أو البيت الأول.

وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر، ولا يضبط الشعر إلا أهله. وقد تروى العامة أن الشعبي كان ذا علم بالشعر وأيام العرب، وقد روى عنه هذا البيت، وهو فاسدٌ. وروى عنه شيء يحمل على لبيد:

باتت تشكي إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعين

فإن تعيشي ثلاثاً تبليغي أملاً

وفي الثلاث وفاءً للثمانين

ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث، ويستعان به على السهر عند الملوك، والملوك لا تستقصي.

وكان قتادة بن دعامة السدوسي من رواة الفقه، عالماً بالعرب وبأنسابها، ولم يأتنا عن أحدٍ من رواة الفقه من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة.

أخبرنا عامر بن عبد الملك قال: كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر، فيرسلان راكباً فينيخ ببابه، يعنى قتادة بن دعامة، فيسأله عنه ثم يشخص.

أخبرني سعيد بن عبيد، عن أبي عوانة أنه قال: شهدت عامر بن عبد الملك يسأل قتادة عن أيام العرب وأنسابها وأحاديثها، فاستحسنته. فعدت إليه فجعلت أسأله عن ذلك.

ويروى عن بعض أصحابنا، قال: رأيت راكباً قدم من الشام، فأناخ على باب قتادة فسأله: من قتل عمراً وعامراً التغلبيين يوم قضة؟ قال جحدر: فأعادوا إليه الرسول: كيف قتلتهما جميعاً؟ قال أعتوراه، فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج، فعادى بينهما. ثم رحل مكانه.

وكان أبوالمعتمر الشيباني كثير الحديث عن العرب، وعن معاوية وعمرو بن العاص وزياد وطبقتهم، وكان يقول أخذته عن قتادة وكان أبو بكر الهذلي يروى هذا العلم عن قتادة.

أخبرني عيسى بن يزيد بن دأب بإسناد له، عن ابن عباس قال، قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال زهير. قلت وكان كذلك! قال: كان لا يعاظم بين الكلام، ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.

وأخبرني عمر بن موسى الجمحي، عن أخيه قدامة بن موسى، وكان من علماء أهل المدينة: أنه كان يقدم زهيراً. قلنا: فأى شعره كان أعجب إليه؟ قال: التي يقول فيها:

والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرَمِ

يلقُ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقاً

مَنْ يلقَ يوماً على علاته هَرماً

وقال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدّهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره.

وأخبرني أبو قيس العنبري ولم أرَ بدوياً يزيد عليه عن عكرمة بن جرير، قال: قلت لأبي: يا أبه، من أشعر الناس؟ قال: أعن أهل الجاهلية تسألني أم أهل الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام، فإذا ذكرت أهل الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهير شاعرها. قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر. قلت:

فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني، فإني أنا نحرت الشعر نحراً.

وقال أصحاب الأعشى: هو أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً ووصفاً، كل ذلك عنده.

وكان أول من سأل بشعره، ولم يكن له مع ذلك بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه. وشهدت خلفاً، فقليل له: من أشعر الناس؟ فقال: ما تنتهي إلى واحد يجتمع، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس. قلت: فأيهم أعجب إليك يا أبا محرز؟ قال الأعشى. قال: أظنه قال: كان أجمعهم.

وكان أبو الخطاب الأخفش مستهتراً به يقدمه. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: مثله مثل البازي، يضرب كبير الطير وصغيره. ويقول: نظيره في الإسلام جرير، ونظير النابغة الأخطل ونظير زهير الفرزدق. وروى سليمان بن إسحق الربالي، عن يونس، أنه قال: الشعر كالسراء والشجاعة والجمال، ولا ينتهي منه إلى غاية.

أخبرني الميب بن سعيد، عن هشام بن القاسم، مولى بن عُبر - وقد رأيت، وكان عليه أهل البصرة، وكان يصل على جناز بني عُبر - قال أول من سأل بشعره الأعشى. ولم يقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين، قوله:

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدِي
عَجْلَانِ، ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مَزُودٍ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلْنَا غَدَاً
وَبِذَاكَ خَبَّرْنَا الْغَدَاْفُ الْأَسْوَدُ

وقوله:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ يَرِدْ إِسْقَاطُهُ
فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ
بِمَخْضَبِ رَخْصِ كَأَنَّ بِنَانَهُ
عَنَّمِ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يَعْقُدُ

الغنم: نبت أحمر يصبغ به، فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهما حتى أسمعوه إياه في غناء - وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو، وكانوا يكتبون، لجوارهم أهل الكتاب - فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي. فلما قالت: الغداف الأسود ويعقد وباليد، علم وانتبه، فلم يعد فيه. وقال قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها أشعر الناس.

قال يونس: عيوب الشعر أربعة: الزحاف، والسناد، والإقواء، والإيطاء، والإكفاء وهو الإقواء.

والزحاف أهونها وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فينكره السمع ويثقل على اللسان. وهو في ذلك جائز. والأجزاء مختلفة فمنها ما نقصانه أخفى، ومنها ما نقصانه أشنع قال الهذلي:

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمَّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتَ سِوَاكَ خَلِيلاً شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا

فهذا مزاحف في كاف سواك، وهو خفي، ومن أنشده:

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمَّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتَ خَلِيلاً سِوَاكَ شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا

فهذا أفضع، وهو جائز. والاستخارة: الاستعطاف. ويقال: تبغمت الظبية تستخير ولدها أي تستدعيه. ومنه قيل أستخير الله: أي أستعطفه.

وهو نحو قول الفرزدق:

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ عَلِمْتَ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَابَةٌ

وَلَوْ كَانَ هَذَا غَيْرِ دِينَ مُحَمَّدٍ لِأَدِيَّتِهِ، أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

مزاحف خفي، ومن قال: "لأديت أو لغص بالماء شاربه" فهو أفضع. وهو أكثر من أن يعد.

وكان الخليل بن أحمد يستحسنه في الشعر إذا قل في البيت والبيتين، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمح.

فإن قيل: كيف يستحسن منه شيء وقد قيل هو عيب؟ قال: يكون هذا مثل القبل والحول والثلغ في

الجارية، قد يشتهي القليل منه الخفيف، وهو إن كثر عند رجل في جوار، أو اشتد في جارية، هجن

وسمج. والواضح في الخيل يستطرف ويشتهي خفيفه، مثل الغرة والتحجيل، فإذا كثر وفشا كانت هجنة

ووهناً. وخفيف البلق يحتمل في الخيل، ولم أر أبلق قط ولم أسمع به سابقاً.

والإقواء هو الإكفاء، مهموز وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة، وأخرى مخفوضة أو

منصوبة، وهو في شعر الأعراب كثير، ودون الفحول من الشعراء، ولا يجوز لمولد لأنهم قد عرفوا عيبه،

والبدوي لا يابه له فهو أعذر.

فقلت ليونس: أكان عبيد الله بن الحر يقوي؟ قال: الإقواء خير منه يعني من فوقه من الشعراء يقوى غير

أن الفحول قد استجازوا في موضع نحو قول جرير:

عَرِينٌ مِنْ عُرَيْنَةٍ لَيْسَ مَنَّا بَرَاءْتُ إِلَى عُرَيْنَةٍ مِنْ عَرِينِ

عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي عُبَيْدٍ وَأُنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخَرِينَ

وقال سحيم بن وثيل:

عَدْرَتُ الْبُرْزَلِ إِنْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بِأَلِي وَبِأَلِ ابْنِ اللَّبُونِ

وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ

فموضع هذه الأبيات له ولجريح، النصب، ولكنه كأنه سكت عند القافية.
ومنه الإيطاء، وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمح له، وقد يكون. ولا يجوز لمولد، إذ كان عنده عيباً. فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى، فهو جائز، نحو قولك: "محمد" تريد الاسم، و "جواد محمد"، تريد الفعل. وتقول: "خيار"، تريد: خيار من الله، وتقول: "خيار"، أي خيار من قوم، فيجوز. ونحو هذا كثير، وأهل البادية لا ينكرونه. وأنشد سلمة ابن عياش أبحية النميري، كلمة طويلة جداً يقول فيها:

طَرِبْتَ وَمَا هَذَا بَحِينٌ تَطْرِبُ ورَأْسُكَ مُبْيِضُ الْعِذَارِينِ أَشْيِبُ

قال له النميري: أرى فيها عيباً. قال: ما هو؟ قال: لم أرك أعدت قافية بعد قافية. عده عيباً. أظنه عابه إذ رأى أنه هرب منه.

والمواطأة في الأمر، يقال منه: واطأته على كذا وكذا، ومنه: "ليواطئوا عدة ما حرم الله" أي ليوافقوا. كانت العرب تحرم أربعة أشهر من السنة، كما كان بأيديهم من إرث إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانت توالى عليهم ثلاثة أشهر: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، فيطول عليهم أن لا يغزوا ولا يجاربوا، وكان لهم نساء من بني كنانة، تؤخر المحرم عاماً وترده عاماً، وذلك قول الله عز وجل: "إنما النسي زيادة في الكفر" "سورة التوبة: 37" وهي في الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرماً. المحرم، عام حجة الوداع من النبي صلى الله عليه، الشهر الذي حرمه الله بعينه، فقال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض".

وكان الذي يسمع الناس عنه صلى الله عليه وسلم، ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، وكان في صوته رقاع. فأصاب بعد ذلك في عهد عمر بن الخطاب حداً بالشأم، فضرب فأدركته الحمية، فلحق بالروم، فهلك فيهم، فكره الناس بعد ذلك أن يقيموا حداً بأرض العدو. وكانت العرب تسمى رجلاً: الأصم، ويسمونه منصل الأسنه، وكانوا ينصلون أستهم فيه لموضع الحرب، قال دريد بن الصمة:

تَدَارِكَةُ فِي مُنْصِلِ الْأَلِّ بَعْدَمَا مضى غير دَأْدَاءٍ، وقد كاد يعطبُ

والدأداة: الليلة التي تكون في آخر الشهر يشك فيها. والسناد: وهو أن تختلف القوافي نحو: نقيبٌ وعيبٌ؛ وقريبٌ، وشيبٌ، منه قول الفضل ابن العباس اللهي:

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِي، فَإِنْ كُنْتَ غَضْبِيَّ فاملئي وجهك الجميلَ خموشاً

وقال:

وبنا سميت قريش قريشا

وقال:

.....ولا تمليت عيشا

وقال عدي بن زيد:

فناجاها، وقد جمعت فُجُوجا
فقدمت الأديم لراهشيه
على أبوابِ حصنِ مُصَلَّتينا
وألفى قولها كذباً ومينا

قال المفضل: "كذباً مييناً"، فر من السناد، والرواية هي الأولى على قوله: "وميتا".
وقال المفضل بن عبد الرحمن بن عباس، في مرثية زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم:

.....ليس ذا حين الجمود

ثم قال:

.....فوق العمود "

ثم قال:

وكيف جمود دمعك بعد زيد

ومنه قول العرب: خرج القوم برأسين متساندين، أي هذا على حiale وهو من قولهم: "كانت قريش يوم
الفجار متساندين"، أي لا يقودهم رجل واحد.
وقال الحجاج، فأفرط وجاوز السناد، مع حذقه:

ثم رأى أهل الدسيح الأعظم
وعلية الناس وأهل الحُكْمِ
عند كريم منهم مكرم
مباركٍ للأنبياء خاتم
خندف، والجد الخضمّ المُخضم
ومستقر المصحف المرقم
معلم أي الهدى معلم
وخندف هامة هذا العالم

فساند في بيتين سناداً فاحشاً أخذه الناس عليه.

وأخبرني سلمة بن عياش، قال قلت لرؤية: أبوك أشعر منك. قال: أنا أشعر منه، هو يقول:

وخندف هامة هذا العالم

وقال العجاج:

يا ليت أيام الصبا رواجعا

وهي لغة لهم، سمعت أبا عون الحرمازي يقول: "ليت أباك منطلقاً، وليت زيدا قاعداً". وأخبرني أبو يعلى: أن منشأه بلاد العجاج، فأخذها عنهم.

وقد تغلط مقاحيم الشعراء وثيائهم والمقحم: الذي يقتحم سناً إلى أخرى، ليس بالبازل ولا المستحکم. والثنيان: العاجز الواهن، قال أوس بن حجر:

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً

من الشعراء كل عودٍ ومقحم

وقال أوس بن مغراء:

تُثَيَانَنَا، إِنْ أَتَاهُمْ، كَانَ بَدَأَهُمْ

وبدؤهم، إِنْ أَتَانَا، كَانَ تَثَيَانَا

فيغلطون في السين والصاد، والميم والنون، والبدال والطاء، وأحرف يتقارب مخرجها من اللسان، تشبته عليه. أنشدني أبو العطف:

أرْمِي بِهَا مَطَالِعَ النُّجُومِ

رَمَى سَلِيمَانَ بِذِي غُضُونِ

وقال زغيب بن نسير العنبري:

نظرت بأعلى الصوقِ والبابِ دونه

إلى نَعَمٍ ترعى قوافي مسردٍ

الصوق: السوق. ثم قال: "كحيل مخلط"، فقلت له: قل "معقد" فيصح لك المعنى وتستقيم القوافي. قال: أجل! فاستعدته فعاد إلى قوله الأول. وقال أبو الدهماء العنبري:

فلا عيبَ فيها غير أن جنينها

جهيـضٌ، وفي العينين منها التخالوصُ

ثم قال: "بالثياب الطيالس" ثم قال: "والماء جامس". وكان يقول: "الصويق، وبر مكبول، وثوب مخيوط". وقال أبو الدهماء يهجو شويعرا من عكل وكان أبو الدهماء أفصح الناس فقال يذكر جردانه:

ويلُ الحَبَالِي إِذْ أَصَابَ الرِّكْبَا

يستخرجُ الصبيان منه خِذْمَا

واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لَدَى وَكَرَّهَا العُنَابُ والحشفُ البالي

وقوله:

كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الجناحين لِقْوَةٌ

دُفُوفٍ مِنَ العِقْبَانِ، طَاطَأَتْ شَمَلَالِ

وقوله:

بِعِجْلَةٍ قَدْ أَتْرَزَ الْجَرِي لِحْمَهَا
وَصُمَّ حَوَامٍ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجِي،

وقوله:

كَمَيْتٍ، كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ مِنْوَالٍ
كَأَنَّ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهَا عَلَى رَالٍ

نَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا
كَأَنَّ الصَّوَّارَ، إِذْ تَجَاهَدْنَ غُدُوءَ

وقوله:

مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَالٍ
عَلَى جَمَزَى خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالٍ

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِيَّ مَضْاجِعِي

وقوله:

وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ؟

كَأَنَّيْ غِدَاةَ الْبَيْنِ حِينَ تَحْمَلُوا

وقوله:

لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ، نَاقِفٌ حَنْظَلٍ

مَكْرٍ مَفْرٍ مَقْبَلٍ مَدْبِرٍ مَعًا

وقوله:

كَجَلْمُودِ صَخْرِ حَطَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِيٍّ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ

وقوله:

وَإِرْخَاءِ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيْبُ تَنْقَلٍ

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ، أَدْرَهُ

وقوله:

تَتَابَعُ كَفِيَّهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلٍ

كُمَيْتٍ، يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ

وقوله:

كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ

وقوله:

عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلٍ

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، أَرْخَى سُدُولَهُ

قوله:

عَلِيٍّ، بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ

خَيْرُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي

وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ

فرعم بعض الأشياخ أن بيت النابغة أحكمهما وقوله:

ترائبها مصقولة كالسجنجل

هي المرأة بالرومية.

وقوله:

تعرض أثناء الوشاح المفصل

إذا ما الثريا في السماء تعرضت

قال: فأنكر قومٌ قوله: "إذا ما الثريا في السماء تعرضت". وقالوا: الثريا لا تعرض. وقال بعض العلماء عني

الجوزاء. وقد تفعل العرب بعض ذلك، قال زهير:

كأحمر عادٍ، ثم تُرضع فنقطم

فتنتج لكم غلمان أشأم، كلهم

يعني: أحمر ثمود. وقوله:

وشحم كهذاب الدمقس المقتل

يظل العذارى يرتمين بلحمها

وقال يصف فرساً:

وتقريبه، هوناً، دأليل ثعلب

بذي ميعه، كأن أدبي ساقطه

بأسفل ذي مأوان، سرحه مرقب

عظيم، طويل مطمئن، كأنه

وصهوة غير قائم فوق مرقب

له أبطالا ظبي وساقا نعامة

يعالَى به في رأس جذع مشذب

له جوجو حشر. كأن لجامه

إلى سند مثل الرياح المنضب

وعينان كالماويتين، ومحجر

نقول هزيز الرياح مرت بأثاب

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه

عصارة حناء بشيب مخضب

كأن دماء الهاديات بنحره

وقال أيضاً:

معلقه بأحقيها الدلى

تروح كأنها مما أصاب

كأن الحيّ صبحهم نعيّ

إذا ما قام حالبها أرنت

أخبرني يونس بن حبيب، قال، قال ذو الرمة: من أحسن الناس وصفاً للمطر؟ فذكروا قول عبيد:

يكاد يدفعه من قام بالراح

دان مسيف فويق الأرض هيدبه

والمستكن كمن يمشي بقرواح

فمن بنجوته كمن بمحفله

فجعلها يونس لعبيد، وعلى ذلك كان إجماعنا، فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حجر وذكروا قول
عبد بني الحسحاس:

نَعِمْتُ بِهِ ظَنًّا، وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ
يَحُطُّ الْوُعُولَ وَالصَّخُورَ الرَّوَاسِيَا

وما حرَّكتَه الرِّيحَ حتَّى ظننته
فدرَّ على الأَنْهَاءِ أَوَّلَ مُزْنِهِ
رُكَّامٌ يَسُخُّ الْمَاءَ عَن كُلِّ فَيْقَةٍ
ومرَّ على الأَجْبَالِ أَجْبَالِ طَيْئِ
أَجَشَّ هَزِيمٌ سَيْلُهُ مَعَ وَدْقِهِ
بكى شَجْوَهُ وَاغْتَاطَ حتَّى حَسِبْتُهُ
بحرَّةٍ لَيْلَى أَوْ بِنخلةِ ثَاوِيَا
فَعَنَّ طَوِيلًا يَسْكَبُ الْمَاءَ سَاحِيَا
ويغدرُ في القِيَعَانِ رَتَقًا وَصَافِيَا
كَمَا سَقَّتْ مَنْكُوبَ الدَّوَابِرِ حَافِيَا
تَرى خُشْبَ الغُلَّانِ فِيهِ طَوَافِيَا
مِنَ البَعْدِ لَمَّا جَلَجَلَ الرَّعْدُ حَادِيَا

فقال ذو الرمة: بل قول امرئ القيس أجود حيث يقول:

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطْفٌ
تُخْرَجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذتْ
وترى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا
وترى الشَّجْرَاءَ فِي رَيْقِهَا
سَاعَةً، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ
رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا، ثُمَّ انْتَحَى
ثَجَّ حتَّى ضَاقَ عَن آذِيهِ
قَدْ غَدَا يَحْمَلُنِي فِي أَنْفِهِ
طَبَقَ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَرَّ
وتواريه إِذَا مَا تَشْتَكِرُ
ثَانِيَا بُرْتَنُهُ مَا يَنْعَفِرُ
كَرُؤُوسٍ قَطَّعَتْ فِيهَا الخُمُرُ
سَاقِطَ الأَكْنَافِ وَاهٍ مِنْهَمِرُ
فِيهِ شُؤْبُوبٌ جَنُوبٌ مَنفَجِرُ
عَرَضَ خَيْمٍ فَخْفَافٌ فَيْسِرُ
لَا حَقَّ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مَمَرُ

الطبقة الثانية

أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدي بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم، وهو المقدم عليهم.
وبشر بن أبي خازم الأسدي وكعب بن زهير بن أبي سلمى.
والحطيئة، أبو مليكة، جرول بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس
بن بغيض بن ريث بن غطفان.

وأوس نظير الأربعة المتقدمين، إلا أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط. وقال يونس، قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. وكان زهير راويته.

وقال أبو علي الحرمازي: كان أوس زوج أم زهير. قلت لعمرو بن معاذ التيمي، وكان بصيراً بالشعر: من أشعر الناس؟ قال: أوس. قلت: ثم من؟ قال: أبو ذؤيب.

قال: فأوس شاعر مضر، والأعشى شاعر ربيعة. ... وكان أخوه بجير بن زهير أسلم، وشهد مع النبي عليه السلام فتح مكة وحنيناً، فأرسل إليه كعبٌ أبياتاً ينهيه عن الإسلام، وذكره للنبي عليه السلام فأوعده، فأرسل بجير إليه: "ويلك! إن النبي أوعدك، وقد أوعد رجالاً بمكة فقتلهم، وهو والله قاتلك أو تأتبه فتسلم"، فاستطير ولفظته الأرض. أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال: وأخبرني محمد بن سليمان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ما بلغه، فأتى أبا بكر، فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته، فقال: يا رسول الله! رجل يبائعك على الإسلام. وبسط يده وحسر عن وجهه، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائد بك، أنا كعب بن زهير. فتجهمته الأنصار وغلظت عليه، لما ذكر به رسول الله، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه. فأمنه رسول الله، فأنشده مدحته التي يقول فيها:

متيمٍ إثرها، لم يُشفَ، مكبولُ

بانث سعادُ، فقلبي اليوم متبولُ

حتى انتهى إلى قوله:

لا أَلْفِينَكِ، إني عنك مشغولُ

وقال كلَّ خليلٍ كنتُ أمُّه

فكلَّ ما وعدَ الرحمن مفعولُ

فقلت: خلوا سبيلي، لا أبالكُم

يوماً على آلةٍ حدياءٍ محمولُ

كل ابنٍ أنثى، وإن طالت سلامتهُ

والعفو عند رسول الله مأمولُ

نُبِّئتُ أن رسول الله أوعدني

إلى قوله:

مهذَّبٌ من سيوف الله مسلولُ

إن الرسول لَسَيْفٌ يستضاءُ به

ببطن مكة، لما أسلموا: زولوا

في فنتةٍ من قريشٍ قال قائلهم

يوم اللقاء، ولاسودَّ معازيلُ

زالوا، فما زال أنكاسٌ ولا كشفُ

لا يقع الطَّعْنُ إلا في نحورهم
وما بهم عن حياض الموت تهليلُ
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش، أي: اسمعوا! حتى قال:

يمشون مشيَ الجمالِ الزَّهرِ، يعصمُهم
ضرباً، إذا عرَّدَ السود التنايلُ

يعرض بالأنصار، لغلظتهم كانت عليه. فأنكرت قريش ما قال، وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم! ولم يقبلوا ذلك حتى قال:

من سرَّةِ كرمِ الحياةِ، فلا يزل
الباذلين نفوسهم لنبيهم
يتطهرون كأنه نسكٌ لهم
صدموا علياً يوم بدرِ صدمةٍ
في مقنّبٍ من صالحِ الأنصار
يوم الهياج وسطوة الجبار
بدماء من علقوا من الكفار
ذلت لوقعتها جميع نزار

يعني بني علي بن مسعود، وهم بنو كنانة.

فكساه النبي صلى الله عليه برده، اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سمي. فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين. زعم ذلك أبان. وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية، وكان راوية لزهير وآل زهير، واستفرغ شعره في بني قريع. وقال لكعب بن زهير: قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً، فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع. فقال كعب:

فمن للقوافي؟ شانها من يحوكها
يقول، فلا يعيي بشيء يقوله
كفيتك، لالتقى من الناس واحداً
يُتقفها حتى تلينَ متونها
إذا ما ثوى كعبٌ وفوزَ جرولاً
ومن قائلها من يسيء ويعمل
تتخل منها مثل ما يتتخلُ
فيقصر عنها كل ما يتمثل

فاعترضه مزرد بن ضرار واسمه يزيد، وهو أخو الشماخ، وكان عريضاً أي شديد العارضة كثيرها فقال:

وباستك إذ خلفتني خلف شاعر
فإن تجشبا أجشب، إن تتتخلا
ولست كحسان الحسام بن ثابت
وأنت امرؤ من أهل قدس أواره
من الناس لم أكفى ولم أتتخل
وإن كنت أفتى منكما أتتخل
ولست كشمأخ ولا كالمخبل
أحلَّتكَ عبد الله أكناف مبهل

مبهل: جبل لعبد الله بن غطفان. وقدس أواره: جبل لمزينة. فعزاه إلى مزينة.
وكان أبو سلمى وأهل بيته في بني عبد الله بن غطفان، فبهم يعرفون، وإليهم ينسبون، فقال كعب بن زهير
يثبت أنه من مزينة:

أبْلِغَا هَا الْمَعْرَضَ آيَةً أَيْقِظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَوْ حَلْمٌ

يقال: حلم في المنام أي حلم من الحلم إلى قوله:

أَعِيرْتَنِي عَزًّا عَزِيزًا وَمَعْشِرًا كِرَامًا بَنُوا لِي الْمَجْدَ فِي بَاذِخِ أَشْمِ؟

هَمُّ الْأَصْلِ مَنِي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي مَنِ الْمُزْنِيِّينَ الْمُصْفِينَ بِالْكَرْمِ

وقد كانت العرب تفعل ذلك، لا يعزى الرجل إلى قبيلة غير التي هو منها، إلا قال: أنا من الذين عبت.
كان أبو ضمرة، يزيد بن سنان بن أبي حارثة، لاحى النابغة فناما إلى قضاة، فقال النابغة:

جَمَعْتُ مَحَاشِكَ إِلَى يَزِيدُ، فَإِنِّي أَعَدَدْتُ يَرْبُوعًا لَكُمْ وَتَمِيمًا

وَلَحَقْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عِيرْتَنِي وَوَجَدْتُ نَصْرَكَ يَا يَزِيدُ، ذَمِيمًا

حَدَبْتُ عَلَيَّ بَطُونَ ضَنَّةَ كُلِّهَا، إِنِّ ظَالِمًا فِيهِمْ وَإِنِّ مَظْلُومًا

لَوْلَا بَنُو نَهْدِ بْنِ عَوْفٍ أَصْبَحْتُ بِالنَّعْفِ أَمَّكَ، يَا يَزِيدُ، عَقِيمًا

ضَنَّةُ بْنُ كَبِيرِ بْنِ عَدْرَةَ.

وكان رهط الزبيرقان بن بدر يخلجون إلى بني كعب بن يشكر، إلى ذي المجاسد، عامر بن جشم بن
كعب، فقال الزبيرقان:

فَإِنِ أَكُّ مِنْ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ، فَإِنِّي رَضِيْتُ بِهِمْ مِنْ حَيِّ صَدَقٍ وَوَالِدِ

وَإِنِ يَكُ مِنْ كَعْبِ بْنِ يَشْكُرٍ مَنْصَبِي فَإِنِ أَبَانَا عَامِرٌ ذُو الْمَجَاسِدِ

قال ابن سلام: ولقد أخبرني بعض أهل العلم من غطفان أنهم من بني عبد الله من غطفان، وأن اعتزاه إلى
مزينة كقول هؤلاء، وأما العامة فهو عندهم مزني وليس لزهير، ولا لبنيه صليبة، شعر يعتزون فيه إلى
غطفان ولا إلى مزينة، إلا بيت كعب ذلك، وقول بجير:

صَبَحْنَا هُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سَلِيمٍ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَافٍ

وقد يجوز أن يكون غير قومه من المزنيين، فذكرهم كما ذكر سليمان.

ولم يزل في ولد زهير ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، ولا في ولد أحد
من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير.

وكان الحطيئة قد عمر دهرًا في الجاهلية، وبقي في الإسلام حينًا، وكان جشعًا سؤولاً
وكان مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل، فقال يفضل علقمة:

يا عام، قد كنت ذا باعٍ ومكرمةٍ
لو أن مسعاة من جاريتته أمم
جاريت فرعاً أجاد الأحوصان به،
ضخم الدسيسة في عرئينه شمم
لا يُصعبُ الأمر إلا ريثَ يركبُهُ،
ولا يبيتُ على مالٍ له قسمُ

وكان الأعشى مع عامر بن الطفيل وليد بن ربيعة.

وشهد الحطيئة نفار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، أحد بني عدي بن فزارة، وزبان بن سيار بن عمرو بن جابر، أحد بني مازن بن فزارة، فقال يفضل عيينة على زبان:

أبي لك آباءً، أبي لك مجدُهُم
سوى المجد، فانظر صاغراً من تتافره
قبورٌ أصابتها السيوف ثلاثةٌ
نجومٌ هوت في كل نجم مرائرُهُ
فقبرٌ بأجبال، وقبرٌ بحاجرٍ
وقبر القليب أسعر الحرب ساعرُهُ
وشرُّ المنايا هالكٌ وسطَ أهله
كهلك الفتاة أيقظَ الحي حاضرُهُ

قبر بأجبال: يريد قبر بدر بن عمرو، قتيل بني أسد بن خزيمه.

وقبر القليب، وهو الهباءة: قبر حذيفة بن بدر بن عمرو، قتيل بني عبس. وقبر بحاجر: يعني قبر حصن بن حذيفة بن بدر، قتيل بني عقيل بن كعب ونمير بن عامر.

قال: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريش العطايا، والناس في سنة مجدبة، وسخطة من خليفة فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض، فقالوا قد قدم علينا هذا الرجل، وهو شاعر، والشاعر يظن فيحقق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأل، فإن أعطاه جهد نفسه بمرها وإن حرمه هجاه. فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معداً يجمعونه بينهم له فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً، حتى جمعوا له أربعمئة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلان، وهذه صلة آل فلان فأخذها، فظنوا أنهم قد كفوه عن المسئلة، فإذا يوم الجمعة قد استقبل الإمام مائلاً ينادي بعد الصلاة فقال: من يحملني على نعلين وقاه الله كبة جهنم. أخبرنا أبو خليفة، أخبرنا ابن سلام، قال وأخبرني يونس النحوي، خرج الحطيئة مع ابنته مليكة، وامراته أمامة، على ذود له ثلاث، فتزل متزلاً وسرح زوده. فلما قام للرواح فقد إحداهن، فقال:

أذنبُ الفقر أم ذنبُ أنيس
أصاب البكر، أم حدثُ الليلي؟
ونحن ثلاثةٌ وثلاث ذودٍ
لقد جار الزمان على عيالي!

وكان سبب هجائه الزبيرقان، أنه صادفه بالمدينة وكان قدمها على عمر رضي الله عنه، فقال الحطيئة:
وددت أني أصبت رجلاً يحملني وأصفيه وأقتصر عليه. قال الزبيرقان: قد أصبته، تقدم على أهلي فيني على
إثرك. فقدم فتزل بجراه، وأرسل الزبيرقان إلى امرأته أن أكرمي مثواه. وكانت ابنته مليكة جميلة، فكرهت
امرأته مكانها، فظهرت لهم منها جفوة وبغيض بن عامر بن لأي بن شماس، أحد بني قريع بن عوف ينازع
يومئذ الزبيرقان الشرف؛ والزبيرقان أحد بني بحدلة بن عوف، وبغيض أرسخ في الشرف من الزبيرقان، وقد
ناوأه الزبيرقان ببذنه حتى ساواه بل اعتلاه فاغتنم بغيض وأخواه، علقمة وهودة، ما فيه الحطيئة من الجوفة،
فدعواه إلى ما عندهما، فأسرع. فبنوا عليه قبة، ونحروا له وأكرموا كل الإكرام وشدوا بكل طناب من
أطناب خبائه جلة من برني هجر قال: والمخبل شاعر مفلق، وهو ابن عمهم يلقاهاهم إلى أنف الناقة، وهو
جعفر بن قريع. قال: وقدم الزبيرقان أسيفاً عاتباً على امرأته فمدح بني قريع، وذم الزبيرقان فاستعدى عليه
الزبيرقان عمر، فأقدمه عمر، وقال للزبيرقان: ما قال للزبيرقان؟ فقال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيثها واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر لحسان: ما تقول؟ أهجاء؟ وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان، ولكنه أراد الحجعة على الحطيئة
قال: ذرق عليه! فألقاه عمر في حفرة اتخذها محبساً، فقال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ حُمِرَ الحواصلِ، لا ماءٌ ولا شجرٌ
ألقيت كاسبهم في قعر مُظلمةٍ فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها إذ بايعوك لها لكن لأنفسهم كانت بك الإثرُ

وكان الزبيرقان شاعراً مفلقاً، وكان يعاتبه ولم يكن يهجوهم، وكان حليماً وكانا في عداوتهما مجملين،
وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء، فقال:

لعمرك إن الزبيرقان لدائبٌ على الناس يعدو نوكة ومجاهاه
ولما رأيت العزّ في دار أهله تمنيت، بعد الشيب أنك ناقله
ولما نرّ الأحفاف تمشي على الذرى، ولما يكن أعلى العضاة أسافله
ولما يزّل عن رأس صهوة عصمها ولما يدع وردَ العراق مناقله
وينفس في ما أورتنتي أوائلها ويرغب عما أورتنته أوائله

فإن كنتَ لا تُمنِّي بحظك راضياً فدع عنك حظي إنني اليوم شاغله
أتيت امرءاً أحمى على الناس عرضة فما زلت، حتى أنت مقع، تناضله
فأقع كما أفعى أبوك على استه رأى أن ريماً فوقه لا يعادله

ومدح سعيد بن العاص، وكان سعيد لا تأخذه العين، كان يقال له: عكة العسل، فقال:

خفيفُ المعى، لا يملأُ الهَمَّ صدره إذا سمته الزادَ الخبيث عيوف
وقال له أيضاً:

سعيدٌ، فلا يغرُّرك خفة لحمه؛ تخذد عنه اللحم وهو صليب

وهو أحد من اتصل به الشرف من خمسة آباء، وابنه عمرو بن سعيد.

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي، بإجازته لي، يذكر عن محمد بن سلام: أن الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال:

إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بني ذهل

قال: والقرية، منازلهم، ولم يبيت الحطيئة في هؤلاء.

قال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء: دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكراً فلما قام الناس وبقي الخواص: أراد الحاجب أن يقيمه، فأبى أن يقوم فقال سعيد: دعه. وتذاكروا أيام العرب وأشعارها، فلما أسهبوا قال الحطيئة: ما صنعتم شيئاً. فقال سعيد: فهل عندك علم من ذلك؟ قال: نعم. قال: فمن أشعر العرب؟ قال الذي يقول:

قد جعل المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طرُفا

قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يعني زهيراً والنابغة، ثم قال: وحسبك بي إا وضعت إحدى رجلي على الأخرى: ثم عويت في إثر القوافي كما يعوى الفصيل في إثر أمه! قال: فمن أنت؟ قال: أنا الحطيئة. فرحب به سعيد، وأمر له بألف دينار.

الطبقة الثالثة

أبو ليلي، نابغة بني جعدة: وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأبو ذؤيب الهذلي، وهو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن

تميم بن سعد بن هذيل.

والشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامة، أحد بني سعد بن ذبيان.

ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر.

وكان النابغة قديماً، شاعراً مفلحاً، طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من النابغة الذبياني، ويدل على ذلك قوله:

فمن يكُ سائلاً عني فإني
أنت مئةٌ لعام ولدتُ فيه
وقد أبقتُ خُطوبُ الدهرِ مني
تقللٌ وهو مأثورٌ جرّازُ

من الفتیان أيامَ الخُنانِ
وعشرٌ بعد ذلك وحجّتان
كما تُبقي من السيفِ اليماني
إذا اجتمعت بقائمه الیدان

وقوله:

ندأمايَ عند المنذر بن مُحَرَّق
فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا

وكان الذبياني مع النعمان وفي عصره، ولم يكن له قدم وكان الجعدي مختلف الشعر مغلباً، فقال الفرزدق: مثله مثل صاحب الخلقان: ترى عنده ثوب عصب وثوب خز، وإلى جنبه سمل كساء. وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف، فيقول: عنده خمار بواف ومطرف بآلاف. بواف: يعني بدرهم وثلاث.

وإذا قالت العرب: مغلب، فهو مغلوب. وإا قالوا: غلب فهو غالب.

وغلبت عليه ليلي الأخيلية وأوس بن مغراء القريعي، ولم يكن إليه ولا قريباً منه. وغلب عليه عقاب بن خالد العقيلي، وكان مفحماً، بكلام لا بشعر.

وهجاه سوار بن أوفى القشيري وفاخره، وهجاه الأخطل بأخرة.

حدثني إبراهيم بن شهاب قال، حدثنا الفضل بن الحباب قال، حدثني أبو الغراف قال، قال النابغة الجعدي: إني وأوس بن مغراء لنبتدر بيتاً ما قلناه بعد، لو قاله أحدنا لقد غلب على صاحبه. قال ابن سلام: وكانا يتهاجيان، ولم يكن أوس إلى النابغة في قريحة الشعر، وكان النابغة فوقه، فقال أوس بن مغراء:

فلمستُ بعافٍ عن شَتِيمَةِ عامرٍ
ترى اللؤمَ ما عاشوا جديداً عليهمُ

ولا حابسي عما أقول وعيْدها
وأبقى ثياب اللّابسين جديدها

لعمرك ما تبلى سراويل عامرٍ من اللؤم، مادامت عليها جلودها

فقال النابغة: هذا البيت الذي كنا نتدرا! وغلب الناس أوساً عليه.
نا ابن سلام قال، قلت ليونس: كيف تقرأ: "وجئتك من سبأ نبأ يقين"؟ فقال: قال الجعدي، وهو أفصح العرب:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبتنون من دون سيئه العرماً

وهو على قراءة أبي عمرو ويونس فجعل يونس القصيدة للجعدي. وسمعت أبا الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة فقال: لأمية. ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه، فقال: للنابغة، وقد يقال لأمية.
نا ابن سلام قال، ذكر مسلمة بن محارب، عن أبيه قال: دخل النابغة على عثمان بن عفان، فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين وأقرأ عليك السلام. قال: لِمَه؟ قال أنكرت نفسي، فأردت أن أخرج إلى إبلي فأشرب من ألبانها وأشمت من شيخ البادية.
وذكر بلده. فقال: يا أبا ليلى: أما علمت، أن التعرب بعد الهجرة لا يصلح؟ قال: لا والله ما علمت وما كنت لأخرج حتى أستأذنك. فأذن له، وضرب له أجلاً. فخرج من عنده فدخل على الحسن بن علي فودعه، فقال له الحسن: أنشدنا من بعض شعرك. فأنشده:

الحمد لله لا شريك له، من لم يقلها فنفسه ظمماً

فقال له: يا أبا ليلى! ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت؟ قال: يا ابن رسول الله، والله إني لأول الناس قالها، وإن السروق من سرق أمية شعره.
وقال يونس: كان الجعدي أوصف الناس لفرس، أنشدت قوله رؤبة:

فإن صدقوا قالوا: جوادٌ مجربٌ ضليعٌ، ومن خير الجياد ضليعها

قال رؤبة: ما كنت أرى المرهف منها إلا أسرع. ولم يكن رؤبة والعجاج صاحبي خيل، ولكن كانا صاحبي إبل وبعثها.
نا ابن سلام، قال: أخبرني ابن دأب، قال: تزوج النابغة امرأة من بني الجنون، وهم عدد بني جعدة وشرفهم، فنازعتهم وادعت الطلاق، فكان يراها في منامه، فقال:

مالي وما لابنة المجنون تطرقتني بالليل؟ إن نهاري منك يكفيني

ولا أجدعُ البوّ، بوّ الزعم، أرامه

وشرُّ حشوٍ خباءٍ أنت مولجُهُ

تستخنت الوطْبَ لم تتفض مريرتَه وتأكلُ الحبَّ صرفاً غير مطحونٍ

قال ابن دأب: وكان النابغة علوي الرأي، وأخذ مروان ابنه وإبله بالمدينة، فخرج ومدح مروان بن الحكم بأبيات.

قال ابن سلام: وأنا منها في شك، ولكنه قال ما لا أشك فيه:

فَمَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي ومروان، والأنباءُ تُتَمَى وتُجَلَبُ
ويُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ ابْنَ عَامِرٍ فنعمَ الفتى، يُأْوَى إِلَيْهِ، المَعَصَبُ
فَإِنْ تَأْخُذُوا مَالِي وَأَهْلِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لِحَرَابِ الرِّجَالِ مُحَرَّبُ
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ المَرْءُ كَلَهُ، سَوَى الظلم، إِنِّي إِنْ ظَلُمْتُ سَأَغْضِبُ
أَصِيبُ ابْنَ عَفَانَ الإِمَامُ، فَلَمْ يَكُنْ لَذِي حَسَبٍ بَعْدَ ابْنِ عَفَانَ مَغْضَبُ

وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة فيه ولا وهن.

قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان: من أشعر الناس؟ قال: حياً أو رجلاً؟ قال: حياً. قال أشعر الناس حياً هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلام: هذا ليس من قول أبي عمرو، ونحن نقوله.

أخبرني أبو خليفة قال، حدثنا محمد بن سلام قال، أخبرني عمرو بن معاذ المعمرى، قال: في التوراة: أبو ذؤيب مؤلف زورا. وكان اسم الشاعر بالسريانية: "مؤلف زورا".

فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن اسحق، فأعجب منه، وقال: قد بلغني ذاك وكان فصيحاً، كثير الغريب، متمكناً في الشعر.

فأما الشماخ، فكان شديد متون الشعر، أشد أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة، وليد أسهل منه منطقاً. وكان للشماخ أخوان، وهو أفحلهم: مزرد، وهو أشبهما به، وله أشعار وشهرة وجزء، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب:

جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ أَمِيرٍ، وَبَارَكْتَ يَدِ اللهُ فِي ذَاكَ الأَدِيمِ المَمْرَقِ
فَمَنْ يَسْعُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالأَمْسِ يُسْبِقِ
قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتِهِ بِكَفِّي سَبَبْتِي أَرْقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

أنا ابن سلام، قال: أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشماخ امرأة من بني سليم، إحدى بني حرام بن شمال، فنازعتة وادعت عليه طلاقاً، وحضر معها قومها فأعانوها، واختصموا إلى كثير بن

الصلت وكان عثمان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كندة، عداده في بني جمح، ثم تحولوا إلى بني العباس، فهم فيهم اليوم، فرأى كثير عليه يمينا، فالتوى الشماخ باليمين، يحرصهم عليها، ثم حلف. وقال:

أَتَنْتِي سَلِيمٌ قَضُّهَا وَقَضِيضُهَا
تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالِهَا
يَقُولُونَ لِي: يَا أَحْلَفُ! وَلَسْتُ بِحَالِفٍ
أَخَاتِلُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنْالِهَا
فَفَرَجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَلْفَةٍ
كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَنْهَا جِلَالِهَا

وكان لبيد بن ربيعة، أبو عقيل، فارساً شاعراً شجاعاً، وكان عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان مسلماً رجل صدق.

قال: وكتب عمر إلى عامله: أن سل لبيداً والأغلب ما أحدثنا من الشعر في الإسلام. فقال الأغلب:

أَرْجَزًا سَأَلْتَ أُمَّ قَصِيدًا
فَقَدْ سَأَلْتَ هَيْنًا مَوْجُودًا

وقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران. فراد عمر في عطائه، فبلغ به ألفين. فلما ولي معاوية قال: يا أبا عقيل، عطائي وعطاؤك سواء! لا أراي إلا سأحطك! قال: أو تدعني قليلاً، ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذه أجمع.

قال وعمر عمراً طويلاً. وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه: يمدحهم، ويرثيهم، ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم. وكان يطعم ما هبت الصبا، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا قال: أعينوا أبا عقيل على مروءته.

الطبقة الرابعة

وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل وإنما أحل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة. طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وعبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر، أحد بني دودان بن أسد بن خزيمية. وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وعدي بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب، أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. فأما طرفة فأشعر الناس واحدة، وهي قوله:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ
وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَأَبْكِي إِلَى الْغَدِ

وتليها أخرى مثلها وهي:

أَصْحَوْتَ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هِرًّا
وَمِنَ الْحُبِّ جَنُونَ مُسْتَقِرًّا

ومن بعد له قصائد حسان جياذ.

وعبيد بن الأبرص، قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، لا أعرف له إلا قوله:

أقفر من أهله ملحوبُ
فالقَطِيبُ فالذَنوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك.

وعلقمة بن عبدة، وهو علقمة الفحل وعلقمة الخصي من رهط علقمة الفحل ولا بن عبدة ثلاث روايات جياذ لا يفوقهن شعر:

ذهبت من الهجران في كل مذهب
ولم يك حقاً كل هذا التجنبِ

والثانية:

طحا بك قلب في الحسانِ طروبُ
بُعَيْدِ الشَّبَابِ عصرَ حانِ مشيبُ

والثالثة:

هل ما علمت وما استودعت مكتومُ
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصرومُ

ولاشيء بعدهن يذكر.

نا أبو خليفة، أنا أبو عثمان المازني، عن الأصمعي، عن نافع بن أبي نعيم قال: مر رجل من مزينة بباب رجل من الأنصار، وقد كان يتهم بامرأته، فتمثل:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدى رب البيت عليه عمر، فقال له عمر: ما أردت؟ قال: وما علي في أن أنشدت شعراً! قال: قد كان له موضع غير هذا ثم أمر به فحد.

وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف، فلان لسانه وسهل منطقته، فحمل عليه شيء كثير، وتحليصه شديد واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر. وله أربع قصائد غرر روايات مبرزات، وله بعدهن شعر حسن، أولهن:

أرواح مودع أم بكور؟
أنت، فاعلم، لأي حال تصيرُ

نا أبو خليفة، أنا ابن سلام. قال: سمعت يونس وقد تمثل بهذا البيت:

أيها الشامت المعير بالدهرِ
أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيام
بل أنت جاهل مغرورُ

فقال: لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذه أو قال: مثل هذه. وقوله:

أتعرف رسم الدار من أم معبدٍ
نعم، فرماك الشوق قبل التجلدِ

وقوله:

ليس شيءٌ على المنونِ بباقي
غير وجهِ المُسبِّحِ الخلاقِ

وقوله:

لم أرَ مثلَ الفتيانِ في غبرِ الأيامِ
ينسونَ ما عواقبها

الطبقة الخامسة

وهم أربعة رهط: خدش بن زهير بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو، وهو فراس الضحياء، بن عامر بن صعصعة.

والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهمش بن دارم.

وأبو يزيد، المخبل بن ربيعة بن عوف قتال بن أنف الناقة بن قريع.

وتميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة.

فخدش شاعر. قال أبو عمرو بن العلاء: هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد.

وكان يهجو قريشاً، ويقال إن أباه قتلته قريش أيام الفجار، وهو الذي يقول:

أبي فارسُ الضحّياء عمرو بن عامر
أبي الذمِّ واختار الوفاء على الغدرِ

فيا أخوينا من أبنينا وأمنا،
إليكم إليكم، لا سبيل إلى جسرِ

وهو الذي يقول:

يا شدة ما شدّدنا غير كاذبة
على سخينة، لولا الليل والحرمُ

إذ يتّقينا هشامٌ بالوليد، ولو
أنا تقفنا هشاماً، شالتِ الجذمُ

سخينة: شيء تعير به قريش، فجعله اسماً لها. هشام والوليد: ابنا المغيرة المخزوميان.

وقال القصيدة المنصفة:

فأبلغ، إن عرضت، بنا هشاماً
وعبد الله أبلغ والوليدا

أولئك، إن يكن في الناس خيرٌ
فإن لديهم حسباً وجودا

هُمُ خَيْرُ الْمَعَاشِرِ مِنْ قَرِيشٍ
وَأُورَاهَا، إِذَا قَدَحْتَ، زَنُودَا
بِأَنَا يَوْمَ شَمْطَةِ قَدِ أَقْمَنَا
عَمُودَ الْمَجْدِ، إِنْ لَهُ عَمُودَا
فَجَاءُوا عَارِضاً بَرْدًا، وَجِئْنَا
كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الْغَابِ الْوَقُودَا
فَعَانَقْنَا الْكِمَاءَ وَعَانَقُونَا
عِرَاكَ النَّمْرِ وَاجْهَتِ الْأَسُودَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ هَزَمُوا وَفَلُّوا
وَلَا كَذِبَانَا عِنَقًا مَجْمُودَا

هشام والوليد: ابنا المغيرة، وعبد الله: ابن جدعان. وكان يعتمد على ابن جدعان بالهجاء، فزعموا أنه لما رآه ورأى جماله وجهارته وسيماه قال، والله لا أهجوه أبدًا. والأسود بن يعفر، يكنى أبا الجراح أخبرني يونس: أن رؤبة كان يقول: يعفر، بضم الياء والفاء، فقال يونس: يقال يُونس ويونس، ويوسف ويوسف. وكان الأسود شاعرًا فحلًا، وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم ويحمد، وله في ذلك أشعار. وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعتها بمثلها قدمناه على مرتبته، وهي:

نَامَ الْخَلْيُ وَمَا أَحْسُ رُقَادِي
وَالهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدِيَّ وَسَادِي

وله شعر جيد، ولا كهذه.

وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفصل يقول: له ثلاثون ومئة قصيدة.

ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه. وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي، ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا 0

وأسمعي بعض أهل الكوفة شعراً زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم، يرثى به حاجب بن زرارة. فقلت له: كيف يروى خالد مثل هذا، وهو من أهل العلم، وهذا شعر متداع خبيث؟ فقال: أخذناه من الثقات ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله.

وقال يمدح الحارث بن هشام بن المغيرة وكانت أسماء بنت مخربة النهشلية عند هشام بن المغيرة، فولدت له أبا جهل والحارث، ثم تزوجها أبو ربيعة بن المغيرة فأولدها عبد الله وعياشاً، وكان الحارث بن هشام قام بغزوة أحد، وكان له فيها أثر. فقال:

إِنَّ الْأَكَارِمَ مِنْ قَرِيشٍ كُلِّهَا
قَامُوا، فَرَامُوا الْأَمْرَ كُلَّ مَرَامٍ
حَتَّى إِذَا كَثُرَ التَّحَاوُلُ بَيْنَهُمْ
فَصَلَ الْأُمُورَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
وَسَمَا لِيُثْرِبَ لِأَيْرِيدِ طَعَامَهَا
إِلَّا لِيُصَلِّحَ أَهْلَهَا بِسُؤَامٍ

صمى، لما لقيت يهود، صمام!

وغزا اليهود فأسلموا أبناءهم،

والمخبل شاعر فحل وهو أبو يزيد، وله يقول الفرزدق:

وأبو يزيد وذو القُروح وجرولاً

وهب القصائد النوابع إذ مضوا

وللمخبل شعر كثير جيد؛ هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام سعد. وشعره كثير. وتيمم بن أبي بن مقبل، شاعر مجيد مغلب، غلب: عليه النجاشي، ولم يكن إليه في الشعر، وقد قهره في المهجاء فقال:

فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

إذا الله عادى أهل لؤمٍ ودقةٍ

ثم هاجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فغلبه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. وكان ابن مقبل حافياً في الدين، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية ويذكرها، فقيل له: تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم؟ فقال:

وقد زارها زوار عكّ وحميرا

ومالي لا أبكي الديار وأهلها،

فوقع في أعطاننا ثم طيراً

وجاء قطا الأجباب من كل جانب

الطبقة السادسة

أربعة رهط، لكل واحد منهم واحدة: أولهم عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وله قصيدة، التي أولها:

ولا تبقي خمور الأندرينا

ألاهي بصحنك فأصبحينا

والحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر ابن وائل. وله قصيدة التي أولها:

رب ثاو يمل منه الثواء

أذنتنا ببينها أسماء

وله شعر سوى هذا، وهو الذي يقول في شعره:

إنك لا تدري من الناتج

لا تكسع الشول بأعبارها

وعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس. وله قصيدة، وهي:

وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

وله شعر كثير، إلا أن هذه نادرة، فألحقوها مع أصحاب الواحدة.
وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر
بن بكر بن وائل، وله قصيدة، أولها:

بسطت رابعة الحبل لنا **فمددنا الحبل منها ما اتسع**

وله شعر كثير، ولكن برزت هذه على شعره. وهو الذي يقول:

جررت على راجي الهوادة منهم **وقد تلتحق المولى العنود الجرائر**

قال، حدثني أبو بكر عبد الله بن مصعب قال: لما خلع ابن الزبير يزيد بن معاوية، والمنذر بن الزبير يومئذ
بالبصرة، وعروة بن الزبير بمصر، شخصا إليه - ومسافتهما يومئذ غير متقاربة - فلما رآها تمثل ببيت
سويد:

جررت على راجي الهوادة منهم **وقد تلتحق المولى العنود الجرائر**

الطبقة السابعة

أربعة رهط محكمون مقلون، وفي أشعارهم قلة، فذاك الذي أحرهم.
منهم سلامة بن جندل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث، وهو مقاعس، بن عمرو بن كعب بن
سعد.

وحصين بن الحمام المريم، بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة، وهو فارس شاعر
شريف.

والمتملس، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس
بن ضبيعة بن ربيعة، ويقال ضبيعة أضجم، والأضجم: الحارث الخير بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن، وبه
ضجمت ربيعة، وكان سيذا. والمتلمس خال طرفة بن العبد، وإنما سمي المتملس لقوله:

فهذا أوان العرض حي ذبابه **زنابيره والأزرق المتملس**

والمسيب بن علس بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بلال بن خماعة
بن جلى بن أحمس بن ضبيعة. واسم المسيب: زهير، وإنما سمي المسيب حين أوعد بني عامر بن ذهل،
فقاتل بنو ضبيعة: قد سيناك والقوم. وهو حال الأعشى، وهو الذي يقول في القعقاع بن معبد بن
زرارة:

فلأهدين مع الرياح قصيدة **مني مغلغلة إلى القعقاع**

أنت الذي زعمت معد أنه

أهل التكرم والندى والباع

الطبقة الثامنة

أربعة رهط: عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.
والنمر بن تولب بن أقيش بن عبد الله بن كعب بن عوف بن الحارث بن عدي بن عوف بن عبد مناة بن
أد، وهو عكل.
وأوس بن غلفاء الهجيمي.
وعوف بن عطية بن الخرع، والخرع يقال له عمرو بن عيش بن ودبعة بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن
الحارث بن تيم ابن عبد مناة بن أد.
حدثني مسمع بن عبد الملك، وهو كردين، قال: قول امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قال: صاحبه الذي ذكر، عمرو بن قميئة. وبنو قيس تدعى بعض شعر امرئ القيس لعمرو بن قميئة،
وليس ذلك بشيء.
والنمر بن تولب جواد لا يليق شيئا، وكان شاعرا فصيحاً جريئاً على المنطق. وكان أبو عمرو بن العلاء
يسميه: الكيس، لحسن شعره.
وهو الذي يقول:

لا تغضبن على امرئ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فأغضب

وإذا تصبك خصاصة فارح الغني وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

وقال أيضاً:

عليهن يوم الورد حق وحرمة وهن غداة الغب عندك حقل

وقال أيضاً:

أقي حسبي به ويعز عرضي علي إذا الحفيظة أدركتني

وأعلم أن ستدركني المنايا فالأ أتبعها تتبعني

وقال أيضاً:

أعادل إن يصبح صدائي بفقرة بعيد ناني صاحبي وقريبي

ترى أن ما أنفقت لم يك ضررتي وأن الذي أفنيت كان نصيبي

وعمر عمرا طويلاً، فكان هجيره: أصبحوا الراكب! أعبقوا الراكب! لعادته التي كان عليها.
قال: وخرفت امرأة من العرب - عرب كرام لا أبالي أن لا أسميهم - وكانت تقول: زوجوني. فقال
عمر: ما لهج به أخو عكل أسرى مما لهجت به صاحبتيكم.
وذكر خلاد بن قره بن خالد السدوسي، عن أبيه، وعن سعيد بن إياس الجري، عن أبي العلاء يزيد بن
عبد الله بن الشخير أخي مطرف بن عبد الله قال: بينما نحن بهذا المربد جلوس، إذ أتى علينا أعرابي أشعث
الرأس فوقف علينا. فقلنا: والله لكأن هذا ليس من أهل هذا البلد! قال: أجل والله! وإذا معه قطعة من
جراب، أو أديم، فقال: هذا كتاب كتبه لي محمد رسول الله صلى الله عليه. فأخذناه فقرأناه، فإذا فيه:
بسم الله الرحمن الرحيم "هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه، لبني زهير بن أقيش - قال
الجري: هو حي من عكل - إنكم إن شهدتم أن لا إله الله وأني رسول الله وأقمتم الصلاة، وآتيتم
الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخمس من الغنائم، وسهم ذي القربى، والصفى - وربما قال: وصفية
- فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله".

فقال لهم القوم: حدثنا، أصلحك الله، بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه. قال: سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول: صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وحر الصدر. فقال له
القوم: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه؟ قال: ألا أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله
صلى الله عليه؟ لا حدثتكم حديثاً! ثم أوماً بيده إلى صحيفته، ثم انصاع مدبراً.
ففي حديث قره عن يزيد، فقييل لي لما ولي: هذا النمر بن تولب العكلي الشاعر.
وعوف بن الخرع جيد الشعر، وهو الذي يرد على لقيط ابن زرارة قبيله:

أَحَقُّ مَالٍ فَكَلُوهُ بِأَكْلٍ
أَمْوَالُ تَيْمٍ وَعَدِيٍّ وَعُكْلٍ
يَا ضَبُّ كُنْ عَمَّا كَرِيماً وَاعْتَزَلْ
ذَرْنَا وَتَيْمًا وَعَدِيًّا نَنْتَضِلْ

وقال:

فَأَمَّا الْأَلَمَانِ بُنُو عَدِيٍّ
وَتَيْمٍ حِينَ تَزْدَحِمُ الْأُمُورُ
فَلَا تَشْهَدْ بِهِمْ فِتْيَانَ حَرْبٍ
وَلَكِنْ أَدْنَى مِنْ حَلَبٍ وَغَيْرِ
إِذَا دَهَنُوا رِمَاحَهُمْ بَرِيدٍ
فَإِنْ رِمَاحَ تَيْمٍ لَا تُضِيرُ

فقال عوف بن الخرع:

هَلَا غَضِبْتَ عَلَى ابْنِ أُمَّكَ مَعْبِدٍ
وَالْعَامِرِيُّ يُقُوْدُهُ بِصِفَادٍ
أَذْكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرِبَةً
وَالْخَيْلُ تَعْدُو فِي الصَّعِيدِ بَدَادٍ

هَلَا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُمْ؟

لَا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغِرَاثُ نَبَاتَهُ

وعوف يقول أيضا:

يَاقُرَّةَ بْنَ هُبَيْرَةَ ابْنَ أَقْيَشِرٍ

وأوس بن خلفاء الذي يقول:

أَلَا قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ:

ذَرِينِي إِنَّمَا خَطَايِي وَصَوْبِي

وهو الذي يرد على يزيد بن الصعق قوله:

إِذَا مَامَاتِ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ

وقوله:

أَلَا أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ

فقال أوس بن خلفاء:

عُشْرٌ تَتَاوَحُّ فِي سَرَارَةٍ وَادٍ

كَلًّا وَلَيْسَ عِمَادُهُ بِعِمَادٍ

يَا سَيِّدَ السَّلَامَاتِ إِنَّكَ تَظْلُمُ!

تَقَطَّعَ بِأَيْنِ غَلْفَاءِ الْحِبَالِ!

عَلَيَّ وَإِنَّ مَا أَهْلَكْتُ مَالٌ

فَسَرَّكَ أَنْ يَعْيشَ فَجِيءٌ بَزَادٍ

بِأَيَّةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

كُمَزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

بَدَتْ أُمَّ الشُّؤُونِ عَنِ الْعِظَامِ

شَرَنْبِنَةُ الْأَصَابِعِ أُمَّ هَامِ

وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ

هُمْ ضَرْبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى

إِذَا يَأْسُونَهَا نَشَرْتَ عَلَيْهِمْ

وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارِي

وقال أيضا:

هُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ فَلَمْ تُبَيِّنْ

وَهُمْ مَنُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُنْبَهُمْ

لِحَقِّ: مَا الْأَغْرُ مِنَ الْبَهِيمِ

ثَوَابَ الْمِرَّةِ ذِي الْحَسَبِ الْكَرِيمِ

الطبقة التاسعة

أربعة رهط: ضايء بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن خاذل ابن قيس القبيلة بن حنظلة بن مالك، من البراجم.

وسويد بن كراع العكلي.

والحويدرة، واسمه قطبة بن محسن بن جرول بن حبيب الأعظ بن عبيج الغزي بن حزيمة بن رزام بن مازن

بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان.

وسحيم، عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاب بن كعب بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه.

قال: وكان ضايء بن الحارث بديا كثير الشر، وكان بالمدينة، وكان صاحب صيد وصاحب خيل، فركب فرسا به يقال له قيار، - وكان ضعيف البصر - ولقيار يقول:

فَمَنْ يَكُ أَمْسِي بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّاراً بِهَا لَغْرِيْبُ

يقول: إني بها لغريب، وقياراً أيضا.

ثم إنه وطيء صبيا دابته فقتله، فرفع إلى عثمان بن عفان، فاعتذر بضغف بصره وقال: لم أره ولم أعمده. فحبسه عثمان ما حبسه، ثم تخلص.

وكان استعار كلب صيد من قوم من بني نمشل، يقال له قرحان، فحبسه حولا، ثم جاؤوا يطلبونه وألحوا عليه حتى أخذوه، فقال ضايء:

تَجَشَّمُ دُونِي وَقَدْ قُرْحَانَ خُطَّةً تَظَلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَأَرْدَفْتُهُمْ كَلْباً فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَّاهُمْ بِتَاجِ الْمَرْزُبَانِ أَمِيرُ
فَأَمَّكُمْ لَا تَتْرَكُوها وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْأَمَّهَاتِ كَبِيرُ
إِذَا عَنَّتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً يَظَلُّ لَهَا فَوْقَ الْفِرَاشِ هَرِيرُ

فاستعدوا عليه عند عثمان. فقال: ويلك! ما سمعت أحدا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك! وإني لأراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه لأنزل فيك قرآنا، ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك. فحبسه في السجن.

فعرض أهل السجن يوما، فإذا هو قد أعد حديدة يريد أن يغتال عثمان بها، فأهانته وركسه في السجن، فقال:

لَا يُعْطِينُ بَعْدِي امْرُؤٌ ضَيْمَ خُطَّةٍ حَذَارَ لِقَاءِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتِ نَائِلُهُ

فَلَا تَتَّبِعْنِي إِنْ هَلَكْتُ مَلَامَةً فَلَيْسَ بَعَارٍ قَتْلُ مَنْ لَا تُقَاتِلُهُ
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ
وَمَا الْفَتْنُ مَا أَمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَّتَ أَنْكَ فَاعِلُهُ

وقائلة: لا يُبعد الله ضابئاً

وقائلة: إن مات في السجن ضابئاً

وقائلة: لا يُبعد الله ضابئاً

ولم يزل ضابئاً في السجن حتى مات.

فلما قتل عثمان وثب عمير ابنه على عثمان بعد أن قتل فيقال إنه كسر صلبه، أو كسر ضلعا له. فلما قدم الحجاج العراق، والمهلب بإزاء الأزارقة قد أرفض عنه أصحابه، فنادى الحجاج في بعث المهلب وأجلهم ثلاثاً. فجاء عمير بن ضابئ، وقد كبر يومئذ، بابن له شاب إلى الحجاج، فقال: أيها الأمير، إني قد كبرت، وهذا ابني شاب جلد يقوم مقامي. فهم بقبوله، فقال له عنيسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا عمير، صاحب أمير المؤمنين عثمان! فقدمه فضرب عنقه. فذعر الناس، فخرجوا إلى المهلب. فلما تساقطوا عليه، قال: لقد قدم العراق أمير ذكر.

وقال في ذلك عبد الله بن زبير الأسدي:

تَجَهَّزْ فَإِذَا أَنْ تَرُورَ ابْنَ ضَابِيءٍ

هُمَا خَطْنَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا

وسويد بن كراع العكلي، وكان شاعراً محكماً، وكان رجل بني عكل، وذا الرأي والتقدم فيهم.

قال: وكان بعض بني عدي تيم ضرب رجلا من بني ضبة ثم من بني السيد - وهم قوم نكد شرس، وهم أحوال الفرزدق - فتجمعوا حتى ألم أن يكون بينهم قتال. فجاء رجل من بني عدي، فأعطاه يده رهينة لينظر ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة بن الطيفان، أحد أحلاف بني عبد الله بن دارم:

أَسْأَلُ إِنْ لِي إِخَالِكُ سَالِمًا

أَسْأَلُ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْ شَرِّ هَذِهِ

أَسْأَلُ مَا أُعْطِيَ ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا

فقال سويد بن كراع - وعكل وتيم وعدي وضبة إخوة، وهم الرباب - يرد على ابن الطيفان دخوله

بينهم:

أَشَاعَرَ عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ لَائِمًا

تُحَضِّضُ أَفْنَاءَ الرَّبَابِ سَفَاهَةً

وَهَلْ عَجَبٌ أَنْ تُدْرِكَ السَّيِّدُ وَتَرَهَا؟

فَأِنِّي لَمَّا تَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ لَائِمٌ

وَعَرَضُكَ مَوْتُورٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ

وَتَصْبِرُ لِلْحَقِّ السَّرَاةَ الْأَكْرَامُ

وَأَعْطَيْتَ يَرْبُوعاً وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ
وَلَكِنْ مَتَى تُظَا فَايُنَّكَ رَائِمٌ

رَأَيْتَكَ لَمْ تَمْنَعِ طُهْيَةَ حَكْمَهَا
وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَقْبَلُ الصَّلْحَ طَائِعاً

وقال أيضا:

أَنَاراً تَرَى مِنْ ذِي أْبَا نَيْنِ أَمْ بَرَقَا؟
تُغَادِرُ مَاءً لَا قَلِيلاً وَلَا رَنْقَا
مِنْ الرِّيحِ تَرَاهَا وَتَعْفَقُهَا عَفَا
بَأُوبِيَةِ سَفَرٍ: أَنْ تَكُونَ لَهَا وَفَقَا

خَلِيلِي قَوْمًا فِي عَطَالَةٍ فَاظْطَرَا
فَإِنْ يَكُ بَرَقٌ فَهُوَ بَرَقٌ سَحَابَةٍ
وَإِنْ تَكُ نَارٌ فَهِيَ نَارٌ بَمُلْتَقَى
لَأُ عَلِيٍّ أَوْ قَدْتَهَا طَمَاعَةً

وهو الذي يقول:

وَإِنْ تَتْرُكَانِي أَحْمُ عَرِضاً مُنَمَّعاً

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَانَ أَزْدَجِرُ

وقوله: تزجراني، وتتركاني، وإنما يريد واحداً، وقد تفعل هذا العرب، قال الفرزدق:

عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

عَشِيَّةً سَالِ المَرِيْدَانِ كِلَاهُمَا

وقال أيضا:

لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ

وقال أبو ذؤيب:

وَيُنْشَرُ فِي القَتْلِ كَلِيْبُ الطَّوَالِعُ

وَحَتَّى يُوُوبَ القَارِظَانَ كِلَاهُمَا

وهو رجل واحد من عترة، ذهب أن يجتني القرظ، فلم يثبت أنه رجع.

وقول بشر بن أبي خازم يدل على أنه واحد:

إِذَا مَا القَارِظُ العَنْزِيُّ أَبَا

فَرَجِّي الخَيْرَ وَأَنْتَظِرِي إِيَابِي

وقال العجاج: لا تحسبنَّ الحنْدَقَيْنِ والحَفْرَ وهو خندق واحد.

أخبرني يونس بن حبيب: أن رجلاً من بني السيد قتل رجلاً من قومه، فأتاهم الفرزدق، وهم

أحواله، فعرض عليهم الدية وأن يرهنهم ابنه بذلك، فخافوا شره، وأن لا يستطيعوا الإقدام عليه، فأبوا.

فقال الفرزدق:

لَأُفْدِي بَابِنِي مِنْ رَدَى المَوْتِ خَالِيَاً

أَلَمْ تَرَنِي أَرْمَعْتُ وَثْبَةَ حَازِمِ

وَيُحْيُونَ كَالغَيْثِ العِظَامِ البَوَالِيَا

وَكَنتُ ابْنَ أَشْيَاحٍ يُجِيرُونَ مَنْ جَنِي

بَطِيئاً عَنِ الدَّاعِي وَلا مُتَوَانِيَاً

وَلَمَّا دَعَانِي وَهُوَ يَرْسُفُ لَمْ أَكُنْ

شَدَدْتُ لِأَحْنَاءِ الْأُورِ إِزَارِيَا
عَلَىٰ فَايِي لَا تَصِيْقُ ذِرَاعِيَا
بِمَقْتُولِهِمْ عِنْدَ الْمَقَادَةِ غَالِيَا
وَصَعَصَعَةَ الْفَكَكُ مِنْ كَانَ عَانِيَا
وَرُشْدَ أَتَى السَّيِّدِي مَا كَانَ غَاوِيَا
وَإِلَّا فَايِي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

شَدَدْتُ عَلَىٰ نِصْفِي إِزَارِي وَرُبَّمَا
وَقَلْتُ أَشْطُوَا يَا بَنِي السَّيِّدِ حُكْمُكُمْ
عَرَضْتُ عَلَى السَّيِّدِ الْأَشَائِمِ مُوفِيَا
غُلَامًا أَبُوهُ الْمُسْتَجَارُ بِقَبْرِهِ
إِذَا خَيْرَ السَّيِّدِي بَيْنَ غَوَايَةِ
فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةِ

وقال بعد ذلك يفتخر بهم:

نَمُونِي لِلْعَلَىٰ وَبَنُو ضِرَارِ

بَنُو السَّيِّدِ الْأَشَائِمِ لِلْأَعَادِي

حدثني حاجب بن يزيد، عن أبيه قال: إن جريراً كان ينشد هذه الأبيات وشيخ من ثعلبة بن يربوع، يقول له العقار بن النحار - أو النحار بن العقار - قاعد بالماء قد شد له حاجباه من الكبر، حين قال جرير - وضبه كلها ثعلبة وبكر ابنا سعد بن ضبة - فذكر أحوال الفرزدق:

بِسُوءٍ وَلَكِنِّي عَنَبْتُ عَلَىٰ بَكْرِ
أَرَىٰ لَكُمْ سِتْرًا فَلَا تَهْتَكُوا سِتْرِي
فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مُثْرِي
لَا السَّيِّدُ إِذْ يَنْحِطْنَ فِي الْأَسْلِ السُّمْرِ
وَلَا نَقْلَانَ الْخَيْلِ مِنْ قُنْتِي يُسْرِ

أَتَعْلَبَ أُولِي خَلْفَةٍ مَا ذَكَرْتُمْ
أَتَعْلَبَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مَذْعَرَفْتُمْ
فَلَا تَوْبِسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى
فَمَا شَهَدْتُ يَوْمَ النَّقَا خَيْلُ هَاجِرِ
وَمَا شَهَدْتُ يَوْمَ الْغَبِيظِ مُجَاشِعِ

ويوم النقا: يوم قتل فيه بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين، قتله ثعلبة بن سعد بن ضبة دون بكر، والغبيظ: أسرت فيه يربوع بسطاما.

قال حاجب في حديثه: فلما أنشد جرير:

الْغَبِيظِ مُجَاشِعِ

وَمَا شَهَدْتُ يَوْمَ

قال الشيخ الثعلبي: من المنشد؟ قالوا: أحد بني الخطفي. قال الشيخ: ولا كليب والأجل ما شهدت، ما كنا إلا سبعة فوارس من ثعلبة ابن يربوع. وقال معاوية الضبي:

وَحَتَّىٰ أَرَىٰ صَمَّ الْجِبَالِ تَكَلَّمُ

فَهَذَا مَكَانِي أَوْ أَرَى الْقَارَ مُغْرَبًا

يريد أنه لا يبرحها أبداً، كما أن القار لا يكون مغرباً، والجبال لا تكلم. وقد تقول العرب: حتى يكون كذا وكذا، لما لا يكون أبداً، فيقولون: "حتى تطلع الشمس من مغربها" و "حتى تقع السماء على الأرض" و "حتى يرجع الدر في الضرع" وهذا كله عندهم مما لا يكون. وقال الله عز وجل: "حتى يلج الجمل في سم الخياط" "سورة الأعراف: 40" لما لا يكون، وقال النابغة الذبياني لعامر بن طفيل:

وإنك سوف تحلم أو تنتهي إذا ما شبت أو شاب الغراب

وقال النمر بن تولب:

وقولي، إذا ما أطلقوا عن بعيرهم: يلاقونه حتى يؤوب المنخل

أي لا يلاقونه أبداً، وكذلك قول أبي ذؤيب:

وحتى يؤوب القارطان كلاهما ويُنشر في القتلى كليب لوائل

وقال بشر بن أبي حازم:

فرجى الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزى أباً

فهذا عندهم مما لا يكون، لأن الغراب لا يشيب، ومن مات عندهم لم يرجع.

والثالث: الحويدرة، وهو شاعر، وهو يقول في كلمة له طويلة:

رحلت سمية غدوة فتمتع وكدت غدو مفارق لم يربع

وتزودت عيني غداة لقيتها بلوي غنيزة نظرة لم تنقع

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنصب الغزال الأتلع

وبمقلة حوراء تحسب طرفها وسنان حررة مستهل الأدمع

والرابع: عبد بني الحسحاس. وهو حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام.

ذكروا عن عثمان بن عفان أنه أتى بعبد من عبيد العرب نافذ، فأراد شراؤه، فقيل له: إنه شاعر. قال: لا

حاجة لي به، إن الشاعر لا حريم له. ويقال إنه عبد بني الحسحاس، وذلك قبل خلافة عثمان.

وأنشد عمر بن الخطاب قوله:

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب الإسلام للمرء ناهياً

فقال: لو قلت شعرك مثل هذا أعطيتك عليه. فلما قال:

فبات وسادانا إلي علجانة وحقف تهاده الرياح تهادياً

وهبت شمال آخر الليل قرّة ولا ثوب إلا درعها وردائياً

إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبُ بَالِيَا

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا

فقال له عمر: ويلك! إنك مقتول! وقال أيضا:

عَرَقَ عَلَى مَتْنِ الْفِرَاشِ وَطِيبُ

وَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ كَرِيمَةٍ بَعْضِهِمْ

فأخذه شارباً ثملاً، فعرضوا عليه نسوة، حتى مرت عليه التي يظنونها به، فأهوى لها، فأخذه فقتلوه لما تحقق عندهم.

الطبقة العاشرة

وهي آخر الطبقات، وهم أربعة رهط: أولهم: أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله، سراييل الموت - كان شاعراً سيّداً - بن زهرة بن زينة بن جندع بن ليث بن بكر عبد مناة بن كنانة. وحرث بن محفظ.

والكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعمس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية. وعمرو بن شأس بن أبي بلي، واسمه عبيد بن ثعلبة بن ذويبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمية.

وكان أمية بن حرثان بن الأسكر قديماً، وعمر في الجاهلية عمراً طويلاً، وألفاه الإسلام هرماً. وله شعر في الجاهلية، وشعر في الإسلام.

وكان ابنه كلاب وأخوه هاجرا إلى البصرة أيام عمر بعد ما كبر الشيخ وكف بصره فقال:

كُتِبَ اللَّهُ إِنَّ حَفِظَ الْكِتَابَا؟

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا

عَلَى بَيضَاتِهَا ذَكَرَا كِلَابَا

إِذَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَجِّ

وَأَمَّكَ مَا تُسَبِّغُ لَهَا شَرَابَا

تَرَكَتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ

وقال أيضا:

لَهُ عَمَدَ الْحَجِيجِ إِلَى بُصَاقِ

سَأَسْتَأْذِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا

إِلَى شَيْخَيْنِ هَامُهُمَا زَوَاقِي

إِنَّ الْفَارُوقَ لَمْ يَرُدُّدْ كِلَابَا

فكتب عمر إلى أبي موسى بإشخاصه، فلم يرع أمية إلا ببابه يقرع، فقال: إن كان كلاب في الناس حيا إنه هو.

وخطبة كلاب، البصرة، في بني سليم، يقال لها: مربعة كلاب، وتقول لها العامة: مربعة الكلاب، بلا علم.

ومر بأمية غلام له، وهو يثو التراب على رأسه هرما ودلها، فقام ينظر إليه، فأفاق إفاقة فرآه قائما ينظر إليه، فقال:

أصَبَحْتُ فَنَّا لِرَاعِي الضَّانِ أُعْجِبُهُ
إِنْ تَرَ عَ ضَانًا فَإِنِّي قَدْ رُزِيتُهُمْ
يَا ابْنِي أُمِّيَّةَ؟ إِنِّي عَنكُمَا غَانِي
مَآذَا يَرِيكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ
بِيضَ الوُجُوهِ، بَنِي عَمِّ وَإِخْوَانِي
وَمَا غِنَائِي إِلَّا أَنَّنِي فَانِي

يَا ابْنِي أُمِّيَّةَ إِلَّا تَشْهَدَا كِبْرِي

الثاني: حريث بن محفظ المازني، وهو جاهلي إسلامي له في الجاهلية أشعار. وهو الذي يقول:

وَنَحْنُ طَرَدْنَا الحَيَّ بَكَرَ بِنِ وَأَثَلِ
وَمُومٍ وَطَاعُونَ وَحَصْبَةَ قَاتِلِ
وَحُكْمَ عَدُوٍّ لَا هَوَادَةَ عِنْدَهُ
إِلَى سَنَةِ مِثْلِ السَّنَانِ وَنَارِ
وَدِي لِبَدٍ يَغْشَى المُهْجَجَ ضَارِي
وَمَنْزِلِ ذُلِّ فِي الحَيَاةِ وَعَارِ

يعني محل بكر بن وائل، وهو السواد، والسواد أوبأ البلاد على الرجال والإبل من البر. وقوله: "وحكم عدو" يعني حكما للعجم على بكر بن وائل، فذلك قوله: "وحكم عدو لا هوادة عنده". وقال أيضا:

تَقُولُ ابْنَةُ الضَّبِيِّ يَوْمَ لَقِيْتُهَا:
فَإِن تَعْجَبِي مِنِّي عُمَيْرٌ فَقَدْ أَنْتِ
إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيْبُ سَرَائِهِمْ
تَغَيَّرَتْ حَتَّى كَذَبْتُ مِنْكَ أَهَالُ
لِيَالٍ وَأَيَّامٍ عَلَى طِوَالِ
كَذَلِكَ وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَفَعَالُ

وقال:

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ أَجَابُوا
هُمْ حَفِظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظًا
بُنُو المَجْدِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَإِنْ يَغْضَبُ عَلَيَّ القَوْمُ يَغْضَبُوا
لِقَوْمِي أُخْرَى مِثْلَهَا إِنْ تَغَيَّبُوا
وَأَبَاؤُهُمْ أَبَاءُ صِدْقٍ فَأَنْجَبُوا

قال ابن دأب: أدخل الحارث بن نوفل بن الحارث ابن المطلب على معاوية فتيانا من فتیان بني عبد مناف، فقال معاوية: هؤلاء كما قال أخو بني مازن:

بُنُو المَجْدِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأَبَاؤُهُمْ أَبَاءُ صِدْقٍ فَأَنْجَبُوا

قال أبو عبد الله، قال الحجاج وهو على المنبر: أنتم والله يا أهل الشام كما قال القائل:

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم

وأباؤهم آباء صدق فأنجبوا

وحريث تحت منبر، فقال: أنا قاتلة أيها الأمير: فقال: كذبت، ذاك حريث بن محفظ. قال: أنا حريث!
قال: فما حملك على الرد على هكذا؟ قال: ما ملكت حين تمثل الأمير بشعري أن أخبرته بمكاني.
والثالث: الكميت بن معروف، وهو شاعر - وجده الكميت بن ثعلبة شاعر - وكميت بن يزيد الآخر
شاعر. والكميت ابن معروف الأوسط أشعرهم قريحة، والكميت بن زيد أكثرهم شعرا.
قال الكميت بن معروف:

وغيرُ الأعالي من خفاف فوارغ:

أقولُ لندمانِي والحزنُ بيْنَا

لعينيك أم برق من الليل لامع؟

أنا ربَّت بينَ المسناةِ والحمى

لها ريقٌ لم يخلف الشيم راعٍ

فإن يك برقاً فهو برقٌ مخيلةٍ

قلوصٌ وتزهاها الرياح الزعازعُ

وإن تك نارٌ فهي نارٌ تشبها

أراك وسدرٌ بالمراضين يانعٍ

وما مغزلٌ أدماء مرتع طفلهَا

سليه يُخبرنا متى هو راجع؟

بأحسنَ منها يوم قالت لتربها:

يُحيطُ له علمٌ بما اللهُ صانعُ

فقلتُ لها: واللهِ ما من مسافرٍ

والرابع: عمرو بن شأس، كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، أكثر أهل طبقتهم شعرا. وكان ذا قدر وشرف
ومتلة في قومه.

جاوره رجل من بني عامر بن صعصعة، ومع العامري بنت له جميلة، فخطبها، فقال له العامري: أما ما
دمت في جوارك فلا تتزل مني على الاقتسار والقهر، ولكن إذا رجعت إلى قومي فاحطبها. فغضب عمرو
وآلى يمينا أن يتزوجها أبدا، إلا أن يصيبها سباء. فلما رجع الرجل إلى قومه أراد عمرو غزوهم، ثم قال:
قد كان بيني وبين الرجل عهد وميثاق وجوار! فاستحيي وتدمم أن يفعل، وقال:

كفى لمطايانا برياك هاديا

إذا نحنُ أدلجنا وأنتِ أمامنا

مبيبة منا تثير النواديا

ولولا اتقاء الله والعهدُ قد رأى

وأجره لما تحفظ عاديا

ونحنُ بنو خير السباع أكيلة

وباد إذا عدوا فأكرم باديا

لنا حاضرٌ لم يحضر الناس مثله

قال: ونزل رجل من بني حنظلة بإبل له عظيمة في جوار بني سعد بن ثعلبة دودان بن أسد بن خزيمه، رهط عمرو بن شأس، فأقام فيهم سنوات ثم رحل عنهم. فأغارت طيء على إبله فذهبوا بها، فرجع إلى بني سعد بن ثعلبة، فقال: قد برئت ذمتكم، ولكني أصبت، وقد عدت على طيء: فركب معه بني سعد إلى طيء، فأخذوا أكثر إبله وأدوه إلى مأمنه، فقال عمرو بن شأس:

أَبَانَا لِقَاحَ الْحَنْظَلِيِّ بِمِثْلِهَا لِقَاحاً وَقُلْنَا: دُونَكَ أَبْنِ مَكْدَمَ
وَقَاءٍ وَلَمْ تُشْرِفْ عَلَيْهِ نَفْسُنَا حَنَاجِرُهَا كَأَنَّهَا صَوَّغُ حَنْتَمَ

وكان لعمرو ابن يقال له عرار، من أمة سوداء، وكانت امرأته تؤذيه وتستخف به، فقال عمرو في كلمة له:

أَرَادَتْ عِرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَارَ الْعَمْرِيِّ بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
وَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكَبِ الْعَمَمِ
وَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تَلْقَيْتَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشُّيْمِ
فَإِنْ كُنْتُ مِنْي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رَبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ
وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَا سَارَ رَاكِبٌ تَعَجَّلَ خِمْساً لَيْسَ فِي سَيْرِهِ أَمَمٌ

وقال عمرو في كلمة له طويلة:

مَتَى تَعْرِفِ الْعَيْنَانِ أَطْلَالَ دِمْنَةٍ لِلْيَلِيِّ بِأَفْلَى ذِي مَعَارِكِ تَدْمَعَا
عَلَى النَّحْرِ وَالسَّرْبَالِ حَتَّى تَبْلُغَهُ رَشَاشاً وَلَمْ تَجْزِعِ إِلَى الدَّارِ مَجْزَعَا
خَلِيلِي عَوْجَا الْيَوْمِ نَقْضِ لُبَانَةٍ وَإِلَّا تَعُوجَا الْيَوْمَ لَا نَنْطَلِقُ مَعَا
وَإِنْ تَنْظُرْ أَنِي الْيَوْمَ أُتْبِعُكُمْ غَدَاً أَدَلَّ قِيَاداً مِنْ جَنِيبٍ وَأَطْوَعَا
وَقَدْ زَعَمَا أَنْ قَدْ أَمَلَّ عَلَيْهِمَا ثَوَائِي وَقَوْلِي كُلَّمَا ارْتَحَلَا أُرْبَعَا
وَمَا لَبِثَ فِي الْحَيِّ يَوْمًا وَلَيْلَةً بَزَائِدِ مَا قَدْ فَاتَ صَيْفًا وَمَرَبَعَا
فَجُودًا لِهِنْدٍ فِي الْكَرَامَةِ مِنْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ تَمْنَعَا بَعْدُ فَاْمْنَعَا

انقضى خير العشر الطبقات.

طبقة أصحاب المراثي

قال: وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات.

أولهم: متمم بن نويرة بن حمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، رثى أخاه مالكا.

والخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة، رثت أخويها صخرًا ومعاوية.

وأعشى باهلة - واسمه عامر بن الحارث بن رياح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن - رثى المنتشر بن وهب بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو ابن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن.

وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة - أو علقمة - بن عوف بن رفاعة، أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر، رثى أخاه أبا المغوار.

والمقدم عندنا متمم بن نويرة، ويكنى أبا نهمشل، رثى أخاه مالك بن نويرة، وكان قبله خالد بن الوليد بن المغيرة، حين وجهه أبو بكر، رضى الله عنه، إلى أهل الردة. فمن الحديث ما جاء على وجهه، ومنه ما ذهب معناه علينا، للاختلاف فيه. وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على ما نريد. وقد سمعت فيه أقاويل شتى، غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر قتله، وقام على خالد فيه وأغلظ له، وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله.

وكان مالك رجلاً شريفاً فارساً شاعراً، وكانت فيه خيلاء وتقدم، وكان ذالمة كبيرة، وكان يقال له الجفول. وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب، فولاه صدقات قومه بني يربوع. فلما قبض النبي صلى الله عليه اضطررب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما في يديه من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع ابن حابس المجاشعي والقعقاع بن معبد بن زرازة الدارمي، فقالا له: إن لهذا الأمر قائماً وطالبا، فلا تعدل بتفرقة ما في يديك. فقال:

بِبُرْقَةٍ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
وَصَاحِبِكَ الْأَقْبِرِغُ تَلْحِيَانِي
وَلَمْ تَرَعْشُ يَدَايَ وَلَا بَنَانِي

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى
تُمْشِي يَا ابْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ
حَمَيْتُ جَمِيعَهَا بِالسَّيْفِ صَلْتًا

عوذة: يعني أم القعقاع، وهي معاذة: بنت ضرار بن عمرو .
وقال:

وَلَا نَاطِرٍ فِيمَا يَجِيءُ مِنَ الْغَدِ
مَنْعَنَا وَقَلْنَا: الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ

وَقَاتُ: خَذُوا أَمْوَالَكُمْ غَيْرِ خَائِفٍ
فَإِنْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْمُخَوَّفِ قَائِمٌ

فطرق خالد مالكا وقومه - وهم على ماء لهم يقال له البعوضة تحت الليل -، فذعرهم، وأخذوا السلاح. فكان في حجة خالد عليهم، أنه أنظرهم إلى وقت الأذان فلم يسمع أذانا. وتقول بنو تميم: إنه لما هجم عليهم خالد قال: من أنتم؟ قالوا: المسلمون. قال: ونحن المسلمون، فما بال السلاح؟ قالوا: ذعر تمونا! قال: فضعوا السلاح.

والجتماع عليه: أن خالداً حاوره وراده، وأن مالكاً سمح بالصلاة والتوى بالزكاة. فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً، لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ قال: قد كان يقول ذلك صاحبكم! قال: وما تراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك. ثم تحاولا، فقال له خالد: إني قاتلك. قال: وبذا أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد! والله لا أقيلك.

فيقول من عذر مالكا: إنه أراد بقوله: "صاحبك" أنه أراد القرشية. وتأول خالد غير ذلك فقال: إنه إنكار منه للنبوة. وتقول: بنو مخزوم: إن عمرو بن العاص قال لخالد - وقد كان لقيه وهو منصرف من عمان، وكان النبي صلى الله عليه وجهه إلى ابن الجلمي - فقال لخالد: يا أبا سليمان، إن رأيت عينك مالكا فلا تزايله حتى تقتله.

وكان خالد يحتج على مالك بأشعاره التي كتبنا. وكلم أبو قتاده الأنصاري خالداً في ذلك كلاماً شديداً فلم يقبله، فألى يمينا أن لا يسير تحت راية أميرها خالداً أبداً. وقال له عبد الله بن عمر، وهو في القوم يومئذ: يا خالد، أبعث شهادة أبي قتادة؟ فأعرض عنه. ثم عاوده، فقال: يا أبا عبد الرحمن، اسكت عن هذا، فإني أعلم ما لا تعلم. فأمر ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه، ففعل.

قال ابن سلام: سمعني يونس يوماً أراد التميمية في خالد وأعذره، فقال: يا أبا عبد الله، أما سمعت بساقي أم تميم؟ وصارت أم تميم إلى خالد بنكاح أو سباء، وعابه عليه عمر بن الخطاب قال: قتلت امرأ مسلماً ووثبت على امرأته بعقرباء، يوم بني حنيفة.

قال: ومن أحسن ما سمعت من عذر خالد، ما ذكروا أن عمر قال لمتمم بن نويرة: ما بلغ من جزعك على أخيك؟ - وكان متمم أعور - قال: بكيت عليه بعيني الصحيحة حتى نفذ ماؤها، فأسعدتها أختها الذاهبة. فقال: عمر لو كنت شاعراً لقلت في أخي أجود مما قلت. قال أمير المؤمنين، لو كان أخي أصيب مصاب أخيك ما بكيته. فقال عمر: ما عزائي أحد عنه بأحسن مما عزيتني.

وبكى متمم مالكا فأكثر وأجاد، والمقدمة منهن قوله:

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بَتَّابِينَ هَالِكٍ **وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ وَأَوْجَعًا**

قال ابن سلام: وأخبرني يونس بن حبيب: أن التأبين مدح الميت والثناء عليه، قال رؤبة:

فَامْدَحْ بِلَا غَيْرَ مَا مُؤَبِّنِ

والمدح للحي.

وبكت الخنساء أخويها صخرًا ومعاوية. فأما صخر فقتلته بنو أسد، وأما معاوية فقتلته بنو مرة غطفان. فقالت في صخر كلمتها التي تقول فيها:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وقالت في معاوية:

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أَمْ مَالَهَا؟

لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا

وقالت في صخر الكلمة الأخرى:

أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْنُكَ تَهْمَلُ

وَتَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَفِي الدَّهْرِ مَذْهَلُ

وأعشى باهلة، رثى المنتشر بن وهب الباهلي، قتيل بني الحارث بن كعب فقال في كلمته:

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ وَمُصْبَحَهُ

مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَجَعَ

وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَفْتَقَرُ

إِنِّي أَشَدُّ حَزِيمِي ثُمَّ يُدْرِكُنِي

مِنْكَ الْبَلَاءُ وَمِنْ آلائِكَ الذِّكْرُ

فَإِنْ جَزَعْنَا فَمَثَلُ الشَّرِّ أَجْزَعَنَا

وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صَبْرُ

إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا

فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرُ

لَا يُصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ

وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمِرُ

والرابع: كعب بن سعد الغنوي، رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها:

فَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى

فَكَيْفَ وَهَذِي رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ!

وَمَاءُ سَمَاءٍ كَانَ غَيْرَ مَحَمَّةٍ

بِذَاوِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ

وَمَنْزِلَةٌ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ

وَمَا أُقَاتَلَ فِي حُكْمِ عَلِيٍّ طَبِيبُ

فَلَوْ كَانَتْ الْمَوْتَى تُبَاغُ أَشْتَرِيئُهُ

بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النَّفُوسُ تَطِيبُ

بِعَيْبِيٍّ أَوْ كَلْنَا يَدَيَّ وَقِيلَ لِي

هُوَ الْغَانِمُ الْجَدْلَانُ حِينَ يُوُوبُ

وَدَاعِ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى؟

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ

فَقُلْتُ: ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتِ دَعْوَةً

لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

شعراء القرى العربية

وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين. وأشعرهن قرية المدينة. شعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس. فمن الخزرج، من بني النجار: حسان بن ثابت. ومن بني سلمة: كعب بن مالك. ومن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة. ومن الأوس: قيس بن الخطيم، من بني ظفر. وأبو قيس بن الأسلت، من بني عمرو بن عوف.

أشعرهم حسان بن ثابت. وهو كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضدت قريش واستببت، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى. وكان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام، من سادة قومه وأشرفهم. والمنذر الحاكم بين الأوس والخزرج في يوم سميحة - وهو يوم من أيامهم مشهور -، وكانوا حكموا في دمائهم يومئذ مالك بن العجلان بن سالم بن عوف، فتعدى في مولى له قتل يومئذ، وقال: لا آخذ فيه إلا دية الصريح. فأبوا أن يرضوا بحكمه، فحكموا المنذر بن حرام، فحكم بأن هدر دماء قومه الخزرج، واحتمل دماء الأوس، فذكره حسان في شعره في قصيدته التي قال فيها:

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ

وأسرت مزينة ثابتا، أبا حسان، فعرض عليهم الفداء فقالوا: لا نفاديك إلا بتيس! - ومزينة تسب بالتبوس - فأبي وأبوا. فلما طال مكثه، أرسل إلى قومه: أن أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم. وحدثني يزيد بن عياض بن جعدبة أن النبي صلى الله عليه لما قدم المدينة، تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة: رد عني. فذهب في قديمهم وأولهم، فلم يصنع في الهجاء شيئا. فأمر كعب ابن مالك، فذكر الحرب، كقوله:

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بَخَطُونَا قُدْمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فلم يصنع في الهجاء شيئا. فدعا حسان بن ثابت فقال: أهجهم واثت أبا بكر يخبرك - أي بمصائب القوم - . وكان أبو بكر علامة قريش، وكان جبير بن مطعم أخذ العلم عن أبي بكر.

أخبرنا شعبة، عن عدي بن ثابت الأنصاري: أنه سمع البراء بن عازب الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه: أهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك.

قال ابن جعدبة في حديثه: وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال: والله يا رسول الله، ما أحب أن لي به مقولا في العرب. فصب على قريش منه شأبيب شر، فقال رسول الله صلى الله عليه:

اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل.

ومن شعره الرائع الجيد، ما مدح به بني جفنة من غسان، ملوك الشام في كلمة:

لله دَرٌ عِصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ
يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ
يَوْمًا بِجَلِّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
بَرَدَى يُصَقِّقَ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

أَوْلَادُ جَفْنَةَ عِنْدَ أَبِيهِمْ
قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وقال في الكلمة الأخرى الطويلة:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
أَبِي فَعَلْنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَا
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا
وَقَاتِلُنَا بِالْعُرْفِ إِلَّا تَكَلَّمَا

وقوله:

وَإِنْ أَمْرِي أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

ولما قال للحارث بن عوف بن أبي حارثة المري:

وَأَمَانَةُ الْمُرِّيِّ حَيْثُ لَقْتَهُ
مِثْلِي الزُّجَاجَةُ صَدَعُهَا لَمْ يُجْبِرِ

قال الحارث: يا محمد، أجزني من شعر حسان، فوالله لو مزج به الماء البحر مزجه.

وأشعار حسان وأحاديثه كثيرة.

وكعب بن مالك، شاعر مجيد. قال يوم أحد في كلمة:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ
ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ

وكانوا سبعمئة.

فَرَاخُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا تَطَانَا كَأَنَّنَا
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَبِيْشَةٍ ظُلَعُ

وقال كعب في أيام الخندق:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يَرْعَبِلُ بَعْضُهُ
فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَلُّ سِيُوفُهَا
بَعْضًا كَمَعَمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ
بَيْنَ الْمَدَادِ وَبَيْنَ جِزْعِ الْخَنْدَقِ

وقال بعد ذلك في كلمة أيضا:

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقْتَ لَقَالَتْ
فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
فَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بَبْطُنٍ وَجَّ
وَنُرْدِي اللَّاتَ وَالْعُرْيَى وَوَدَا
وَخَيْرٌ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا
قَوَّاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ تَقِيْفَا
بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْ أُلُوفَا
وَنَتْرُكُ دَارِكُمْ مِنْ خُلُوفَا
وَنَسْلُبُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا

حدثني عمر بن معاذ التيمي العمري وغيره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه لكعب بن مالك: أترى الله نسي لك قولك:

زَعَمَتْ سَخِينَةٌ أَنْ سَتَغْلِبَ رَبَّهَا
وَلِيَعْلَبَنَّ مَعَالِبُ الْغَلَابِ

وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، هو وهلاك ابن أمية ومرارة بن الربيع، فتاب الله عليهم، كما قص في سورة براءة.

ويروي أن قومه قالوا في ذلك: لو اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه ببعض ما يعتذر به الناس، عذرك. قال: إني لأصنعهم لساناً وأقدرهم على ذلك، ولكن والله لا أعتذر إليه بكذب وإن عذرتي فيطلعه الله عليه. فيقال: إن الله عز وجل أنزل فيه: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" سورة التوبة 119". وشهد العقبة ولم يشهد بدرًا.

وعبد الله بن رواحة، عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، ليس في طبقتة التي ذكرنا أسود منه. شهد بدرًا. وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم. وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه.

وقال عبد الله بن رواحة، وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه في غمرة القضاء، يقودها، وقد اجتمع أهل مكة وغلمانهم ينظرون إليه، وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
نَحْنُ ضَرَبْنَا كُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
خَلُّوا فِكْلُ الْخَيْرِ مَعَ رَسُولِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة منصرفاً من العمرة، فحرص على أهل خيبر، فقال لهم لما شكوا الخرص:

فَنَحْنُ نَأْخُذُهَا بِذَلِكَ قَالُوا

بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ

وقد روى عمر بن أبي زائدة قال: سمعت مدرك بن عمارة ابن عقبة بن أبي معيط يقول: قال عبد الله بن رواحة: مررت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وهو في نفر من أصحابه، فأضرب القوم: يا عبد الله بن رواحة! يا عبد الله بن رواحة! فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه دعاني، فانطلقت إليهم مسرعا، فسلمت، فقال: ههنا. فجلست بين يديه فقال - كأنه يتعجب من شعري - : كيف تقول الشعر إذا قتلته؟ قلت: أنظر في ذلك ثم أقول. قال: فعليك بالمشركين. قال: فلم أكن أعددت شيئا، فأنشدته، فلما قلت:

فَخَبِرُونِي أَثْمَانَ الْعَبَاءِ مَتَى كُنْتُمْ بَطَارِيقَ أَوْ دَانَتْ لَكُمْ مُضَرَ؟

قال: فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه الكراهة إذ جعلت قومه أثمان العباء فقلت:

نَجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ وَفِينَا تَنْزَلُ السُّورُ

وقد علمتم بأننا ليس غالِبنا حيُّ من الناس إن عَزُّوا وإن كَثُرُوا

يَا هَانِثِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلاً مَالَهُ غَيْرُ

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ فِرَاسَةً خَالَفْتُهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جُلِّ أَمْرِكَ مَا أَوْوا أَوْ مَا نَصَرُوا

فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَنْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

فأقبل على بوجهه متبسماً. ثم قال: وإياك فثبت الله.

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مؤته ثالث ثلاثة أمراء: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وابن رواحة. فلما قتل صاحبا، كأنه تكره الإقدام فقال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرَهِنَّ

وَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنَّةً مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ؟

فقتل يومئذ.

وأبو قيس بن الأسلت، وهو شاعر مجيد، وهو الذي يقول في حرب بينهم وبين الخزرج:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ

أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرَأٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ

وهو يقول في قصيدة:

فَلَسْتُ لِحَاصِنِ إِنْ لَمْ تَرَوْنَا
مَلَكْنَا النَّاسَ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ
هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ ثُمَّ سِرْنَا
مَسِيرَ حَذِيقَةِ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ
نُجَالِدُكُمْ كَأَنَّا شَرَبُ خَمْرٍ
فَلَمْ نُغْلَبْ وَلَمْ نُسَبِّقْ بَوْتِرٍ

وذكروا أنه أقبل يريد النبي صلى الله عليه، فقال له عبد الله ابن أبي: خفت والله سيوف الخزرج! قال: لا جرم، والله لا أسلم حولاً. فمات في الحول.

قيس بن الخطيم شاعر، فمن الناس من يفضله على حسان شعراً - ولا أقول ذلك - .
وهو الذي يقول يوم بعث:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ
لِعِمْرَةَ قَفْرًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

عمرة: بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، وهي أم النعمان ابن بشير الأنصاري:

دِيَارُ التِّي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِني
تَرَاعَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ
وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مِني
وَمَثَلِكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكِنَّةٍ
أَرَبْتُ بَدْفَعِ الْحَرْبِ حَتَّى رَأَيْتُهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الْأَنَامِلَ رِيْعُهَا
إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَأَ قَرْنًا
تَحَلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرِّكَائِبِ
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتُ بِحَاجِبِ
وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبِ
وَلَا جَارَةَ وَلَا حَلِيلَةَ صَاحِبِ
عَلَى الدَّفْعِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارُبِ
لَيْسَتْ مَعَ البُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ
كَأَنَّ قَتِيرَهَا عِيُونَ الْجَنَادِ
صُدُودُ الْخُدُودِ وَأَزْوَارُ الْمَنَاكِبِ

وهو الذي يقول:

تَرَاعَتْ لَنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بِمُقَلَّتِي
وَجِيدِ كَجِيدِ الرَّثْمِ حَالِ يَزِينُهُ
وَكَأَنَّ الثَّرِيًّا فَوْقَ ثُعْرَةِ نَحْرِهَا
وَإِنِّي لِأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتْكَفِّ
أَكْثَرِ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ
غَرِيرٍ بِمُلْتَفٍّ مِنَ السِّدْرِ مُفْرَدِ
عَلَى النَّحْرِ مَنْظُومٍ وَفَصْلُ زَبْرَجْدِ
تَوَقَّدُ فِي الظُّلْمَاءِ أَيُّ تَوَقُّدِ
يَرَى النَّاسَ ضُلَالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِي
وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ الْمُبْرَدِ

وقال:

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذَ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا

وكان قيس مقيماً على شركه، وأسلمت امرأته، وكان يقال لها حواء، فكان يصددها عن الإسلام ويعبث بها، يأتيها وهي ساجدة فيقبلها على رأسها. وكان رسول الله صلى الله عليه وهو بمكة قبل الهجرة، يسأل عن أمر الأنصار وعن حالهم، فأخبر بإسلامها، وما تلقى من قيس. فلما كان الموسم، أتاه صلى الله عليه في مضربه، فلما رأى النبي صلى الله عليه رحب به وأعظمه. فقال له النبي صلى الله عليه: إن امرأته قد أسلمت، وإنك تؤذيها، فأحب أن لا تعرض لها. قال: نعم وكرامة يا أبا القاسم، لست بعائد في شيء تكرهه. فلما قدم المدينة قال لها: إن صاحبك قد لقيني، فطلب إلى أن لا أعرض لك، فشأنك وأمرك.

شعراء مكة

وبمكة شعراء، فأبرعهم شعرا: عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم. وأبو طالب بن عبد المطلب، شاعر. والزبير بن عبد المطلب، شاعر. وأبو سفيان بن الحارث، شاعر. ومسافر بن أبي عمرو بن أمية، شاعر. وضرار بن الخطاب الفهري، شاعر. وأبو عزة الجمحي، شاعر، واسمه عمرو بن عبد الله. وعبد الله بن حذافة السهمي، الممزق. وهبيرة بن أبي وهب بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم. قال، حدثني شعيب بن صخر وأبو بكر الزبيري المصعبي، قال: أصبح الناس يوماً بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

أَلْهَى قُصِيًّا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرُ
وَأَكَلَهَا اللَّحْمَ بَحْتًا لَا خَلِيطَ لَهُ
وَرِشْوَةٌ مِثْلَ مَا تُرْشَى السَّقَاسِيرُ
وَقَوْلُهَا: رَحَلَتْ عِيرٌ مَضَتْ عِيرٌ

فأنكر الناس ذلك، وقالوا: ما قالها إلا ابن الزبيري! أجمع على ذلك رأيهم، فمشوا إلى بني سهم - وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه، أن يهجو بعضها بعضاً - فقالوا لبني سهم: ادفعوه إلينا نحكم فيه بحكمنا. قالوا: وما الحكم فيه؟ قالوا: نقطع لسانه قالوا: فشأنكم، واعملوا والله أنه لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا

به مثل ذلك. والزيبر ابن عبد المطلب يومئذ غائب نحو اليمن، فأنتجت بنو قصي بينهم فقالوا: لا نأمن الزبير إن بلغه ما قال هذا، أن يقول شيئاً، فيؤتي إليه مثل ما نأتي إلى هذا! وكانوا أهل تناصف، فأجمعوا على تخليته، فخلوه. فقال له الناس، وحملوه على قومه: أسلمك قومك ولم يمنعوك، ولو شاءوا منعوك! فقال:

وَإِنْ صَالَحْتَ إِخْوَانَهَا لِأَلْوَمُهَا

بِأَيْمَانِنَا مَسْئُولَةً لَا تَشِيمُهَا

لَعَمْرُكَ مَا جَاءَتْ بِنُكْرِ عَشِيرَتِي

بِوَدِّ جُنَاةِ الْغَيِّ أَنْ سَيُوفِنَا

وقال في يوم أحد قصيدة يقول فيها:

وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ

وَسَوَاءٌ رَمَسُ مُنْثَرٍ وَمُقَلِّ

ضَجَرَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الأَسْلِ

وَأُسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي عِبْدِ الأَثَلِ

وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلْ

كُلُّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهَدُوا

حِينَ أَلَقْتُ بَقْنَاهُ بَرَكَهَا

فَقَبَلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَتِهِمْ

وزعم ابن جعدبة أنه سمع هشام بن عروة ينشد هذا الشعر، وسمعه قال: عنه رويته.

وقال ابن الزبيري لبني المغيرة بن عبد الله المخزوميين وكان لهم بلاء في الفجار، وأمهم: ريطة بنت سعيد بن سعد ابن سهم، فقال:

أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ

هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ مِدْرَةَ الخَصْمِ

وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ مِنَ القُوَّةِ وَالْحَزْمِ

فَهَذَانِ يَدُودَانِ وَذَا مِنْ كَتَبِ يَرْمِي

وَإِنْ أَحْلَفَ وَبَيَّتَ اللَّهُ لَا أَحْلَفُ عَلَى إِثْمِ

رُوبِ الرُّومِ وَالرَّدَمِ

طَةَ أَوْ أَوْزَنَ فِي حِلْمِ

مَنْعُوا النَّاسَ مِنَ الهَزْمِ

لَمَا إِنْ إِخْوَةٌ بَيْنَ دُ

بِأَرْكَى مِنْ بَنِي رِي

هُمْ يَوْمَ عُكَاطِ

وقال: كان الفزاري ينشدها: هشاماً وأبا عبد مناف أي ولدت. وأبو عبد مناف: هاشم بن المغيرة. وذو
الرحمين: أبو ربيعة بن المغيرة، أبو: عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة.
ثم أسلم ابن الزبيري، ومدح النبي صلى الله عليه واعتذر إليه فأحسن، فقال:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي
رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ
إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَى
يِّ وَمَنْ مَالٍ مَيْلَهُ مَنُوبُورٌ
أَمَنْ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ بِمَا قُلْتُ
تَ فَنَفْسِي الْفِدَى وَأَنْتَ النَّذِيرُ

وقال أيضا:

مَنْعَ الرَّقَادِ بِلَابِلٍ وَهُمُومٌ
وَاللَّيْلِ مُعْتَلِجِ الرِّوَاقِ بَهِيمٌ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامَنِي
فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّي مَحْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا
عَيْرَانَةَ شُرْحِ الْيَدَيْنِ رَسُومٌ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى خُطَّةٍ
سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْرُومٌ
فَأَغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا
ذَنْبِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
وَعَلَيْكَ مِنْ أَثَرِ الْمَلِكِ عِلَامَةٌ
نُورٌ أَضَاءَ وَخَاتَمٌ مَخْتُومٌ
مَضَّتِ الْعِدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
وَدَعَتُ أَوْاصِرٌ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ

وحدثني ابن جعدبة قال: قدم ضرار بن الخطاب الفهري وعبد الله بن الزبيري المدينة أيام عمر بن
الخطاب، فأتيا أبا أحمد بن جحش الأسدي - وكان مكفوفاً، وكان مألُفاً يجتمع إليه ويتحدث عنده،
ويقول الشعر - فقالا له: أتيناك لترسل إلى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره، فإنه كان يقول في الإسلام
ويقول في الكفر.

فأرسل إليه فجاء، فقال: يا أبا الوليد! أخواك تطربا إليك! ابن الزبيري وضرار، يذاكرنك ويناشدانك.
قال: نعم، إن شئتما بدأت، وإن شئتما فأبديا! قالوا: نبدأ. فأنشدها، حتى إذا صار كالمرجل يفور، فعدا
على رواحلهم. فخرج حسان حتى تلقى عمر بن الخطاب، وتمثل ببيت ذكره ابن جعدبة لا أذكره، فقال
عمر: وما ذاك؟ فأخبره خبرهما، قال: لا جرم، لا يفوتانك. فأرسل في إثرهما فردا. وقال لحسان:
أنشدهما. فأنشد حاجته، قال: أكتفيت؟ قال: نعم قال: شأنكما الآن، إن شئتما فارحلا، وإن شئتما

فأقيما.

وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام، أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عَصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وقد زيد فيها وطولت. ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة: وقد علمت أن قد زاد الناس فيها، ولا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعي عنها، فقلت صحيحة جيدة! قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا! وأشعار قريش أشعار فيها لين، فتشكل بعض الإشكال.

وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر. والحاصل من شعره قليل، ومما صح عنه قوله:

وَلَوْلَا الْحَبْشُ لَمْ تَلْبَسْ رِجَالٌ وَثِيَابَ أَعَزَّةٍ حَتَّى يَمُوتُوا

وقال قوم: ولولا الحمس وليس هذا بشئ، إنما هي الحبش يعني أنهم أخذوا ثيابهم ومتاعهم، وذاك حين جاؤوا يريدون هدم البيت، فرماهم الله، وكانت أم أيمن منهم، غنمتها قريش وهي أم أسامة بن زيد. وهذه الأبيات للزبير بن عبد المطلب.

وقلت لخلف: من يقول؟:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

قال: يقال للزبير بن عبد المطلب. فقلت: فالخليل يقول: هذا خطأ في بناء القوافي حين يقول:

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لِبَيْبَاءٍ وَلَا تَعْصِهِ

لقوله: "ولا توصه" كان يقول: لا يتفق هذا. فقال خلف: أخطأ الخليل، نراها جائرة.

ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل.

ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق ولا لغيره شعرا، ولأن لا يكون لهم شعر، أحسن من أن يكون ذاك لهم.

قال أبو سفيان:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ

لِكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوْ أَنْ حِينَ أَهْدِي وَأَهْتَدِي

هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَقَادَنِي إِلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ

قال فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه قال له: أنت طردتني كل مطرد؟! كأنه ينكرها، يردد ذلك.

وقال أبو سفيان في يوم أحد يرد على حسان بن ثابت - وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه أصابوا

في عقب بدر عيرا لقريش فيها فضة، فكانوا تنكبوا بعد طريق الشام، وأخذوا طريق العراق - فقال
حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي المَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ حَوْرَانَ مِنْ أَرْضِ عَالِجٍ
فَقُولَا لَهَا: إِنَّ الطَّرِيقَ هُنَاكَ

فلما كان يوم أحد، قال أبو سفيان بن الحارث يرد عليه:

شَقِيتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِهَا
حَسِبْتُمْ جِلَادَ البَيْضِ حَوْلَ بَيْوتِكُمْ
فَوَارِسُ مِنْ أُنْبَاءِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
كَأَخَذِكُمْ فِي العَيْرِ أَرْطَالَ أَنْكَ

فقال أبو سفيان بن حرب لأبي سفيان بن الحارث: يا ابن أخي، لم جعلتها أنك!! إن كانت لفضة بيضاء
جيدة.

ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث، يقول لحسان:

أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وَخَالِكَ مِثْلُهُ
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ لَا تَلُومَهُ
وَلَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِكَ
عَلَى اللُّؤْمِ مَنْ أَلْفَى أَبَاهُ كَذَلِكَ

فأحبرني أهل العلم من أهل المدينة: أن قدامه بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها
أبا سفيان. وقريش ترويه في أشعارها، تريد بذلك الأنصار والرد على حسان.

وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس، من محارب بن فهر، من ظواهر قريش، وكان لا يكون بالبطحاء إلا
قليلا. وكان جمع من حلفاء قريش ومراق كنانة ناسا، وكان يأكل بهم ويغير ويسبي ويأخذ المال.
والحارث بن فهر بطحاوية.

وكان ضرار خرج في الجاهلية في ركب من قريش، فمروا ببلاد دوس، وهم يطالبون قريشا بدم أبي أزيهر
- قتله هشام بن الوليد ابن المغيرة - فثاروا بهم وقتلوا فيهم. ودوس تدعى شيئا كثيرا من القتلى، وليس
ذلك بمعلوم. فقاتلهم ضرار، ثم لجأ إلى امرأة منهم يقال لها: أم غيلان - مقينة تقين العرائس، يقال إنها
مولاة لهم - فأدخلته بين درعها وجلدها، ودافعت عنه هي وبناتها، وصرخت بينها فجاءوا، فخرج معهم
ضرار فجالد أشد الجالاد، فقالت أم غيلان: ما رأيت شدة أفكل أقرب إلى حسن جلال منه. وقال ضرار:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا أُمَّ غَيْلَانَ صَالِحًا
فَهَنَّ دَفَعْنَ المَوْتَ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ
وَنَسَوْتَهَا إِذْ هُنَّ شَعْتُ عَوَاطِلُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلنَّائِرِينَ مَقَاتِلُ

فَجَرَدْتُ سَيْفِي ثُمَّ قُمْتُ بِنَصْلِهِ

وَعَنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أَقَاتِلُ

ولقي ضرار بن الخطاب يوم أحد عمر بن الخطاب في الجولة التي جالها المسلمون، وكان قد آلى يومئذ أن لا يقتل قرشياً، فضربه بعارضة سيفه، وقال: انج يا ابن الخطاب! فضرب الدهر ما ضرب، وولى عمر بن الخطاب، فسمعت أم غيلان بذكر ابن الخطاب فظنته ضراراً، فقدمت عليه فقال لها قوم: قدمت وهو غائب! فأنت عمر فأخبرته بالذي جاءت له، فأثابها.

وحدثني أبان الأعرج بحدِيثها، فقال: جاءت فلقيت ضراراً فقالت: قد عرفت بلائي ويدي، وقد وليت ما وليت. قال: ما أعرفني بذلك! ولست أنا بالذي تولى ما توهمت، ذاك عمر بن الخطاب، ولئن كان لك عندي يد وبلاء، إن لي عنده ليذا وبلاء - يعني بلاءه يوم أحد - فاذهبي بنا إليه. فأناه فقال: يا أمير المؤمنين! هذه أم غيلان، وقد عرفت ما كان من أمرها، سمعت بولايتك فظنتني الوالي، فأنتني تطلب النوال. قال: فتريد ماذا؟ قال: تعجل عطائي فأكافئها به. فأعطاه نصف عطائه، ونصف عطاء عمر. وكان ضرار على بني محارب يوم الفجار.

وكان أبو عزة شاعراً، وكان مملقاً ذا عيال، فأسر يوم بدر كافراً، فقال: يا رسول الله، إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلي الله عليك. فقال: على أن لا تعين على! - يريد شعره - قال: نعم. فعاهده وأطلقه، فقال:

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

بَأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ

وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الرَّشْدِ وَالتَّقَى

عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ شَهِيدٌ

وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوئْتِ فِيْنَا مَبَاءَةً

لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودٌ

وَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمْحَارَبٌ

شَقِيٌّ وَمَنْ سَأَلَمْتَهُ لَسَعِيدٌ

وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتُ بِدِرًّا وَأَهْلَهَا

تَأَوَّبُ مَا بِي حَسْرَةً وَتَعُودُ

فلما كان يوم أحد، دعاه صفوان بن أمية بن خلف الجمحي - وهو سيدهم يومئذ - إلى الخروج، فقال: إن محمداً قد من على وعاهدته أن لا أعين عليه. فلم يزل به، وكان محتاجاً، فأطعمه، واحتاج يطمع. فخرج فسار في بني كنانة فحرضهم، فقال:

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةِ الرُّزَامِ

أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامٌ

لَا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ الْعَامِ

لَا تَسْلِمُونِي لِأَيِّ حِلٍّ إِسْلَامٌ

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال، حدثني أبان بن عثمان - وهو قول ابن إسحاق - أن أبا عزة أسر يوم أحد، فقال: يا رسول الله من علي! فقال النبي عليه السلام: لا يوسع المؤمن من جحر مرتين. وقال أبان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدا مرتين! فقتله. فذكرت ذلك لابن جعدبة فقال: ما أسر يوم أحد هو ولا غيره، ولقد كان المسلمون يومئذ في شغل عن الأسر، ولم ينكر قتله، وكان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبرا، فقال: أصابته جراحة فارتث منها، وكان شديد العداوة، فقال: لا أطمع طعاما ولا أشرب شرابا ما دمت في أيديهم، فمات. فأخبرت أبي - سلاما - بقول ابن جعدبة في أبي عزة فقال: قد قيل إن النبي صلى الله عليه لم يقتل أحد صبرا إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر. قال ابن جعدبة: برص أبو عزة بعد ما أسن، وكانت قريش تكره الأبرص وتخالف العدوى، فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه، فكبر ذلك عليه، فقال: الموت خير من هذا! فأخذ حديدة وصعد إلى جبل حراء يريد قتل نفسه، فطعن بها في بطنه، فضعفت يده لما وجد مسها، فماتت الحديدة بين الصفاق والجلد، فسال ماء أصفر، وذهب ما كان به. فقال:

لَا هُمْ رَبٌّ وَأَنْلِ وَنَهْدِ
وَالْتَهَمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرْدِ
وَرَبٌّ مَنْ يَرْمِي بِيَاضَ نَجْدِ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَأَبْنُ عَبْدِ
أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحِ بَجْدِي
مَنْ بَعْدَ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي

المعد: موضع رجلي الراكب من الفرس وكان هبيرة بن أبي وهب شاعرا من رجال قريش المعدودين، وكان شديد العداوة لله ولرسوله، فأخمله الله ودحقه، وهو الذي يقول في يوم أحد:

قَدْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَكْنَفِ ذِي يَمَنِ
عَرَضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُرْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةَ: أَنِّي تَذْهَبُونَ بِنَا؟
قُلْنَا: النَّخِيلَ! فَأَمُّوْهَا وَمَا فِيهَا

وله شعر كثير وحديث.

شعراء الطائف

قال ابن سلام: وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس الخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يجاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان. وأهل الطائف في طرف، ومع ذلك كان فيهم: أبو الصلت بن

أبي ربيعة.

وابنه أمية بن أبي الصلت، وهو أشعرهم.

وأبو محجن عمرة بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي.

وغيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف.

وكنانة بن عبد يا ليل.

وكان أبو الصلت يمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة، في كلمة قال فيها:

لله درهم من عصابة خرجوا
بيضا مرازبة غرا جحاجة
لا يرمضون إذا حرت مغافرهم
من مثل كسرى وسابور الجنودلة
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا
واضطم بالمسك إذ شالت نعامتهم
تلك المكارم لا تعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وكان أمية بن أبي الصلت كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة،

ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب.

أنا ابن سلام قال، فحدث سفيان وابن دأب: أن أمية مر يزيد بن عمرو بن نفيل، أخي عدي بن كعب،

وكان قد طلب الدين في الجاهلية هو وورقة بن نوفل. فقال له أمية: يا باغي الخير، هل وجدت؟ قال: لا.

قال: ولم أوت من طلب. قال: أبي علماء أهل الكتاب إلا أنه منا أو منكم أو من أهل فلسطين.

وناح أمية على قتلى بدر فقال:

ماذا ببدر فالعقن
هلا بكيت على الكرا
قل من مرازبة جحاجح
م بني الكرام أولي الممادح

وقال أمية:

وما يبقى على الحدثن غفر
تبيت الليل حانية عليه
بشاهقة له أم رؤوم
كما يخرمس الأرخ الأطوم
تصدى كلما طلعت لنشز
وودت أنها منه عقيم

الغفر: ولد الوعل. والأرخ: ولد البقرة. ويخرمس: أي يتصمت. والأطوم: الضمام بين شفتيه.
ومدح أمية عبد الله بن جدعان التيمي، فقال:

أذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك؟ إن شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباح
عن الخلق الكريم ولا مساء
وأرضك كل مكرمة بنتها
بنو تيم وأنت لهم سماء

قال ابن سلام: وأنشدنيها أبو بكر بن محمد بن واسع السلمي وأنشدنيها أيضا أبو بكر، وذكرتها لخلف
فعرفها.
وقال أمية:

عطائك زين لامرئ بذل وجهه
بخير وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه
إليك كما بعض السؤال يشين

نا ابن سلام قال: وذكر عيسى بن عمر عن بعض أهل الطائف، عن أخت أمية بن أبي الصلت، قالت:
إني لفي بيت فيه أمية نائم، إذا أقبل طائران أبيضان فسقطا على السقف، ففرح السقف فسقط أحدهما
عليه، فشق بطنه وثبت الآخر مكانه. فقال الأعلى للأسفل: أوعى؟ قال: أقبل؟ قال: أبي - ويقال قال:
زكا. قال: حسا - فرد عليه قبله وطار، والتأم السقف. قالت: فلما استيقظ قلت: له يا أخي! أحسست
شيئا. قال: لا! وإني لأجد توصيبا، فما ذاك؟ فأحبرته. قال: يا أختي! أنا رجل أراد الله بي خيرا فلم أقبله.
قالت: فلما مرض مرضته التي مات فيها، قالت: فإني عنده، إذ نظر إلى السماء وشق بصره ثم قال:

ليبيكما لبيكما
ها أناذا لديكما

لا ذو براءة فأعتذر، ولا ذو قوة فأنتصر. ثم أغمي عليه، ثم شق بصره ونظر، وقال:

ليبيكما لبيكما
هاأنا ذا لديكما

وقال: لا ذو عشيرة تحميني، ولا ذو مال يفديني. ثم أغمي عليه، فقلنا: قد أودى! ثم شق بصره ونظر إلى
السماء فقال:

ليبيكما لبيكما
هاأنا ذا لديكما

بالنعم محفود، من الذنب مخضود. ثم أغمي عليه، ثم شق بصره وقال:

إن تغفر اللهم تغفر جما
وأبي عبد لك لا ألما

ثم أغمي عليه، ثم أفاق فقال:

ليتني كنت قبل ما قد بد لي

في قلال الجبال أرعى الوعولا

كل عيش وإن تطاول دهرا

قصره مرة إلى أن يزولا

ثم خفت فمات.

قال ابن سلام: وأبو محجن رجل شاعر شريف. وكان قد غلب عليه الشراب، فضرب فيه مرارا، ثم حبسه سعد بالقادسية في القصر معه، والناس يقتتلون، فجال المسلمون جولة وهو ينظر، فقال:

كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا

وأترك مشدودا على وثاقيا

إذا قمت غناني الحديد وأغلقت

مصاريح من دوني تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة

فقد تركوني واحدا لا أخاليا

أريني سلاحي لا أبا لك إنني

أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

وكان مقيداً يومئذ عند زبراء، أم ولد سعد بن أبي وقاص، فقال لها: أطلقيني، فلك الله، لئن فتح الله على المسلمين وسلمت، لأرجعن حتى أضع رجلي في القيد. فأطلقته، وحملته على، فرس لسعد، فأخذ الرمح فخرج فقاتل، فحطم المشركين، وكان سبب الهزيمة. فقال سعد: لولا إن أبا محجن محبوس لقلت: الفارس أبو محجن! فلما فتح الله على المسلمين رجع إلى محبسه، فقال له سعد: لا ضربتك في الخمر أبدا. قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدا.

قال ابن سلام: ولغيلان بن سلمة شعر، وهو شريف. وكان قسم ماله كله بين ولده، وطلق نساءه. فقال له عمر: إن الشيطان قد نفث في روعك أنك ميت، ولا أراه إلا كذلك، لترجعن في مالك، ولترجعن نساءك، أو لآمرن بقبرك أن يرجم كما يرجم قبر أبي رغال. ففعل.

شعراء البحرين

قال ابن سلام: وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة، منهم: المثقف، وهو عائد بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة - وهي القبيلة - ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. وإنما سمي المثقف لبيت قاله:

رددن تحية وكنن أخرى

وتقبن الوصاوص للعيون

وقال أيضا:

ظعائن لا توفي بهن ظعائن

ولا الثاقبات من لؤي بن غالب

ولا ثعلبيات حللن عباعا

لا أسرة الققعاق من رهط حاجب

وتميم تنشد:

ولا أسرة الققعاع من رهط حاجب

ولا نهشليات أبوهن دارم

والمتقف العبدى هو الذى يقول:

ومنحك ما سألتك أن تبيني

أفاطم قبل بينك متعيني

تمر بها رياح الصيف دوني

ولا تعدي مواعد كاذبات

عنادك ما وصلت بها يميني

فإني لو تخالفني شمالي

كذلك أجتوي من يجتويني

إذا لقطعتها ولقلت: بيني!

تأوه آهة الرجل الحزين

إذا ما قمت أرحلها بليل

أهذا دينه أبدا وديني؟

تقول إذا درأت لها وضيبي

أما يبقى على ولا يقيني!!

أكل الدهر حلا وارتحالا؟

كدكان الدراينة المطين

فأبقى باطلي والجد منها

وهذه الأبيات بعض القصيدة، وإنما انتخبنا أجودها أبياتاً.

ومنهم: الممزق العبدى، واسمه: شأس بن نهار بن أسود، وإنما سمي الممزق ببيت قاله:

وإلا فأدركني ولما أمزق

فإن كنت مأكولا فكن خيرا أكل

قال: وبلغني أن عثمان بن عفان بعث به إلى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما ورضي عنهما، حين بلغ منه وألح عليه.

ومنهم: المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان بن سود بن عذرة بن منبه بن نكرة. فضلته قصيدته التي تقول لها: "المنصفة" وأولها:

فنيئنا ونيئهم فريق

ألم تر أن جبرتنا استقلوا

وقد اختلف في القائل:

أم هل له من حمام الموت من راقى!

هل للفتى من بنات الدهر من واقى؟

وألبسوني ثيابا غير أخلاق

ورجلوني وما رجلت من شعث

وأدرجوني كأني طي مخراق

ورفعوني وقالوا: أيما رجل!

ليسندوا في ضريح الترب أطباقي

وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا

فإنما مالنا للوارث الباقي

خفض عليك ولا تولع بإشفاق

ولا أعرف باليمامة شاعراً مذكوراً.

شعراء يهود

وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد، منهم: السموال بن عادياء، من أهل تيماء، وهو الذي كان امرؤ القيس استودعه سلاحه، فسار إليه الحارث بن أبي شمر الغساني فطلبه، فأغلق الحصن دونه. فأخذ ابنا له خارجاً من القصر، وقال: إما أن تؤدى إلى السلاح، وإما أن أقتله. قال: أقتله، فلن أؤديها. ووفي ف ضرب به الأعشى المثل، فقال:

في جحفل كسواد الليل جرار

حصن حصين وجار غير غدار

قل ما تشاء فإنني سامع حار

فاختر وما فيهما حظ لمختار

اقتل أسيرك إني مانع جاري

كن كالسموال إذ طاف الهمام به

بالأبلق الفرد من تيماء منزله

إذا سامه خطتي خسف فقال له:

فقال: تكلم و غدر أنت بينهما

فشك غير طويل ثم قال له:

والسموال بن عادياء يقول في كلمة له طويلة:

فاعلمي أنني عظيما رزيت

قض فقري أمانتي ما حييت

ت وغي تركته فكفيت

قربوها منشورة فقريت!

بت؟ إني على الحساب مقيت

وحياتب رهن بأن سأموت

إن حلمي إذا تغيب عني

ضيق الصدر بالخيانة لا ين

كم فظيع سمعته فتصامم

ليت شعري! وأشعرن إذا ما

ألى الفضل أم على إذا حوس

ميت دهر قد كنت ثم حييت

ومنهم الربيع بن أبي الحقيق، من بني النضير، وهو الذي يقول:

والعلم قديلفى لدى السائل

واستمع المنصت للقاتل

بقابل الجور ولا الفاعل

نرضى بحكم العادل الفاصل

سائل بنا خابر أكفائنا

لسنا إذا جارت دواعي الهوى

واعتلج القوم بألبابهم

إننا إذا نحكم في ديننا

لا نجعل الباطل حقا ولا

نلظ دون الحق بالباطل

نخاف أن نسفه أحلامنا

فنخمل الدهر مع الخامل

ويروى: فنحمل الذم مع الحامل وكعب بن الأشرف، وهو من طيء، وأمه من بني النضير. وكان في أخواله سيदा، وبكى قتلى بدر، وشبب بنساء رسول الله صلى الله عليه ونساء المسلمين فأمر رسول الله صلى الله عليه محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله، فقتلوه. وهو يقول في كلمة:

رب خال لي لو أبصرته

سبط المشية أبا أنف

لين الجانب في أقربه

وعلى الأعداء سم كالذعف

ولنا بئر رواء جمعة

من يردها بإناء يغترف

ونخيل في تلاع جمعة

تخرج التمر كأمثال الأكف

وصرير في محال خلته

آخر الليل أهازيج بدف

وشريح بن عمران، الذي يقول في كلمته:

آخ الكرام إن استطع

ت إلى إخوانهم سبيلا

واشرب بكأسهم وإن

شربوا بها السم الثميلا

أأسيد إن مال ملك

ت فسر به سيرا جميلا

أأسيد إن المال لا

بيكي إذا فقد الخليلا

إن الكريم إذا تَوَا

خيه وجدت له فضولا

وسعية بن العريض، القائل في كلمة له:

بل ليت شعري حين أندب هالكا

ماذا يؤبني به أنواحي؟

أيقنن: لا تبعد فربت كربة

فرجتها ببسارة وسماح

ومغيرة شعواء يخشى درؤها

يوما رددت سلاحها بسلاح

ولرب مشعلة يشب وقودها

أطفأت حد رماحها برماح

وكتيبة أدنيتها لكتيبة

ومضاعن صبحت شر صباح

وإذا عمدت لصخرة أسهلتها

أدعو بأفلق مرة ورباح

لا تبعدن فكل حي هالك

لا بد من تلف فبن بفلاح

إن امرأ أمن الحوادث جاهلاً
ولقد أخذت الحق غير مخاصم
وأبو القيس بن رفاعه، وهو يقول في قصيدته:

إذا ذكرت أمامة فرط حول
أكلفها ولو بعدت نواها

ورجا الخلود كضارب بقداح
ولقد دفعت الضيم غير ملاح

ولو بعدت محلتها غريت
كأني من تذكرها حميت

طليح لا يؤوب إلى جسمي
وذي ضغن كفتت النفس عنه
وسيفي صارم لا عيب فيه
متى ما يأت يومي لا تجدني
ألين لهم وأديهم بنفسي
وأرهن في الحوادث كف بكري
أراه ما أقام على حقا
وأبو الذيال، يقول في كلمة أولها:

هل تعرف الدار خف ساكنها
دار لبهانة خدلجة
أنت فطالت حتى إذا اعتدلت
فيها فأما نفا فأسفلها
لا الدهر فان ولا مواعدها
وعدا محاصيله إلى خلف
هيفاء يلتذها معانقها
تمشي إلى نحو بيت جارتها
نعم شعار الفتى إذا برد اللي
كأن ماء الغمام خالطة

كأني سم عاضه سقيت
وكنت على مساءته مقيت
ويمنعني من الرهق النبيت
بمالي حين أتركه شقيت
مقارشة الرماح إذا لقيت
لجاري في العظيمة إن دهيت
شريك في بلادي ما بقيت

بالحجر فالمستوى إلى التمد؟
تبسم عن مثل بارد البرد
ما إن يرى الناظرون من أود
والجيد منها لطبية الجرد
تأتي فليت القتل لم تعد
ذاك طلاب التضليل والنكد!
بعد علال الحديث والنجد
واضعة كفها على الكبد
ل وأضت كواكب الأسد
راح صفا بعد هارد الزبد

أنيابها بعد غفلة الرصد
لو علمت ما أريد لم تعد
خمر وذكر الكواعب الخرد
سيت غويا غيي ولا رشدي
مل يوم إني إنز رهين غد
منا؟ ومن تم ظمؤه يرد
شحا يزيد الحريص من عدد
واقني حياء الكريم واقتصدي

والمسك والزنجبيل على به
دع ذا ولكن بل رب عاذلة
هبت بليل تلوم في شرب ال
فقلت: مهلا فما عليك أن أم
إني لمستيقن لئن لم أمت
هل نحن إلا كمن تقدمنا
نحن كمن قد مضى وما إن أرى
فلا تلومني على خلقي

ودرهم بن زيد، يقول:

وهمك بالشوق قد يطرح
تقيم بغمدان لا تبرح
ن إني لأعطي وأستفح
ك حتى إذا خفق المجدح
فناموا قليلا وقد أصبحوا
سراب بدوية أفيح

هجرت الرباب وجاراتها
يمانية نازح دارها
لعمر أبيك الذي لا أهي
وأدلج بالقوم شطر الملو
أمرت صحابي لكي ينزلوا
أجدوا سراعا فأفضى بهم

طبقات الشعراء الإسلاميين

عشر طبقات: كل طبقة أربعة رهط متكافئين معتدلين.

الطبقة الأولى

جرير بن عطية بن الخطفي، واسم الخطفي حذيفة، بن بدر ابن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع. خطفه بيت قاله:

أعناق جنان وهاما رجفا

يرفعن لليل إذا ما أسدفا
وعنقا، بعد الرسيم، خيطفا

والفرزدق، واسمه همام، بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. وإنما سمي الفرزدق لأنه شبه وجهه بالحيزة، وهي فرزدقة .

والأخطل، واسمه غياث، بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن السيحان بن عمرو بن فدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. خطله قول كعب بن جعيل له: إنك لأخطل يا غلام! وراعي الإبل، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن ابن ظويلم بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير. سمي راعي الإبل، لكثرة صفتة للإبل وحسن نعتة لها، فقالوا: ما هذا إلا راعي الإبل! فلزمته .

فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره. وعامة الاختلاف، أو كله، في الثلاثة ومن خالف في الراعي قليل، كأنه آخروهم عند العامة .

سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما.

وكان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضل الراوية يقدمه مقدمة شديدة. وأخبرني أبو قيس العنبري ، عن عكرمة بن جرير: أن جريراً قال: نبعة الشعر الفرزدق.

وقال ابن دأب، وسئل عنهما فقال: الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة . وكان الأشهب بن رميلة يفاخر الفرزدق، فكان الفرزدق يذكر فقيماً مع بني هاشم، فاستعدوا عليه زياداً، فهرب من زياد.

فحدثني جابر بن جندل الفزاري قال: أتى الفرزدق عيسى بن خصيلة السلمي فقال: يا أبا خصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني، وقد لفظني جميع من كنت أرجو . قال: فمرحباً يا أبا فراس. فكان عنده ليلي، ثم قال له: إني أريد أن أخرج إلى الشام. فقال له: إن قمت ففي الرحب والسعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها وألف درهم . فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً وأرسل معه عيس بن خصيلة من أجازة من البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه:

تَخَطَّى بِي الْبَهْرِيُّ حُمْلَانَ مَنْ أَبِي مِنْ النَّاسِ، وَالْجَانِي تَخَافُ جَرَانِمُهُ
فَتَى الْجُودِ عَيْسَى وَالْمَكَارِمِ وَالْعَلَى، إِذَا الْمَالُ لَمْ تَرْفَعْ بِخَيْلًا كَرَانِمُهُ
وَمَنْ كَانَ يَا عَيْسَى يُؤَنَّبُ ضَيْقَهُ، فَضَيْقُكَ مَحْبُورٌ هَنِيٌّ مَطَاعِمُهُ
وَقَالَ: تَعَلَّمْ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ، وَأَنْ لَهَا اللَّيْلَ الَّذِي أَنْتَ جَاشِمُهُ

فَأَصْبَحْتُ، وَالْمَلْقَى وَرَائِي وَحَنْبَلُ،
تَزَاوَرُ عَنْ أَهْلِ الْحَفِيرِ، كَأَنَّهَا
رَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا رُؤْيَةً، وَانْجَلَى
وَمَا صَدَرَتْ حَتَّى عَلَا النَّجْمَ عَاتِمُهُ
ظَلِيمٌ تَبَارَى جُنْحَ لَيْلٍ نَعَائِمُهُ
لَهَا الصُّبْحُ عَنْ صَعَلٍ أُسَيْلٍ مَخَاطِمُهُ

وقال أيضاً فيه:

تَدَارَكْنِي أَسْبَابُ عَيْسَى مِنَ الرَّدَى،
نَمَتُهُ النَّوَاصِي مِنْ سَلِيمٍ إِلَى الْعَلَى،
سَأُنْتِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأَرْبُهُ،
وَمَنْ يَكُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ
وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ بَيْنَ نَصْرٍ وَخَالِدٍ
إِذَا الْقَوْمُ عَدُّوا فَضَلَّهْمُ فِي الْمَشَاهِدِ

فلما بلغ زياداً شخوصه، أتبعه على بن زهدم الفقيمي فلم يلحقه، فقال الفرزدق:

فَإِنَّكَ لَوْ لَأَقْبَيْتَنِي يَا ابْنَ زَهْدَمٍ
فَأَتَى بَكَرَ بْنَ وائِلَ فَأَجَارَوْهُ، فَأَمَّنَ، فَقَالَ:
لَأُبْتَ شَعَاعِيًّا عَلَى شَرِّ تِمَثَالٍ

وَقَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ الْمَسِيرِ، فَلَمْ تَجِدْ
وَسَارَتْ إِلَى الْأَحْفَارِ خَمْسًا، فَأَصْبَحْتُ
لِعَوْرَتِهَا كَالْحَيِّ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ
مَكَانَ الثَّرِيَّا مِنْ يَدِ الْمُتَنَوِّلِ

والحصن: ثعلبة بن عكابة، أبو شيان وقيس وذهل وتيم .

فأتى من وجهه ذلك سعيد بن العاص بالمدينة، وهو واليها، فمدحه وعنده الحطيئة وكعب بن جعيل،
فآمنه سعيد، فبلغه أن زياداً قال: لو أتاني لآمنتته وأعطيته. فقال في كلمة:

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ، وَلَمْ أَكُنْ
وَعِنْدَ زِيَادٍ، لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ،
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ: طَالِبُ حَاجَةٍ
فَلَمَّا حَسِينَا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ
نَمَيْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضْرَّ بَنِيهِ
يَوْمٌ بِهَا الْإِفَاقَ مَنْ لَا يَرَى لَهُ
لَأَتِيَهُ، مَا سَاقَ ذُو حَسَبٍ وَفَرَا
رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقْرًا
عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ، أَوْ حَاجَةٍ بَكَرًا
أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمْرًا
اسْرِي الْبَيْدِ وَاسْتِعْرَاضُهَا الْبَلَدَ الْقَفْرًا
لَدَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ جَاهًا وَلَا عُدْرًا

فلما اطمأن عند سعيد قال:

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي زِيَادًا
بِأَنِّي قَدْ فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبِرٍ
مُغْلَغَلَةٌ يَخْبُ بِهَا بَرِيدٌ
وَلَا يُسْطَاعُ مَا يَحْوِي سَعِيدٌ
تَفَادَى مِنْ فَرِيَسْتِهِ الْأَسْوَدُ

وناسبني وناسبت اليهود
وناسبني وناسبت القروء
ولكن سوف أ فعل ما تكيد

فإن شئت انتسبت إلى النصارى
وإن شئت انتسبت إلى فقيم
وأبغضهم إلي بنو فقيم

وكان يدخل على القيان بالمدينة، فقال في قينة :

على معصم ريان لم يتخذد
بيوس، ولم تتبع حمولة مجدد
يروي استقائي هامة الحائم الصدى
حوالي في برد يمان ومجسد
أرى الموت وقافاً على كل مرصد

إذا شئت غناني من العاج قاصف
لبيضاء من أهل المدينة، لم تعش
نعمت بها ليل التمام، فلم يكد
وقامت تخشيني زياداً، وأجفلت
فقلت: دعيني من زياد فإني

وقال:

بنعمان أطراف الأراك النواعم
بمكة ملقى عائذ بالمحارم
من القاطنات البيت غير الروائم

ألم يأتني أني تخلل ناقتي
مقيدة ترعى الأراك، ورحلها
فدعني أكن، ما كنت حياً، حمامة

فأنشدها زياد فرق له، وقال عند ذلك: لو أتاني لآمنته.

وفي ذلك يقول البكري :

بمكة يؤويك الستار المحرم

ليالي تمنى أن تكون حمامة

فلما هلك زياد، رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس الدارمي ، فقال:

جهرأ حين ودعها زياد

رأيت زيادة الإسلام ولت

فقال الفرزدق:

جرى في ضلال دمعها فتحدراً
ككسرى، على عدائه، أو كقيصرأ
به لا بطني بالصرائم أعقرأ

أمسكين، أبكى الله عينك، إنما
بكيت امرأ فظاً غليظاً مبغضاً
أقول له، لما أتاني نعيه:

فأجابه به مسكين فقال، وهي أبيات:

ولا قاعداً في القوم إلا انبرى ليا

ألا أيها المرء الذي لست قائماً

فَجَبْنِي بِعَمِّ مِثْلِ عَمِّي، أَوْ أَبِ
كَمِثْلِ أَبِي، أَوْ خَالَ صِدْقِ كَخَالِيَا
كَعَمْرٍو بِنِ عَمْرٍو، أَوْ زُرَّارَةَ ذِي النَّدَى
أَوْ الْبِشْرِ، مِنْ كُلِّ فَرَعْتِ الرُّوَابِيَا

البشر: يعني خاله من النمر بن قاسط.

وقد مدحه مسكين فقال:

شُرَيْحُ فَارِسُ النُّعْمَانِ عَمِّي،
وَقَاتِلُ خَالِهِ بِأَبِيهِ مَنَا:
وَخَالِي الْبِشْرُ بِشْرُ بَنِي هِلَالِ
سَمَاعَةَ، لَمْ يَبِعْ حَسَبًا بِمَالِ

حدثني الحكم بن محمد، قال: كان تميم بن زيد، رجلاً من قضاة، من بلقين، فكان على الهند، وفي جيشه رجل يقال له: حنيس أو حبيش، طالت غيبته على أهله، فأتت أمه قبر غالب بكازمة، فأقامت عليه حتى علم الفرزدق مكانها. ثم أتته فطلبت إليه، فكتب إلى تميم بن زيد:

فَهَبْ لِي حُبَيْشًا، وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَّةً
أَتَتَّنِي فَعَادَتُ، يَا تَمِيمُ، بِغَلْبِ
تَمِيمِ بْنِ زَيْدٍ، لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي
بِظَهْرٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ جَوَابُهَا
لِغُصَّةِ أُمَّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
وَبِالْحُقْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تَرَابُهَا

فلما أتاه كتابه لم يدر: أحنيس أم حبيش، وفي جيشه عدة: حنيس وحبيش، فأطلقهم جميعاً له. أبو يحيى الضبي قال: ضرب مكاتب لبني منقر قبة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا على قبر غالب بناء، ثم قدم عليه وهو بالمريد فقال:

بِقَبْرِ ابْنِ لَيْلَى عُدْتُ بَعْدَمَا
فَأَخْبَرَنِي قَبْرُ ابْنِ لَيْلَى فَقَالَ لِي:
خَشِيْتُ الرَّدَى، أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
فِكَالِكَ أَنْ تَلْقَى الْفِرْزَدِقَ بِالْمِصْرِ

فقال الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ. ثم طاف له في الناس، فجمع له مكاتبته وفضلاً. وكان ذو الأهدام - وهو نفيح، أحد بني جعفر بن كلاب - توثب على الفرزدق فهجاه، فجاءت أمه إلى قبر غالب فعادت به، فقال الفرزدق:

نُبِّئْتُ ذَا الْأَهْدَامِ يَعُوي، وَدُونَهُ
عَلَى حِينٍ لَمْ أَتْرُكْ مِنَ الْأَرْضِ حَيَّةً
مِنَ الشَّامِ زَرَاعَاتُهَا وَقُصُورُهَا
وَلَا نَابِحًا إِلَّا اسْتَسْرَّ عَقُورُهَا

كِلَابٌ نَبَحْنَ اللَّيْثَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
عَجُوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عَادَتْ بِغَالِبِ
فَعَادَ عَوَاءٍ نَبِحَ هَرِيرُهَا
فَلَا وَالَّذِي عَادَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا

لئن نافع لم يرع أرحام أمه
 لبئس دم المولود مس ثيابها
 وإنني على إشفاقها من مخافتني،
 ولو أن أم الناس حواء حاربت
 وكانت كدلو لا يزال يُعيرها
 عشيّة نأدي بالغلام بشيرها
 وإن عقها بي نافع، لمجيرها
 تميم بن مر، لم تجد من يجيرها

ويقال: إن هذا البيت ليس فيها.

قال: قدم الفرزدق من اليمامة، ودليله رجل من بلعبر، فضل به، فقال:

وما نحن، جارت صدرو ركابنا،
 أراد طريق العنصلين، فياسرت
 وكيف يضل العنبري ببدة
 وجاء بجمود له مثل رأسه
 فلمأتصافنا الإداوة أجهشت
 فآثرته، لما رأيت الذي به
 على ساعة، لو أن في القوم حاتماً
 بأول من غرت دلالة عاصم
 به العيس في وادي الصوى المتشائم
 بها قطعت عنه سيور التمام
 ليشرّب ماء القوم بين الصرائم
 إلى غزون العنبري الجراضم
 من الشر أخشى لاحقات الملام
 على جوده، ضنت به نفس حاتم

فأجابه عاصم:

وكيف يضل الحنظلي ببدة
 وزوراء ناء ماؤها من فلاتها
 سرينا به ليل التمام، فصبحت
 بها ولدته أمه غير قائم
 كفينا سراها القين والقين نائم
 به العيس مروى من جمام الخضارم

وأنشد يونس للفرزدق حين طلق النوار:

ندمت ندامة الكسعي لما
 وكانت جنة فخرجت منها،
 وكنت كفاقي عينيّه عمداً
 ولو ضنت يداي بها ونفسي
 وما فارقتها شبعاً، ولكن
 ممت مني مطلقه نوار
 كادم حين أخرج الضرار
 فأصبح ما يضي به النهار
 لكان على للقدر الخيار
 رأيت الدهر يأخذ ما يعار

وكان خالد بن عبد الله القسري حبس الكميث بن زيد، أبا المستهل، الأسدي، فحدثني سلام أبو المنذر

القاري: أن خالداً حبس الكميث بن زيد، وكان قال لخالد:

فَإِنِّي وَتَمْدَاحِي يَزِيدَ وَخَالِدًا

ضَلَالًا، لَكَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ إِبْلُ

فكانت أم المستهل تدخل عليه، حتى عرف أهل السجن وبوابوه ثيابها وهيئتها. فدخلت عند غفلة منهم، فلبس ثيابها وهيئتها، ثم خرج، فقال:

خَرَجْتُ خُرُوجَ الْقَدْحِ قَدْحِ ابْنِ مُقْبَلِ

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تِلْكَ النَّوَابِحِ وَالْمُثَلِّي

عَلَى ثِيَابِ الْغَانِيَاتِ، وَتَحْتَهَا

عَزِيمَةٌ أَمْرٌ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ

ولذلك قالت القيسية لهشام، حين كلموه في أمر الفرزدق حين حبسه خالد: كلما كان في مضر ناب أو شاعر حبسه. يعنون الكميت والفرزدق.

وأخبرنا يونس، قال: لما قدم المهدي، أتاه ابن الكميت مدلاً بطول مدح الكميت بني هاشم، فقال له المهدي: أليس أبوك الذي يقول:

فَالآنَ صَرِْتُ إِلَى أُمِّيَّةَ

وَالْأُمُورُ لَهَا مَصَائِرُ

اذهب فليس لك عندنا شيء.

وقال الفرزدق يعاتب قومه:

جَزَى اللهُ عَنِّي فِي الْخُطُوبِ مُجَاشِعًا

جَزَاءَ كَرِيمٍ عَالِمٍ كَيْفَ يَصْنَعُ

يُرِقُونَ عَظْمِي مَا اسْتَطَعُوا، وَإِنِّي

أَشِيدُ لَهُمْ بُنْيَانَ مَجْدٍ وَأَرْفَعُ

وَإِنِّي لَتَنْهَانِي عَنِ الْجَهْلِ فِيهِمْ،

إِذَا كِدْتُ، خَلَّاتُ مِنَ الْحِلْمِ أَرْبَعُ

حَيَاءً، وَبُفْيَاءً، وَانْتِظَارًا، وَأَنِّي

كَرِيمٌ، فَأَعْطِي مَا أَسَاءُ وَأَمْنَعُ

فَإِنْ أَعَفُ أُسْتَنْبِقِي ذُنُوبَ مُجَاشِعِ

فَإِنَّ الْعَصَا كَانَتْ لَذِي الْحِلْمِ تُقْرَعُ

أخبرني أبو يحيى الضبي قال: لما هرب الفرزدق من زياد حين استعدى عليه بنو نهمشل في هجائه إياهم، أتى سعيد بن العاص - وهو على المدينة أيام معاوية - فاستجاره فأجاره، وعنده الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي، فأنشده الفرزدق مدحته إياه التي يقول فيها: تَرَى الْعُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالًا

بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ، وَرَهْطَ عَمْرٍو،

وَعُثْمَانَ الْأَلَى غَلَبُوا فَعَالًا

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدِ

كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

فقال الحطيئة: هذا والله هو الشعر، لا ما تعلق به منذ اليوم أيها الأمير، فقال له كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك. قال: بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري. يا غلام أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك. ثم قال له الحطيئة: يا غلام لئن بقيت لتبرزن علينا. يا غلام، أنجذت أمك؟ قال: لا، بل أبي. يريد الحطيئة: إن كانت أمك أنجذت فإني أصبتها فأشبهتني. فألفاه لقن الجواب . فنعاه عليه الطرماح حين هجاه ، فقال:

فَأَسْأَلُ قُفَيْرَةَ بِالْمَرْوَاتِ: هَلْ شَهِدْتَ
سَوْطَ الْحُطَيْئَةِ بَيْنَ السَّجْفِ وَالنَّضْدِ؟
أَمْ كَانَ فِي غَالِبِ شَعْرٍ، فَيُشَبِّهُهُ
شَعْرُ ابْنِهَا، فَيُقَالُ: الشَّعْرُ مِنْ صَدَدِ؟
جَاءَتْ بِهِ نُطْفَةٌ مِنْ شَرٍّ مَا اتَّسَقَتْ
مِنْهُ، إِلَى شَرٍّ وَادٍ شُقِّ فِي بَلَدِ

قال: وأول شعر قاله الفرزدق، أن بني فقيم خرجوا يطلبون دماً لهم في قوم، فصالحوا منه على دية، فقال حين رجعوا:

لَقَدْ آبَتْ وَفُدُّ بَنِي فُقَيْمٍ
بِأَلَمٍ مَا تَوُوبُ بِهِ الْوُفُودُ

فشكوه إلى أبيه واستعدوه منه، فقال: هو أوغد من ذلك، ليته يقول شعراً فقال الفرزدق:

تَعَدَّرْتُ مِنْ شَتَمِ الْعَشِيرَةِ مُؤَلِيًّا
وَلَا بُدَّ لِلْمَظْنُونِ أَنْ يَتَعَدَّرَا

فلما سمعه أبوه قال: أنت صاحب الأول وكان يرعى غنماً لأهله - يعني في صغره - فذهب الذئب منها بكبش، فقال:

تَلَوُّمٌ عَلَى أَنْ صَبَحَ الذَّنْبُ ضَانَهَا
فَأَلْوَى بِكَبْشٍ وَهُوَ فِي الرَّعْيِ رَاتِعُ
وَقَدْ مَرَّ حَوْلَ بَعْدِ حَوْلٍ وَأَشْهَرُ
بِعَوْصٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ ظَمَانُ جَائِعُ
فَلَمَّا رَأَى الْإِقْدَامَ حَزْمًا، وَأَنَّهُ
أَخُو الْمَوْتِ مَنْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ
أَغَارَ عَلَى خَوْفٍ وَصَادَفَ غِرَّةً
فَلَا قَى الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْمَطَامِعُ
وَمَا كُنْتُ مِضْيَاعًا، وَلَكِنْ هِمَّتِي
سِوَى الرَّعْيِ مَقْطُومًا وَمُدَانًا يَافِعُ
أَبَيْتُ أَسُومُ النَّفْسِ كُلَّ عَظِيمَةٍ،
إِذَا وَطَّنْتُ لِلْمُكْتَرِبِينَ الْمَضَاجِعُ

فكان ذلك أول ما علم به من شعره وكان راعي الإبل يفضله، وفي ذلك هجاه جرير.

حدثني أبو بكر محمد بن واسع، وعبد القاهر بن السري السلميان قالا: كان منا - من بني حرام بن شمال - شويعر هجا الفرزدق، فأخذناه فأتيناه به فقلنا، ها هو ذا بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه. فحلى عنه وقال:

فقد أمن الهجاء بنو حرام

قلائد مثل أطواق الحمام

فمن يك خائفاً لأذاة شعري

هم قاذوا سفههم، وخافوا

وحدثني عبد القاهر السلمي قال: مر الفرزدق بمجلس بني حرام، ومعنا عنيسة مولى عثمان بن عفان، وهو جد عبد الكريم ابن روح، فقال: يا أبا فراس، متى تذهب إلى الأخرة قال: وما حاجتك إلى ذلك يا أخي قال: أكتب معك إلى أبي قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع دبالويه واصطفانوس .

حدثني عمر بن السكن الصرمي قال: مر الفرزدق ببني ربيع، وهو على بغلة، فوقف عليهم وفيهم ابن محكان، شاعرهم، وقد كان قال: من الفرزدق؟ غضباً لبني منقر حين هجاهم الفرزدق، وكان قال:

قبيلة سوءٍ بارٍ في الناس سوقها

شديداً ببطن الحنظلي لزوجها

فتى حنظلياً، كالهلال، يروقها

سوى أن أعراف الكوادر منقراً

وأعيب ما في المنقرية أنها

رأت قومها سوداً قصاراً، وأبصرت

وقال الفرزدق يهجو ربيعاً:

أتان دعاهما، فاستجابت، حمارها

بخير، وقد أعيت ربيعاً كبارها

بخير، وقد أعيت كلينياً قديمها

كان ربيعاً من عماية منقر

ترجى ربيع أن يجي صغارها

فلما قال البيث لجرير:

ترجى كلينياً أن يجي حديثها

قال الفرزدق:

تتحلها ابن حمران العجان

فقال عمر بن سكن في حديثه: فقال له بنو ربيع: مرحباً بسيدنا وشاعرنا قال: أير البغل في حرم سيدكم ! يعني ابن محكان.

حدثني أبو العراف قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي، فتقل عليه الكثير، وخشيه في القليل، وعنده عمرو بن عفري الضبي، راوية الفرزدق، وقد كان جرير هجاه لروايته للفرزدق، فقال:

وعمر بن عفري، لا سلام على عمرو

وتبنت جوباً وسكناً يسبني

فقال عمرو بن عفري لعبد الله بن مسلم، وهو الذي يلقب الفقير: لا يهولنك أمره، أنا أرضيه عنك! بدون ما كان هم له به، فأعطاه ثلاث مئة درهم، فقبلها ورضي. ثم بلغه صنيع ابن عفري فقال:

تَفَوَّقْتَ مَالَ الْبَاهِلِيِّ، كَأَنَّمَا
تَهَرُّ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ
فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا صَفَحْتُ، وَلَوْ سَرْتُ
عَلَى قَدَمِي حَيَاتُهُ وَعَقَارِبُهُ
وَلَكِنْ دِيَاْفِيُّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ
بِحَوْرَانَ يَعْصِرِنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ

فقال له ابن عفري - وأتاه في نادي قومه -: أجهد جهدك، فهل هو إلا هذا؟ فو الله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته، ولا تنهى عن شيء إلا ركبته. فقال: إنك لا تدوم! إنك ترجع! فأكد عليه فقال: فاشهدوا أبي أمه أن يفعل بأمه كذا وكذا.

حدثني شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي، من بلعدوية، مولاة لهم، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي فألقى الفرزدق عنده، فقال: يا أبا فراس، انهض فقال: إنه لم يدعني! فقال: إن ذبيان يؤتى وإن لم يدع. ثم قال: لا تخرج من عنده إلا بجائزة. فقام معه، فلما دخل على ذبيان قال:

كَمْ قَالَ لِي ابْنُ أَبِي شَيْخٍ وَقَلْتُ لَهُ:
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرُوفِ ذُبْيَانَ؟
إِنَّ الْقُلُوصَ إِذَا أَلْقَتْ جَاجِيَهَا
بِمِثْلِ بَابِكِ لَمْ تَرَحَّلْ بِحِرْمَانَ

قال: أجل يا أبا فراس، فادخل! فدخل فأعطاه ثلاث مئة درهم.

وحدثني أبو بكر المدني قال: قدم الفرزدق المدينة، فوافق بها موت طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري، وكان سيداً سخياً شريفاً، فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم! قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه من بينكم.

قال: وأتى مكة، فأتى عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وهو سيد أهل مكة يومئذ، وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع عطيته وعطية ولده. فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عروضاً إن شئت، فإن عندنا وصفاء فرهة، فإن شئت أخذتهم. قال: نعم فأرسل إليه بوصفاء من بنيه وبني أخيه، وقال: هم لك عندنا إلى أن تشخص. وجاءه العطاء فأخبره الخبر، وفداهم. فقال الفرزدق، ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان سيداً، يطوف بالبيت يتبختر:

تَمَشِّي تَبَخْتَرُ حَوْلَ الْبَيْتِ مُنْتَحِيًّا
لَوْ كُنْتُ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ تَزِدْ

وتزوج الفرزدق النوار بنت أعين بن ضبيعة المحاشمي، فادعت عليه طلاقاً، ونازعتة..... حتى قدمت على ابن الزبير في خلافته، وأتبعها، واتهم رجلاً من قومه يعينونها، فقال الفرزدق:

أَطَاعَتْ بَنِيَّ أُمَّ النَّسِيرِ، فَأَصْبَحَتْ
تَأْمَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا
عَلَى قَتَبٍ يَعْلُو الْفَلَاةَ دَلِيلُهَا
مَوْلَهُهُ يُوهِي الْحِجَارَةَ قِيلُهَا

فلجأت إلى أم هاشم بنت منظور بن زيان الفزاري، امرأة ابن الزبير، ولجأ الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأمه تماضر بنت منظور، فكان حمزة إذا أصلح شيئاً من أمر الفرزدق، قلبت أم هاشم رأي عبد الله إلى النوار، فقال الفرزدق:

أَمَّا الْبَنُونَ فَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُمْ،
لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُنْزَرٌ
وَشَفَّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورٍ بِنَ زَبَانَا
أَمِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

أخبرني إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، عن أبيه قال، قال له ابن الزبير: ما حاجتك بما وقد كرهتك! كن لها أكره، وخل سبيلها، فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليشب عليها! فبلغ ذلك ابن الزبير، فخرج وقد استهل هلال ذي الحجة، ولبس ثياب الإحرام يريد البيت ليحرم، فألقى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها، حتى جعل رأسه بين ركبتيه فقال:

أَلَّا أَصْبَحَتْ عَرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزٌ
أَوْ لَوْ رَضِيتُ رُمَحَ اسْتِهَ لَأَسْتَقَرَّتْ

والبيت لجعفر بن الزبير، فيما ذكر عبد الله بن مصعب.

وكان الفرزدق إذا أصاب دراهم أتى بها النوار، فتحرز بعضها وتعطيه بعضها، وكانت مسلمة تأله، فكانت تزعم أنه طلقها، ويجحدها، فاحتاج يوماً فقالت: أعطيك كذا وكذا درهماً على أن تشهد على طلاقي الحسن قال: نعم. فاعطته. فقال: أيها الشيخ، إني قد طلقت النوار. قال: قد سمعنا ما قلت. فلما حضرها الموت أوصته، وهو ابن عمها، أن يصلي عليها الحسن، فأخبره فقال: إذا فرغتم فأعلموني. وأخرجت، وجاء الحسن فسبقهم الناس، فانتظروهما، فأقبلا والناس ينظرون، قد استبطؤوهم. فقال الحسن: ما للناس؟ فقال الفرزدق: يرون خير الناس وشر الناس! قال: لست بخير الناس ولست بشرهم! وقال له الحسن، وهو على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ سبعون سنة.

حدثني عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال: أخبرني أبو بكر الهذلي، قال: إنا لجلوس عند الحسن، إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد! الرجل يقول

في كلامه: لا والله، بلى والله! ولا يريد اليمين! فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ فقال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا!، وما قلت؟ قال: قلت:

وَلَسْتُ بِمَأْخُودٍ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ **إِذَا لَمْ تَعَمَدْ عَافِدَاتِ الْعِزَائِمِ**

قال: ثم لم يلبث أن جاء رجل آخر فقال: يا أبا سعيد! إنا نكون في هذي المغازي، فنصيب المرأة لها زوج، أفیحل غشيانها ولم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا! فما قلت في ذلك؟ قال: قلت:

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحْتَنَا رِمَاحُنَا، **حَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ**

أخبرني محمد بن جعفر الزبيقي قال: أتى الفرزدق الحسن فقال: إني قد هجوت إبليس فاسمع. قال لا حاجة لنا فيما تقول. قال: لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس: الحسن ينهي عن هجاء إبليس. فقال الحسن: اسكت، فإنك عن لسانه تنطق. وقال رجل لابن سيرين: وهو قائم مستقبل القبلة يريد أن يكبر: أتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه فقال:

أَلَا أَصْبَحْتُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزٍ **أُولُو رَضِيَتْ رُمَحَ اسْتِهَ لَأَسْتَقَرَّتِ**

ثم توجه إلى القبلة وكبر.

أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز الماحشوي، عن يحيى ابن زيد قال: دخل رجل على الحسن فسمعه يقول: والله الذي لا إله إلا هو لتموتن، والله الذي لا إله إلا هو لتبعثن. ثم قال: والله الذي لا إله إلا هو لتحاسبن. قال: فقلت: هذا حلاف! فخرجت من عنده، فأتيت ابن سيرين، فإذا عنده جرير ينشده ويحدثه، هذا صاحب باطل! فتركتهما، فندمت.

حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد- وكان في ديماس الحجاج زماناً، حتى أطلقه سليمان حين قام - قال: انتهيت إلى الفرزدق، وهو ينشد بمكة بالردم مديح سليمان بن عبد الملك، وهو يقول:

وَكَمْ أَطْلَقْتُ كَفَّاكَ مِنْ قَيْدِ بَائِسٍ، **وَمِنْ عَقْدَةِ مَا كَانَ يُرْجَى أَنْحِلَالُهَا**
كَثِيرًا مِنَ الْأَيْدِيِ الَّتِي قَدْ تَكَنَّعَتْ **وَفَكَكْتَ أَعْنَاقًا عَلَيْهَا غِلَالُهَا**

فقلت: أنا والله أحدهم! قال: فأخذ بيدي وقال: أيها الناس! سلوه، فوالله ما كذبت قط.

وسمعت الحارث بن محمد بن زياد، قال: كتب يزيد بن المهلب حين فتح جرجان، إلى أخيه مدركة أو

مروان: احمل الفرزدق ليقول في آثارنا، فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا. قال: أحسبه قال: عشرة آلاف درهم، فقال الفرزدق: ادفعها إلي. قال: اشخص وأدفعها إلى أهلك. فأبى، وخرج وهو يقول:

دَعَانِي إِلَى جُرْجَانَ وَالرَّيِّ دُونَهُ
لَا تِيَّ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ ذَائِرًا
سَابِي وَتَأْبَى لِي تَمِيمٌ وَرُبَّمَا
لَا تِيَّهَ إِنِّي إِذَنْ لَزُورُ
بِأَعْرَاضِهِمْ وَالدَّثْرَاتُ تَدُورُ
أَبَيْتُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيَّ أَمِيرُ

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: سمعت سلمة بن عياش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق - حبسه مالك بن المنذر بن الجارود - فكان يريد أن يقول البيت، فيقول صدره فأسبغه إلى القافية، ويجيء بالقافية فأسبغه إلى الصدر. قال لي: ممن أنت؟ قلت: من قريش. قال: كل أير حمار من قريش! من أيهم أنت؟ قلت: أفلا أحمرك بأذل منهم وألأم؟ قال: بلى! قلت: بنو مجاشع. قال: ويلك! ولم؟ قلت: أنت شاعرهم وسيدهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك! قال: قاتلك الله! أنا أبو خليفة نا ابن سلام قال: فأنشدني يونس النحوي وعبد القاهر السلمي للفرزدق، حين عزل يزيد مسلمة عن العراق، بعد قتله يزيد بن المهلب، واستعمل عمر بن هبيرة:

وَلَّتْ بِمَسَلْمَةَ الرَّكَّابُ مُودِعًا
فَسَدَّ الزَّمَانَ وَبُدِلَتْ أَعْلَامُهُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا فَرَازَةَ أُمِرْتُ
وَلَخَلَقُ رَبِّكَ مَا هُمْ وَلَمِثْلُهُمْ
تَزِعَ ابْنُ بَشْرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ
فَارَعَى فَرَازَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ
حَتَّى أُمِيَّةً عَنِ فَرَازَةَ تَنْزِعُ
أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَرَازَةَ تَطْمَعُ
وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان مسلمة أمره على البصرة. وابن عمرو: سعيد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان على خراسان. وأخو هراة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص .

وقال إسماعيل بن عمار الأسدي، حين عزل ابن هبيرة وأمر خالد القسري:

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فَرَازَةَ أَنْ رَأَى
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَازَةَ شَجَّوَهَا
وَبَنُو أُمِيَّةَ أَضْرَعُونَا لِلْعَدَى
عَنْهَا أُمِيَّةً فِي الْمَشَارِقِ تَنْزِعُ
أَمْرٌ تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَنْزِعُ
فَالْيَوْمَ مَنْ قَسَرَ تَصِحُّ وَتَجَزَعُ
لِلَّهِ دَرٌّ مُلُوكِنَا! مَا تَصْنَعُ؟

سَفَهَا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتُرْضِعُ

كَانُوا كِتَارِكَةَ بَيْنَهَا جَانِبًا

وقال قوم إن هذا البيت للفرزدق، ومن أنشده له قال:

وَمُلُوكُ خِنْدِفٍ أَضْرَعُونَا لِلْعَدَى

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة:

كَرِيمٌ لَسْتُ بِالطَّبِيعِ الْحَرِصِ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَأَنْتَ عَفٌّ

فَزَارِيًا أَحْذَى يَدِ الْقَمِيصِ؟!

أَوْلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفِدِيَه

وَعَلَّمَ أَهْلَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ

تَفَنَّقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى

لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوصِ

وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضِ

وأنشدني له يونس:

إلى فزارة عيراً تحمل الكمرا

جهاز فإنك ممتاز ومبتعث

أير الحمار طبيب أبرأ البصرا

إن الفزاري لو يعمى فأطعمه

أطايب العيرحتى ينهش الذكرا

إن الفزاري لا يشفيه من قرم

واسترجع الضيف لما أبصر الكمرا

لما أتوه بما في القدر أنكره

الله ضيف الفزازيين ما انتظرا

يقول لما رأى ما في إنائهم:

فلما قدم خالد بن عبد الله القسري والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب فخرج منه،

فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولم تر إلا بطنها لك مخرجا

لما رأيت الأرض قد سد ظهرها

ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما

وما سار سار مثلها حين أدلجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة

سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

خرجت ولم يمنن عليك شفاعا

جرى بك محبوك القرا غير أفحجا

أغر من اللحق اللهمم إذ جرى

به عنك أرخى الله ما كان أشرجا

جرى بك عريان الحماتين ليلة

بها نفسه تحت الصريمة أولجا

وما احتال محتال كحيلته التي

وظلماء تحت الأرض قد خضت هولها

وليل كلون الطيلساني أدعجا

هما ظلمتا ليل وأرض تلاقنا

على جامع من همه، ما تعرجا

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني جابر بن جندل قال، قيل لابن هبيرة: من سيد أهل العراق؟ قال: الفرزدق، هجاني ملكاً ومدحني سوقة.

وقال لخالد بن عبد الله حين قدم العراق أمير لهشام:

ألا قطع الرحمن ظهر مطية

أنتنا تخطي من دمشق بخالد

كيف يؤم الناس من كانت أمه

تدين بأن الله ليس بواحد

بني بيعة فيها الصليب لأمه

وهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضاً:

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت

ونفت فزاره عن قرار المنزل

وقال:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها

جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق أميراً، أمر على شرطة البصرة مالك ابن المنذر بن الجارود، فكتب إليه خالد: أن أحبس الفرزدق، فإنه هجا أمير المؤمنين بأبيات، قالها الفرزدق حين حفر خالد النهر الذي سماه المبارك:

أهلكت مال الله في غير حقه

على نهرك المشؤوم غير المبارك

وتضرب أقواماً براء ظهورهم

وتترك حق الله في ظهر مالك

أنفاقمال الله في غير كنهه

ومنعاً لحق المرملات الضرائك

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعى على مالك فرية، فأبطلها خالد.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، قال حدثني أبو يحيى، قال: قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس: اشخص إلى هشام. ومدحه بقصيدة. وقال لابنه: استعن بالقيسية ولا يمنحك منهم هجائي لهم، فإنهم سيغضبون لك. وقال:

بكت عين محزون ففاض سجامها

وطالت ليالي حادث لا ينامها

فإن نبك لا نبكي المصيبات إذ أتى

بها الدهر والأيام جم خصامها

ولكنما نبكي تنهك خالد

محارم منا لا يحل حرامها

أنقتل فيكم أن قتلنا عدوكم

على دينكم والحرب باد قتامها

فخير أمير المؤمنين فإنها

يمانية حمقاء أنت هشامها

قال: أنشدنيها أبو الغراف. فأعانتة القيسية وقالوا: يا أمير المؤمنين! إذا ما كان في مضر ناب، أو شاعر، أو سيد، وثب عليه خالد فحبسه! وقال الفرزدق أبيتاً كتب بها سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي وكلم له هشاماً:

إلى الأبرش الكلبي أسندت حاجة

تواكلها حياً تميم ووائل

على حين أن زلت بي النعل زلة

فأخلف ظني كل حاف وناعل

فدونكم با ابن الوليد فإنها

مفضلة أصحابها في المحافل

ودونكها يا ابن الوليد فقم بها

قيام امرئ في قومه غير خامل

فكلم له هشاماً فأمر بتخليته.

فقال يمدح الأبرش:

لقد وثب الكلبي وثبة حازم

إلى خير خلق الله نفساً وعنصراً

إلى خير أبناء الخليفة لم يجد

لحاجته من دونها متأخراً

أبي حلف كلب في تميم وعقدها

كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان حلف قديم بين كلب وميم في الجاهلية، وذلك قول جرير:

تميم إلى كلب وكنب إليهم

أحق وأولى من صداء وحميرا

وقال الفرزدق:

أشد حبال بين حيين مرة

حبال أمرت من تميم ومن كلب

وليس قضاعي لدينا بخائف

ولو أصبحت تغلى القدور من الحرب

وقال أيضاً:

ألم تر قيساً قيس عيلان شمريت

لنصري وحاطتني هناك قرومها

فقد حالفت قيس على الناس كلهم

تميماً فهم منها ومنها تميمها

وعادت عدوى إن قيساً لأسرتي

وقومي إذا ما الناس عد صميمها

قال محمد بن سلام، وحدثني عبد القاهر بن السري، قال: قال عمر بن يزيد بن عمير الأسدي - وسمعت

يونس يقول: ما كان بالبصرة مولد مثله - قال: دخلت على هشام بن عبد الملك، وعنده خالد بن عبد

الله القسري يتكلم ويذكر اليمن وطاعتها، فأكثر في ذلك، فصفقت تصفيقة دوي البهو منها. فقلت: تا الله ما رأيت كاليوم خطلاً! والله إن فتحت فتنة في الإسلام إلا باليمن! لقد قتلوا أمير المؤمنين عثمان، ولقد خرج ابن الأشعث على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وإن سيوفنا تقطر من دماء بني المهلب! فلما نهضت، تبعتني رجل من بني مروان حضر ذاك، فقال: يا أخا تميم! وريت بك زنادي! قد شهدت مقاتلك، واعلم أن أمير المؤمنين موليه العراق، وإنما ليست لك بدار.

فلما ولى خالد استعمل على أحداث البصرة مالك بن المنذر، فكان لعمر مكرماً، ولحوائه قضاء، إلى أن وجد عليه. وكان عمر لا يملك لسانه، فخرج من عنده وقد سأله حاجة فقضاها، فقال: كيف رأيت الفساء! سخرنا به منذ اليوم! وقال قائلون: إن خالداً كتب إليه فيه، فأخذه. وشهد عليه ناس من بني تميم وغيرهم، فضربه مالك حتى قتله تحت السياط.

وكان عمرو بن مسلم الباهلي أعان عليه، وكانت حميدة بنت مسلم عند مالك بن المنذر. وأعان عليه بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة، وكان يخاصم هلال بن أحوز في المرغاب خصومة طويلة، وكان عمر يعين على بشير، فقال الفرزدق:

لحا الله قوماً شاركوا في دماننا
وكنالهم عوناً على العثرات
فجاهرنا ذو الغش عمرو بن مسلم
وأوقد ناراً صاحب البكرات

يعني بشيراً.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، قال حدثني خلاد بن يزيد، عن سلم بن قتيبة قال: رأني بشير بن عبيد الله وأنا أخاصم بعض أهلي وأنا شاب، فقال لي: يا ابن أخي! إني أراك ثبت المروءة، فأياك والخصومات، فإنها تذهب المروءة. فرأيت بعد ذلك يخاصم هلال بن أحوز في المرغاب خصومة طويلة، فقلت له: أتذكر شيئاً قتلته؟ قال: نعم! قلت: فما بالك تخاصم؟ قال: يا ابن أخي! إني أخاصم في عدل الخلافة، وأنت تخاصم في ضحضاح لا يوارى أخمصك! وكانت عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة بنت أوفى الحرشي، أخت زرارة، عند عمر بن يزيد، فخرجت إلى هشام، وأعاتتها القيسة على مالك، فحمل مالك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، فحدثني محمد بن الحارث قال: قال له هشام: يا ابن اللخناء! قتل سيديك! قال: أما إن أمة التي تلخن حملت أباك على ركائبه إلى الشام - يعني مروان، وكان لجأ أيام الحمل إلى المسامعة جريماً، فداووه ثم حملوه. وأم مالك: بحرية بنت مالك بن مسمع - فألقي في السجن، وقد مرض وبه بطن، فمات في مرضه، فقال الفرزدق:

على أي حال يستمر مريرها

ستعلم عبد القيس إن ما زال ملكها

فأجابه النميري بقصيدة يقول فيها:

إلى مدية مدفونة تستشيرها

وكان كعنز حين قامت لحتفها

فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وكان يجير الناس من سيف مالك

وقال الفرزدق:

وما كان مني ودهم يتصرم

تصرم مني ود بكر بن وائل

وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

قوارص تأتيني ويحتقرونها

فأجابه أبو العطف:

وأحدث صرماً للفرزدق أظلم

لعمرى لئن كان الفرزدق عاتباً

وضمتك للأحشاء إذ أنت محرم

لقد وسطتك الدار بكر بن وائل

بمكة يؤويك الستار المحرم

ليالي تمنى أن تكون حمامة

تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

فإن تتأعنا لا تضرنا وإن تعد

يعني حين هرب الفرزدق من زياد.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، قال، وحدثني أبو العطف قال: لقي الفرزدق شاب من أهل البصرة فقال: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة؟ قال: سل. قال: أيهما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: يا ابن أخي، لم تأل أن شددت، وأحببت أن لا تجعل لي مخرجاً، أفتجيبني أنت إن أحببتك؟ قال: نعم! قال: فاحلف. فغلط عليه، ثم قال: نكون معاً لا يسبقني ولا أسبقه، أسألك الآن؟ قال: نعم! قال: فأيما أحب إليك، أن ترجع الآن إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة بكذا وكذا من رجل، أو تجد رجلاً قابضاً بكذا وكذا منها؟ وكان أبو العطف شاعراً شتاماً، وهو القائل لعمر وابن هدا:

فما بيني وبينك من عتاب

سموت إلى العلى وقصرت عنها

قال ابن سلام، وأنشدني يونس للفرزدق:

يدع الصيام ولا تصلي الأربع

من يأت عماراً ويشرب شربة

كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً. و"المقلد": البيت المستغني بنفسه، المشهور الذي يضرب به المثل. فمن ذلك قوله.

كأن أباهـا نهشل أو مجاشع
ضربناه حتى تستقيم الأخادع

فيا عجباً حتى كليب تسبني
وكنا إذا الجبار صعر خده

وقوله:

حتى ترد إلى عطية تعتل

ليس الكرام بما نحيك أباهم

وقوله:

بصاحبه يوماً أحال على الدم

وكنـت كذئب السوء لما رأى دمأ

وقوله:

بخير وقد أعيى ربيعاً كبارها

ترجى ربيع أن يجئ صغارها

وقوله:

مما وجين كمشية الأطفال

أكلت دوابها الإكام فمشيها

وقوله:

وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

قوارص تأتيني وتحتقرونها

وقوله:

وتخالنا جنا إذا ما نهـجـل

أحلامنا تزن الجبال رزانه

وقوله:

وإلا فإني لا إخالـك ناجياً

فإن تتج منها من ذي عظمة

وقوله:

لأنـت المعني يا جرير المكلف

وإنك إذ تسعى لتدرك دارماً

وقوله:

ورشد أتى السـيـدي ما كان غاويأ

ولو خير السـيـدي بين غواية

وقوله:

ويهرب منا جهده كل ظالم

ترى كل مظلوم إلينا فراره

وقوله:

وإن نحن أو مأنأ إلى الناس وقفوا

ترى الناس ما سرنا يسـيـرون خلفنا

وقوله:

نبا بيدي ورقاء عز رأس خالد
ويقطعن أحياناً مناط القلائد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها

وقوله:

به لا بظبي بالصرائم أعفرا

أقول له، لما أتاني نعيه

وكان يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو. من ذلك قوله يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبد الملك:

أبو أمه حي أبوه يقاربه

وأصبح ما في الناس إلا مملكاً

وقوله:

فاستجهلت سفهاؤها حلماؤها

تالله قد سفهت أمية رأيها

وقوله:

نرى العرصات أو أثر الخيام

ألستم عائجين بنا لعنا

دموعاً غير راقنة السجام

فقالوا إن فعلت فأغن عنا

وقوله:

إلى آل بسطام بن قيس فخطب

فهل أنت إن فاتت أتانك راحل

وقوله:

على دارمي بين ليلى وغالب

فقل مثلها من مثلهم ثم دلهم

وقوله:

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

تعال فإن عاهدتني لا تخونني

وقوله:

كمن بواديه بعد المحل ممطور

إننا وإياك إن بلغن أرحلنا

وقوله:

به عثمان مروان المصابا

بني الفاروق أمك وابن أروى

وقوله:

أبوه ولا كانت كليب تصاهره

إلى ملك ما أمه من محارب

وقوله:

هموم المنى والهوجل المتعسف
من المال إلا مسحاً أو مجلف

إليك أمير المؤمنين رمت بنا
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

وقوله:

منها بلا بخل ولا مبذول
برد بفرع بشامة مصقول

ولقد دنت لك بالتخلب إذ دنت
وكأن لون رضاب فيها إذ بدا

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

لله سيف صنيعه مسلول
سيف لكل خليفة ورسول

إن ابن جباري ربيعة مالكا
ما زال من آل المعلي قبله

وقوله:

ليل يصيح بجانبه نهار

والشيب ينهض في الشباب كأنه

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبي قال، قال لهما - أعني الفرزدق وجريراً - بعض الخلفاء: حتى متى لا تترعان؟ فقال جرير: يا أمير المؤمنين، إنه والله يظلمني! قال: صدق! أنا أظلمه، ووجدت أبي يظلم أباه.

قال: وحدثني أبو الغراف قال: دخل الفرزدق على بلال فقال له: أحججت يا أبا فراس؟ قال: نعم. قال: فما رأيت؟ قال رأيت شيخاً يطوف بالبيت آخذة امرأته بحجزته، خلفها ولدان لها وهو يقول:

وكهلة أولج فيها الأجردا

انت وهبت زائداً ومزيداً

وهي تقول: إذا شئت! إذا شئت! فقلت له: ممن أنت يا شيخ؟ قال: أشعري. قال: كذبت! والله ما رأيت هذا، ولكن ائتفكتها من حينك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني يونس قال: قدم الأصوص الشاعر فترل على عمرو بن عبيد الأنصاري، فمر به الفرزدق فقال له: متى عهدك بالزنا يا أبا فراس؟ قال: مذ ماتت العجوز.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو يحيى الضبي قال: بينما الفرزدق يسير، إذ مر برهط من بني كليب، فأخذه فجأوه بأتان فقالوا له: إنك تعبرنا بالأتن، فوالله لا تريم حتى تترو عليها. قال: دعوني لا أبا لكم! فأبوا عليه، قال: فهاتوا الصخرة التي كان يقوم عليها عطية! وقال الفرزدق حين صار إلى الحجاز ولجأ إلى سعيد:

لفعلك إلا حامداً غير لائم

نمتك العرائين الطوال ولا أرى

فإلا تداركني من الله نعمة
ومن آل حرب ألق طير الأشائم

أخبرني أبو خليفة قال، حدثنا محمد بن سلام قال، قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامة
كما اقض باز أقتم الريش كاسرة

فلما استوى رجلاي في الأرض قالتا
أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يفتنوا بنا
ووليت في أعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا
وأحمر من ساج تبص مسامره

وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت
مغلقة دوني عليها دساً كره

قال: فأنكرت ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة، وهو واليها معاوية، وأجله ثلاثاً فقال:

يا مرو إن مطيتي محبوسة
ترجو الحباء وربها لم ييأس

وأتيتني بصحيفة مختومة
أخشى على بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن
نكداء مثلي صحيفة المتلمس

وقال في ذلك:

وأخرجني وأجلني ثلاثاً
كما وعدت لمهلكها ثمود

وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه، فقال:

وشبهت نفسك أشقى ثمود
فقالوا ضللت ولم تهتد

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامة
وقصرت عن باع العلى والمكارم

وهما قصيدتان.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن

رببعة تعصبت له وأفرطت فيه. فقلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا

يحسنها الفرزدق. وفضل جريراً عليه.

وقال العلاء بن حريز العنبري - وكان قد أدرك الناس وسمع - قال: كان يقال: الأخطل إذا لم يجيئ سابقاً

فهو سكيئ. والفرزدق لا يجيئ سابقاً ولا سكيئاً، فهو بمنزلة المصلئ، وجرير يجيئ سابقاً وسكيئاً ومصلئاً.

قال ابن سلام: وتأويل قوله، أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعمائة طوالةً روائعاً غرراً جياداً، هو بمن سابق،

وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمرتلة السكيت - والسكيت: آخر الخيل في الرهان - . ويقال إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلي أبداً. والمصلي: الذي يجيء بعد السابق، وقبل السكيت. وجرير له روائع هو بمن سابق، وأوساط هو بمن مصل، وسفسافات هو بمن سكيت.

قال ابن سلام: وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وأخبرني أبان بن عثمان الكوفي قال: سئل الأخطل عن جرير بالكوفة فقال: دعوا جريراً أخزاه الله، فإنه كان بلاء على من صب عليه. وذكر من قوله:

ما قاد من عرب إلى جوادهم إلا تركت جوادهم محسوراً

أبقت مراكضتي الرهان مجرباً عند المواطن يرزق التيسيرا

أخبرنا أبو خليفة، قال ابن سلام، قال مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد: كان الفرزدق عند أبي في مشربة له، فدخل رجل فقال: وردت اليوم المريد قصيدة لجرير تناشدها الناس. فانتقع لون الفرزدق، قال: ليست فيك يا أبا فراس! قال: ففيمن؟ قال: في ابن لجأ التيمي. قال: أفحفظت منها شيئاً؟ قال: نعم، علقت منها بيتين. قال: ما هما؟ قال:

لئن عمرت تيم زماناً بكرة لقد حديت تيم حداء عصبصبا

فلا يضغمن الليث عكلاً بكرة وعكل يشمون الفريس المنببا

فقال الفرزدق: قاتله الله! إذا أخذ هذا المأخذ لا يقام له! أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: أخبرني يونس قال: كان الفرزدق يتضور ويجزع إذا أنشد لجرير، وكان جرير أصبرهما. أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وأخبرني أبو البيداء الرياحي قال، قال الفرزدق: إني وإياه لنغترف من بحر واحد، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر.

قال ابن سلام: وذاكرت مروان بن أبي حفصة جريراً والفرزدق فقال: أحكم في الثلاثة بشعر، فإن الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم. فقال:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو الكلام ومرة لجرير

ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللهى بمدح المشهور

كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير

وسألت الأسيدي- أخوا بني سلامة - عنهما فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر، ومدح، ونسيب، وهجاء، وفي كلها غلب جرير، في الفخر في قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم

حسبت الناس كلهم غضابا

و في المدح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

وفي الهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وفي النسب قوله:

إن العيون التي في طرفها مرض

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

وإلى هذا يذهب اهل البادية.

قال أبو عبد الله محمد بن سلام: وبيت النسب عندي:

فلما التقى الحيان ألقيت العصا

ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

قلت للأسدي: أما والله لقد أوجعكم يعني في الهجاء! فقال: يا أحمق، أو ذاك يمنع أن يكون شاعراً! .
أنا أبو خليفة، قال نا ابن سلام قال، قال أبو الغراف: كان الخطفي ذا إبل ومال، فلما ولد جرير لعطية
كان ينحله من إبله وماله. فولد للخطفي صبية، فرجع فيما كان نحل جريراً، فقال:

ألا حي رهبي ثم حي المطاليا

لقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

عفا الرسم إلا أن تذكر أو ترى

ثاماً حوالي منصب الخيم باليا

إذا ما أراد الحي أن يتحملوا

وحنت جمال الحي حنت جماليا

وإني لمغرور أعلل بالمنى

غداة أرجى أن مالك ماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى

سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

وليست لسيفي في العظام بقية

وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

ووفد جرير بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية وهو خليفة، وجرير حدث، فأنشده:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى

سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

قال: كذبت، ذاك جرير. قال: فانا جرير! قال: والله لقد فارق أمير المؤمنين معاوية الدنيا وهو يرى أن
هذا البيت لي.

أنا أبو خليفة قال، قال ابن سلام، أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: تنازع رجلان في عسكر المهلب في

جرير والفرزدق - وهو بيازاء الخوارج - فصارا إليه وسألاه، فقال: لا أقول فيهما شيئاً - وكره أن يعرض نفسه - ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما: عبيدة بن هلال البشكري، وهو مولى بني قيس بن ثعلبة، وهو يومئذ في عسكر قطري. فأتياه فوقفا حيال العسكر فدعواه، وخرج يجرحه، وظن أنه دعى للبراز، فقالا له: الفرزدق أشعر أم جرير؟ فقال: عليكما وعليهما لعنة الله! قالوا: نحب أن نخبرنا ثم نصير إلى ما تريد. قال: من يقول؟:

طي التجار بحضرموت برودا

وطوى القياد مع الطراد بطونها

قالا: جرير: قال. هو أشعرهما.

انا أبو خليفة، نا محمد بن سلام قال، أخبرني أبو رجاء الكلبي قال: كان لأمامة، امرأة جرير، ابن أخ ذو إبل يقال له عضيدة، لقصر في يده، فلم تزل به امرأته حتى زوجه ابنته، فعتب عليه فقال:

عضيدة إذ تتخلت الفحول

وغرتنا أمامة فافتحلنا

خلجت النسل أو لؤم الفصيل

إذا ما كان فحلك فحل سوء

انا أبو خليفة، أنا ابن سلام، أخبرنا أبو الغراف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك، وهو خليفة، وعنده عدي ابن الرقاع العاملي، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: هذا رجل من عاملة. قال: الذين يقول الله جل ثناؤه: "عاملة ناصبة، تصلى نار حامية" "سورة الغاشية 3،4"، ثم قال:

ولكن أير العاملي طويل

يقصر باع العاملي عن العلى

فقال العاملي:

أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول؟

أمك كانت أخبرتك بطوله

فقال: لا، بل لم أدر كيف أقول. فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن سميت لأسرجنك ولأجمنك وليركبنك، فتعيرك بذلك الشعراء. فكنى جرير عن اسمه، واسمه عدي، فقال:

جار لقبر على مران مرموس

إني إذا الشاعر المغرور حربني

شغباً على الناس في أبنائنا الشوس

قد كان أشوس أبا فأورثنا

فرع لثيم وأصل غير مغروس

أقصر فإن نزاراً لا يفاخرهم

في رأس أر عن عادي القداميس

وابنا نزار أحلاني بمنزلة

وابن اللبون إذا ما لز في قرن

لم يستطع صولة البزل القناعيس

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو يحيى الضبي قال: ورد البعيث المجاشعي على بني سليط بن يربوع، وكان ولدهم وولدوه، فشكوا إليه فهر جرير صاحبهم - يعني غسان السليطي - فقال البعيث:

إذا يسرت معزي عطية وارتعت

تلاعا من المروت أحوى جميعها

تعرضت لي حتى صككتك صكة

على الوجه يكبو لليدين أميمها

أليست كليب ألام الناس كلهم

وأنت إذا عدت كليب لنيمها

وكانت أم البعيت أمة حمراء سجستانية، تسمى فرتنا، فكان يقال له: ابن حمراء العجان فهجاه جرير فثاوره، فضج إلى الفرزدق، والفرزدق يومئذ بالبصرة، وقد قيد نفسه وآلى لا يفك قيده حتى يقرأ القرآن فقال البعيث:

لعمرى لئن ألهى الفرزدق قيده

ودرج نوار ذو الدهان وذو الغسل

ليبتعنن منى عداة مجاشع

بديهة لأواني الجراء ولا وغل

فقال جرير:

جزعت إلى درجي نوار وغلها

فأصبحت عبداً ما تمر وما تحلى

وعده الناس مغلوباً حين استغاث.

قال، وقال الفرزدق: إني إن وثبت على جرير الآن حققت على البعيث الغلبة! ولكني كأني وثبت عليهما، فأدع البعيث وأخذ جريراً. فقالوا: الطيب أطب! فقال:

لود جرير اللؤم لو كان عانياً

ولم يدن من زأر السود الضراغم

وليس ابن حمراء العجان بمفلتي

ولم يزدجر طير النحوس الأشائم!

وإنكما قد هجتماني عليكما

فلا تجزعا واستسمعا للمراجم

وقال:

دعاني ابن حمراء العجان ولم يجد

له إذ دعا مستأخراً عن دعائيا

فنفست عن أنفيه حتى تنفسا

وقلت له لا تخش شيئاً ورائيا

فلما استطار كل واحد منهما في صاحبه، قال البعيث:

أشاركتني في ثعلب قد أكلته

فلم يبق إلا رأسه وأكارعه

فدونك خصييه وما ضمت استه

فإنك رمام خبيث مراتعه

قال: وسقط البعيث بينهما.

ولج المهجاء نحواً من أربعين سنة، لم يغلب واحد منهما على صاحبه. ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا الإسلام. يمثل ما تهاجيا به وأشعارهما أكثر من أن تأتي عليها، ولكننا نكتب منها النادر. وقال الفرزدق لجرير:

وبيت المحتبى والخافقات

غلبتك بالمفقى والمعنى

"المفقى"، قوله:

أبا لك إن عد المساعي كدارم

ولست ولو فقأت عينك واجداً

أبو كل ذي بيت رفيع الدعائم

هو الشيخ وابن الشيخ لا شيخ مثله

و"المعنى"، قوله:

لأنت المعني يا جرير المكلف

وإنك إذ تسعى لتدرك دارماً

و"المحتبى" قوله:

ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

بيناً زرارة محتب بفنائيه

و"الخافقات"، قوله:

بخير وأين الخافقات اللوامع

وأين تقضي المالكان أمورهما

فقال جرير:

بذي نجب انا ادعينا لدارم

أقين بن قين، ما يسر نساءنا

لفطح المساحي أو لجدل الأدهم

هو القين وابن القين لا قين مثله

الجدل: الفتل. والأدهم: الحبال، نا أبو خليفة: كل من كان في عمله حديد فهو قين. بذي نجب: يوم

التقت بنو حنظلة وبنو عامر، إلا بني مالك بن حنظلة .

قال ابن سلام: واشترى جرير جارية من رجل من أهل اليمامة، يقال له زيد، يعرف بابن النجار،

ففركته وكرهت خشونة عيشه، فقال:

ومن لي بالمرقق والصناب!

تكلفني معيشة آل زيد

وما ضمي وليس معي شبابي!

وقالت لا تضم كضم زيد

فقال الفرزدق:

وأعوزك المرقق والصناب

لئن فركتك عجة آل زيد

لقدماً كان عيش أبيك جدياً

يعيش بما تعيش به الكلاب

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، حدثني حاجب بن يزيد وابو الغراف قالوا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين - وهو عبد الله - بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها، فاحتكم مئة من الإبل، فدخل على الحجاج فعذله وقال: تزوجتها على حكمها وحكم أبيها مئة بعير! وهي نصرانية! وجئتنا متعرضاً أن نسوقها عنك! اخرج، مالك عندنا شيء فقال عنبسة بن سعيد، وأراد نفعه: أيها الأمير! إنما هي من حواشي إبل الصدقة! فأمر له بها الحجاج، فوثب عليه جرير فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب

يا زيق ويحك من أنكحت يازيق

أنكحت ويلك قيناً باسته حمم

يا زيق ويحك أن بارت بك السوق

غاب المثنى فلم يشهد نجيكم

والحوفزان ولم يشهدك مفروق

يارب قائلة بعد البناء بها

لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

أين الألى استنزلوا النعمان ضاحية

أم أين أبناء شيبان الغرائيق

قال: فلم يجبه الفرزدق، فقال جرير أيضاً:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصب

ولا عن بنات الحنظليين راغب

وهن كماء المزن يشفي به الصدى

وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فلو كنت حراً كان عشر سياقكم

إلى آل زيق والوصيف المقارب

فقال الفرزدق:

ففل مثلها من مثلهم ثم لمهم

على دارمي بين ليلي وغالب

هم زوجوا قبلي لقيطاً وأنكحوا

ضراراً وهم أكفاؤنا في المناسب

ولو قبلوا منا عطية سقته

إلى آل زيق من وصيف مقارب

ولو تتكح الشمس النجوم بناتها

إذن لنكحناهن قبل الكواكب

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني الزراري، عن أبيه قال: ما كانت امرأة من بني حنظلة إلا ترفع لجرير اللوية في عكمها، تطرفه، لقوله:

وهن كماء المزن يشفي به الصدى

وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فقلت للزراري: ما اللوية؟ قال: الشريحة من اللحم، وهي الفدرة من التمر، والكبة من الشحم، أو الجلة من الأقط، فإذا كانت الصفرية وذهبت اللبان وضافت المعيشة، كانت طرفة عندهم.
وقال جرير:

أثائرة حدراء من جر بالنقا وهل لأبي حدراء في الوتر طالب
أثأر بسطاماً إذا ابتلت استها وقد بولت في مسمعيه الثعالب

قال ابن سلام: والنقا الذي عناه جرير، هو الموضع التي قتلت فيه بنو ضبة بسطاماً، وهو بسطام بن قيس.
قال: فكرهت بنو شيبان أن يهتك جرير أعراضهم، فلما أراد الفرزدق نقل حدراء، اعتلوا عليه وقالوا له: إنها ماتت.
قال جرير:

فأقسمت ما ماتت ولكنما التوى بحدراء قوم لم يروك لها أهلاً
رأوا أن صهر القين عار عليهم وأن لبسطام على غالب فضلاً

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، قال، حدثني حاجب بن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال: قال جرير بالكوفة:

لقد قادني من حب ماوية الهوى وما كنت ألقى للجنيبة أقودا
أحب ترى نجد وبالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا
أقول له يا عبد قيس صبابة بأي ترى مستوقد النار أوقدا
فقال: أراها أرثت بوقودها بحيث استفاض الجزع شيحاً وعرقدا

فأعجبت الناس وتناشدوها.

فحدثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جرير: أعجبتكم هذه الأبيات؟ قالوا: نعم! قال: كأنكم بالقين قد قال:

أعد نظراً يا عبد قيس فإنما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

فلم يلبثوا أن جاءهم في قول الفرزدق هذا البيت، وبعده:

حمار بمروت السحامة قاربت وظيفيه حول البيت حتى ترددا
كليبية لم يجعل الله وجهها كريماً ولم يسنح بها الطير اسعدا

فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم باين المراجعة قد قال:

وما عبت من نار أضاء وقودها
فراساً وبسطام بن قيس مقيدا

قال: فإذا هي قد جاءت لجرير، وفيها هذا البيت ومعه:

فأوقدت بالسيدان ناراً ذليلة
وأشهدتمن سوات جعثن مشهدا

قال: واجتمعنا عند سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، وأتى بأسرى من الروم، قال ابن سلام: فأخبرني ابو يحيى الضبي قال: وفي حرسه رجل من بني عبس، قد علم أن سيأمر أصحابه بضرب أعناقهم فأتى الفرزدق، وذلك لسوء أثره في قيس، فقال: إن أمير المؤمنين حري أن يأمر بضرب عنق بعض هؤلاء الأسرى، وهذا سيفي، يكفيك أن تومي به فيأتي على ضريته. وأتاه بسيف كليل كهام، فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من بني ضبة أخوالك. وأمره سليمان بضرب عنق بعضهم، فتناول السيف من العبسي، ثم هزه فضرب به عنقه فما حص شعرة، ولم يؤثر به أثراً. فضحك سليمان والناس. فقال: هذه ضربة سيقول فيها هذا - يعني جريراً - وتقول فيها العرب! وقال:

فإن يك سيف خان أو قدر أبي
لتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها
ويقطعن أحياناً مناط القلائد

وقال جرير:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعثت
يداك وقالوا محدث غير صارم

وقال:

أخزيت قومك في مقام قمته
ووجدت سيف مجاشع لا يقطع

وقال الفرزدق:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم
أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم
إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وقال اللعين:

سأحكم بين كلب بني كليب
وبين القين قين بني عقال
فإن الكلب مطعمه خبيث
وإن القين يعمل في سفال

لئيمات المناخر والسبال

وقد حسر البعيث وأعدته

ويندب حاجباً وبني عقال

ويترك جده الخطفي جرير

قال ابن سلام: وسمعت يونس يقول: فلم يلتفتنا لفته، وأراد أن يذكره فيرفعه ذلك، فقال:

ولكن خفتما صرد النبال

فما بقيا على تركتmani

وقال الصلتان العبدى:

وبالمجد تحظى نهشل والأقارع

ألا إنما تحظى كليب بشعرها

متى ما يحكم فهو بالحكم صادع

أنا الصلتاني الذي قد عرفتم

فهل أنت للفصل المبين سامع

أنتني تميم حين هابت قضاتها

وليس له في الحكم منكم منافع

قضاء امرئ لا يرهب الشتم منكم

وما لتميم في قضائي راجع

فما رجع الأعشى قضية عامر

فما تستوي حيثانه والضفادع

فإن يك بحر الحنظليين واحداً

جرير ولكن في كليب تواضع

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله

ينوء بحي للخسيصة رافع

ويرفع من شعر الفرزدق أنه

ألحت عليه من جرير صواقع

يناشدني النصر الفرزدق بعدما

فلم يرض واحد منهما قوله. فقال الفرزدق: أما الشرف فقد عرفه وأما الشعر، فما للبحراني والشعرا؟!

وقال جرير:

متى كان حكم الله في كرب النخل

أقول ولم أملك سوابق عبرة

فقال الصلتان:

لود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

أعيرتنا بالنخل أن كان ما لنا

فاعترضه خليلد عينين، من أهل هجر، فقال:

وما الحكم يا ابن اللؤم إلا مع الرسل

وأبي نبي كان في غير قرية

وقال جرير:

وأد خراج رأسك كل عام

فخل الفخر با ابن أبي خليلد

وما علقت يمينك باللجام

لقد علقت يمينك رأس ثور

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو الغراف قال: قال الحجاج لهما - وهو في قصره بجزير البصرة - اثتيا في لباس آبائكما في الجاهلية. فجاء الفرزدق وقد لبس الديقاج والحز وقعد في قبة. وشاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا: ما لباس آبائنا إلا الحديد. فلبس جرير درعاً، وتقلد سيفاً، وأخذ رحماً، وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له: المنخار، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته. فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة
عليه وشاحاً كرج وجلالته
اعدوا مع الخز الملاب فإنما
جرير لكم بعل وأنتم حلالته

ثم رجعا. فوقف جرير في مقبرة بني حصن، ووقف الفرزدق في المربد. فأخبرني أبي، عن محمد بن زياد قال: كنت أختلف بينهما يومئذ، فكأن جريراً كان يومئذ أظفرهما . أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني شعيب بن صخر، عن هارون بن إبراهيم قال: رأيتهما في مسجد دمشق، والفرزدق في عصابة من خندف، والناس عنق على جرير - قيس وموالي بني أمية - وهم يسلمون عليه ويسألونه: يا أبا حزره، كيف كنت في مسيرك؟ وذلك لمديحه قيساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والغر أولاد سارة
أب لا نبالي بعده من تغدرا

قال أبو خليفة، سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول: وافته في يومه مئة حلة من بني الأحرار . أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، وحدثني أبو اليقظان، نا جويرية بن أسماء قال: قلت لنصيب، مولى عبد الملك: يا أبا محجن، من أشعر الناس؟ فقالوا أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال أنا. قال: قلت: ثم من؟ قال ابن يسار النساء. فلقيت إسماعيل بن يسار النسائي فقلت: يا أبا فائد من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: نصيب. قلت: إنكما لتتقارضان الثناء! قال: وما ذاك؟ قال قلت: سألته فقال فيك مثل ما قلت فيه! قال:

إنه والله شاعر كريم ولا أظنه
إلا بدأ بابن يسار قبل نصيب .

قال ابن سلام: ومما قال جرير من الأبيات المقلدة قوله:

وليست لسيفي في العظام بقية
وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

وقوله:

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

وقوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً
أبشر بطول سلامة يا مربع

- وقوله:
ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
- وقوله:
لا يأمنن قوي نقض مرته إني أرى الدهر ذا نقض وإمرار
- وقوله:
أنا البازي المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا
- وقوله:
وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري انتقاليا
- وقوله:
يحالفهم فقر قديم وذلة وبئس الخليطان المذلة والفقر
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر
- وقوله:
دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق
أوانس أما من أردن عناءه فعان ومن أطلقن فهو طليق
- وقوله:
إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معيناً
غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
- وقوله:
فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
- وقوله:
إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
- وقوله:
يا أهل جزرة إني قد نصبت لكم بالمنجنيق ولما يرسل الحجر

ومات الهوى لما أصيبت مقاتلة

ولما التقى الحيان ألقى العصى

وقوله:

ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة

خليك إلا بالمودة والبذل

فإنك لا يرضى إذا كان عاتباً

وقوله:

قعس العماد قصيرة الأطناب

يا تميم إن بيوتكم تيمية

نتقت شواربهم على الأبواب

قوم إذا حضر الملوك وفودهم

وقوله:

ظعنت بخزية وتركت عارا

وكنت إذا نزلت بدار قوم

وقوله:

بعود بشامة سقي البشام

أتنسى إذ تودعنا سليمانى

على ومن زيارته لمام

بنفسي من تجنبه عزيز

ويطرقني إذا هجع النيام

ومن أمسى وأصبح لا أراه

وقوله:

لم يستطع صولة البزل القناعيس

وابن اللبون إذا ما لز في قرن

وقوله:

شيعت ضيفك فرسخين وميلا

لو كنت حراً يا ابن قين مجاشع

وقوله:

بين الطريقين بالبيد الأماليس

لا يستطيع امتناعاً فقع قرقرة

وقوله:

حجراً أصم ولا يكون حديداً

لا يستطيع أخو الصبابة أن يرى

وقوله:

سما حديثك أنزل الأوعالا

لو أن عصم عمامتين ويذبلان

أخبرني أبو خليفة، قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: قدم الفرزدق اليمامة، وعليها المهاجرين بن عبد الله الكلابي فقال: لو دخلت على هذا فأصبت منه شيئاً ولم يعلم بي جرير! فلم تستقر به الدار حتى قال جرير:

رأيتك إذ لم يغنك الله بالغنى
رجعت إلى قيس وخذك ضارع
وما ذاك إن أعطى الفرزدق بأسته
بأول ثغر ضيعته مجاشع

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: لا جرم! والله لا أدخل عليه، ولا أرزؤه شيئاً، ولا أقيم باليمامة، ثم رحل. أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو الغراف قال: نعى الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدعته
ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: لبس ما قلت! تهجو ابن عمك بعد ما مات! لو رثيته كان أحسن بك. قال: والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل، وإن كان نجمي موافقاً لنجمه، فلأرثينه. قال: بعد ما قيل لك! لو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال ابن سلام، فأنشدي معاوية بن أبي عمرو لجرير يرثي الفرزدق:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل
ولا ذات حمل من نفاس تعلت
هو الوافد المأمون والرائق الثائي
إذا النعل يوماً بالعثيرة زلت

انا أبو خليفة نا ابن سلام قال، حدثني يونس ابن حبيب النحوي قال: كان عبد الملك بن مروان لا يسمع لشعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيرية، فوعد إليه الحجاج وفادته التي وفدها، لم يفد إليه غيرها، فأهدى إليه جريراً. فدخل عليه فأذن له في النشيد، فقام فأنشد مديح الحجاج واحدة بعد واحدة، فأوماً إليه الحجاج أن ينشد مديح عبد الملك، فأنشده التي يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

واعتمد على ابن الزبير فقال:

دعوت الملحدين أبا خبيب
وقد وجدوا الخليفة هبرزيا
جماحاً هل شفيت من الجماح
وآلف العيص ليس من النواحي
وما شجرات عيصك في قريش
بعشات الفروع ولا ضواحي

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو الغراف قال: لما أنشده فيها:

رايت الموردين ذوي لقاح

بأنفاس من الشبم القراح

هجان اللون كالفرد اللياح

كما أبترك الخليع على القداح

تعزت أم حزره ثم قالت

تعلل وهي ساغبة بنبيها

سيكفيك العواذل أرحبي

يعز على الطريق بمنكبيه

فقال له عبد الملك: فهل ترويهامئة؟ فقال، وهل إليها من سبيل، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين؟ وأعطاه مئة وثمانية من الرعاء.

فذكرها جرير في مديحه يزيد بن عبد الملك وهو خليفة، فقال:

ما في عطائهم من ولا سرف

أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا أبو الغراف قال: أتى الفرزدق مجلس بني المهجيم في مسجدهم فأنشدهم. وبلغ ذلك جريراً، فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق، فقال له شيخ منهم: يا هذا، اتق الله! فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة! فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مغضباً وهو يقول:

حص اللحى متشابهو الألوان

إن الهجيم قبيلة ملعونة

صعر النوف لريح كل دخان

هم يتركون بنبيهم وبناتهم

بعمان أصبح جمعهم بعمان

لو يسمعون بأكلة أو شربة

قال: وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم، يا بني المهجيم حص اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: نازع جرير بني حمان في ركية لهم، فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليمامة يتحاكمون إليه، فقال جرير:

من ظلم حمان وتحويل الدار

أعوذ بالأمير غير الجبار

وضربي المنقار بعد المنقار

ما كان قبل حفرنا من محفار

يصيح بالجب صياح الصرار

في جبل أصم غير خوار

فاسأل بني سحب ورهط الجرار

له سهيل كسهيل الأمهار

والجار قد يخبر عن دار الجار

والسلميين العظام الأخطار

فقال الحماني:

غير مقام أتن وأعيار

ما لكليب من حمى ولا دار

قعس الظهور داميات الثفار

قال: فقال جرير: فعن مقامهن، جعلت فداك، أجادل! فقال ابن عربي للحماني: قد أقررت لخصمك! وحكم بما لجرير.

قال ابن سلام، وأخبرني أبو يحيى الضبي قال: بينا جرير يسير على راحلته، إذ هجم على أبيات من مازن وهلال - وهما بطنان من ضبة - فخافهم، لسوء أثره في ضبه، فقال:

بعقوة مازن زبني هلال

فلا خوف عليك ولن تراعى

إلى جرد كأمثال السعالى

هما الحيان إن فزعا يطيرا

لكم طول الحياة لغير قالي

أمازن يا ابن كعب إن قلبي

قريير العين في أهل ومال

غطاريف يبيت الجار فيهم

قالوا: أجل، يا أبا حزره، فلا خوف عليك.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: كان الذي هاج المهجاء بين جرير وعمر بن لجأ، أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله، وجرير حاضر بالماء، فقال التيمي:

تقرش الحيات في خرشائها

قد وردت قبل إني ضحائها

جر العجوز الثنى من رداها

فقال له جرير: أخفقت مرها! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

جر العروس الثنى من رداها

قال التيمي - وحمى - : فما قلت أنت أسوأ من قولي! قال: فما هو؟ قال: قولك:

لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

وأوثق عند المردفات عشية

فجعلتهن مردفات غدوة، ثم تداركنهن عشية! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

وأوثق عند الرهفات عشية

قال: فقال جرير: فو الله لهذا البيت أحب إلي من بكرى حزره، ولكنك محلب للفرزدق.

فقال فيه جرير:

شيئاً يقارب أو وحشاً لها غرر

ألا سوانا أدرا تم يا بني لجأ

وخاطرت بي عن أحسابها مضرا

أحين كنت ساماما يا بني لجأ

إن الحفايث عهدي يا بني لجأ
خل الطريق لمن بيني المناربه
انت ابن برزة منسوباً إلى لجأ

ويروي:

يطرقن حين يسور الحية الذكر
وابرز ببرزة حيث اضترك القدر
عبد العصاره والعيدان تعتصر

ألست نزوة خوار على أمة

فقال التيمي يرد عليه:

عبد العصاره والعيدان تعتصر

لقد كذبت وشر القول أكذبه

ألست نزوة خوار على أمة

ما قلت من مرة إلا سأنقضها

قد أصبح الخز بيكي في بني الخطفي

وقال أيضاً:

ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
لا يسبق الحلبات اللؤم والخور
يا ابن الأتان بمتلي تنقض المرر
ياخز كرمان صبراً إنها الهتر

ما استردفت يوم الهذيل نساؤنا

ولكن منعناهن في الشرك بالقنا

وقال أيضاً:

ولا قمن في صف لسحجة سجداً
وفي السلم صدقنا النبي محمداً

عجبت لما لاقت رياح من الأذى

غضاباً لكلب من كليب فرسته

إذا ما ابن يربوع أذاك لمأكل

فقل لبن يربوع ألست بداحض

تمسح يربوع سبالاً لئيمة

يريد ما صنع أبو سواج الضبي باليربوعي.

وكان أبو سواج أخذ بالبريرة صرد بن حمرة في شيء كان بينهما، فجاء بزنج فأوثبهم على جارية له، فكانوا يمتنون في قعب، ثم حلب عليه فسقاه إياه، فقتله. وذلك قول الفرزدق لجرير، حين أمرهم الحجاج أن يأتوه في لباس آبائهم، فجاء جرير في الحديد، فقال الفرزدق:

إذا انتطقت عبء عليها تعادله

وقد تلبس الحبلى السلاح وبطنها

وذلك قول الأخطل لجرير:

ويشرب قومك العجب العجيبا

تعيب الخمر وهي شراب كسرى

أحق من المدامة أن تعيبا

منى العبد عبد أبي سواج

ثم وافى جرير والتميمي المدينة وقد وردها الوليد بن عبد الملك، وكان يتأله في نفسه، فقال: تقذفان الحصنات وتعضعهان وتنفيان! فأمر ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري - وكان واليه على المدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البلس مقرونين، والتميمي يومئذ أشب من جرير وأقوى، فجعل يشول بجرير، وجرير يقول وهو المشول به:

وملأت القميص مع الإزار

جزعت من العذاب غريب تيم

يطول تصعدي بك وانحداري

ولست مفارقاً قربي حتى

فقال التيمي:

أبى ذو بطنه إلا انحدارا

ولما أن قرنت إلى جرير

فقال له قدامة بن إبراهيم الجمحي: بئسما قلت! جعلت نفسك المقرون إليه! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

أبى ذو بطنه إلا انحدارا

ولما لز في قربي جرير

قال: لا والله، لا أقول له أبداً إلا هكذا.

قال أبو البيداء: لقي الفرزدق عمرو بن عطية أخا جرير - وهو حينئذ يهاجي ابن لجأ - فقال له: ويلك قل لأخيك: ثكلتك أمك! إيت التيمي من عل كما أصنع بك أنا وكان الفرزدق قد حمى وانف لجرير أن يتعلق به التيمي. قال ابن سلام وأنشدني له خلف الأحمر، يعني الفرزدق، شعراً يقوله للتيمي:

أخا التيم إلا كالوشيفة في العظم

وما أنت إن قرما تميم تساميا

ظلمت ولكن لا يدى لك بالظلم

فلو كنت مولى الظلم أو في ظلاله

فأجابه ابن لجأ فقال:

وأفناء يربوع وما أنت بالقرم

كذبت أنا القرم الذي دق مالكا

فحدثني أبو الغراف قال: مشت رجال تميم بين جرير والتميمي وقالوا: والله ما شعراؤنا إلا بلاء علينا! يثيرون مخازينا ويهجون أحياءنا وأمواتنا! فلم يزالوا يمشون بينهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة، أن لا يعودا في الهجاء فكف التيمي، وكان جرير لا يزال يسئل الواحدة، فيقول التيمي: والله ما نقضت هذه ولا سمعتها! فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح!

حدثني عثمان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن حرمة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتميمي قال لي سعيد بن المسيب: تروا لنا مما قالوا شيئاً. فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر. فقال: أرويت شيئاً؟ قلت: نعم! فأقبل علي بوجهه، فأنشدته للتميمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير فقال: أكله أكله! أخبرني أبو الخطاب الزراري، عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: ما هجوت قوماً قط إلا فضحتهم، - أو قال: أفسدتم - إلا التيم! قال: يا بني إني لم أجد بناء فأهدمه، ولا حسباً أضعه أو قال: أصمه. وكانت تيم رعاء غنم، فيغدون في غنمهم ثم يروحون، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات، فيرفدون بها عمر بن لجأ. وكان أشعرهم، بعد ابن لجأ، السرندي. وقيل لجرير: ما صنعت في التيم شيئاً؟ قال: إنهم شعراء لثام. وحدثني مسمع بن عبد الملك - وهو كردين - قال: كان عرادة النميري نديماً للفرزدق، فقدم الراعي البصرة، فدعاه عرادة فأطعمه وسقاه، وقال: فضل الفرزدق على جرير. فأبي. فلما أخذ فيه الشراب، لم يزل به حتى قال:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريراً

حدثني أبو الغراف قال كان الذي هاج الهجاء بين جرير والراعي - وهو عبيد بن حصين - أن الراعي كان يسأل عن جرير والفرزدق فيقول: الفرزدق أكرمهما وأشعرهما. فلقية جرير فاستعاده من نفسه، وطلب إليه أن لا يدخل بينهما، وقال: أنا كنت أولى بعونك! إني لأمدحكم، وإنه ليهجوكم! قال: أجل، ولست لمساءتك بعائد. ثم بلغ جريراً أنه عاد في تفضيل الفرزدق عليه، فلقية بالبصرة وجرير على بغلة، فعاتبه وقال: استعذتك، فزعمت أنك غير داخل بيني وبين ابن عمي! قال: والراعي يعتذر إليه، وأقبل ابنه جندل - وكان فيه حطل وعجب - فقال لأبيه: ألا أراك تعتذر إلى ابن الأتان! نعم، والله لفضلن عليك، ولنروين هجاءك، ولنهجونك من تلقاء أنفسنا. وضرب وجهه بغلته وقال:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

فانصرف جرير مغضباً محفظاً. فقال الراعي لابنه: والله ليهجوني وإياك، فليته لا يجاوزنا! ولكن سيذكر نسوتك! وعلم الراعي أنه قد أساء، فندم. فترعم نمير: أنه حلف أن لا يجيبه سنة، غضباً على ابنه، وأنه مات في السنة. ويقول غيرهم: إنه كمد لما سمعها فمات. وكان جرير، يوم جرى هذا بينهما بالبصرة، نازلاً على امرأة من كليب، فبات في عليه لها، وهي في سفلى دارها. قالت المرأة: فبات ليلته لا ينام، يتردد في البيت، حتى ظننت أنه عرض له جني، أو سنج له بلاء، حتى فتح له، فقال:

أقلَى اللوم عاذل والعتابا

وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى قال:

إذا غضبت عليك بنو تميم

حسبت الناس كلهم غضابا

ثم أصبح فغدا إلى المربد فقال: يا بني تميم، قيدوا! - أي اكتبوا - فلم يجبه الراعي، ولم يهجه جرير بغيرها.

فقال لي بعض رواة قيس وعلمائهم: كان الراعي فحل مضر، حتى ضغمه الليث! يعني جريراً.
قال أبو البيداء: مر راكب يتغنى:

وعاو عوى من غير شيء رميته

بقافية أسبابها تقطر الدما

خروج بأفواه الرواة كأنها

قرا هندواني إذا هز صمما

فسمعه الراعي، فأتبعه رسولاً فقال: لمن البيتان؟ قال: جرير. قال: والله لو اجتمعت الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم! ألام على أن يغلبني مثل هذا! وإنما يعني جرير البعيث، وكذلك كان اعتراض البعيث جريراً في غير شيء.

حدثني أبان بن عثمان قال: كان سراقه البارقي شاعراً ظريفاً تحبه الملوك، حلو الحديث . وكان قاتل المختار، فأخذه أسيراً، فأمر بقتله، فقال: والله لا تقتلني حتى تنفض دمشق حجراً حجراً! فقال المختار لأبي عمرة: من يخرج أسرارنا؟ ثم قال: من أسرك؟ قال: قوم على خيل بلق عليهم ثياب بيض، لا أراهم في عسكرك! قال: فأقبل المختار على أصحابه فقال: عدوكم يرى من هذا ما لا ترون! قال: أي قاتلك.
قال: والله يا أمين آل محمد، إنك تعلم أن هذا ليس باليوم الذي تقتلني فيه! قال: ففي أي يوم أقتلك؟ قال: يوم تضع كرسيك على باب مدينة دمشق، فتدعو بي يومئذ فتضرب عنقي، فقال المختار لأصحابه: يا شرطة الله! من يرفع حديثي؟ ثم خلى عنه. فقال سراقه - وكان المختار يكنى أبا إسحاق -:

ألا أبلغ أبا إسحاق عني

رأيت البلق دهماً مصمات

أرى عيني ما لم تبصراه

كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحكم وجعلت نذراً

على قتالكم حتى الممات

ثم قدم سراقه، بعد ذلك، العراق مع بشر بن مروان. وكان بشر من فتیان قريش سخاء ونبجة، وكان ممدحاً، فمدحه جرير، والأخطل، والفرزدق، وكثير، وأعشى بني شيبان. وكان بشر يغري بين الشعراء، وهو أغرى بين جرير و الأخطل، فحمل سراقه على جرير حتى هجاه، فقال سراقه:

أبلغ تميماً غثها وسمينها

والقول يقصد تارة ويجور

عفواً وغودر في الغبار جرير
آبأؤه إن اللئيم عثور
يوم الحساب الصوم والتحرير
بالميل في ميزانه لجدير

أم هل للوم عواذلي تفتير
يأتيك من قبل العلى بشير
عسر وعند يساره ميسور
هلا غضبت لنا وأنت أمير
يا آل بارق فيم سب جرير
وابن اللئيمة للثام تصور
خطب وأمك يا سراق يسير
أمرأ مطالعه عليك وعود
والحي من يمن عليك نصير
شيخان أعمى مقعد وكسير

هاج الحزين وذكر الأشواقا
لاقيت أطبع مجلس أخلاقا
والجامعين مذلة ونفاقا
فحفظت فيهم عمنا إسحاقا

أن الفرزدق برزت حلباته
ما كنت أول محمر عثرت به
حرر كليياً إن خير صنيعه
هذا القضاء البارقي وإنني

فقال جرير في قصيدته التي قال فيها:

يا صاحبي هل الصباح منير
يا بشر إنك لم تزل في نعمة
بشر أبو مروان إن عاسرته
يا بشر حق لوجهك التبشير
قد كان حقك أن تقول لبارق
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها
أمسى سراقه قد عوى لشقائه
أسراق إنك قد غشيت ببارق
أسراق إنك لا نزاراً نلتم
أكسحت باستك للفخار وبارق

وقال جرير:

أمسى خليلك قد أجد فراقا
وإذا لقيت مجيلساً من بارق
قفد الأكف عن المكارم كلها
ولقد هممت بأن أدمم بارقاً

قال ابن سلام: يعني إسحاق الذبيح، ثم نزعاً.

فمر جرير بسراقه بمعنى، والناس مجتمعون على سراقه وهو ينشد، فجهره جماله، واستحسن نشيده. فقال جرير: من أنت؟ قال: بعض من أحزاه الله على يديك! قال: أما والله لو عرفتك لو هبتك لظرفك! قال: كان العباس بن يزيد الكندي هجا جريراً، وكانت الشعراء تعرض له ليهجوهم.

وكان يقول: لا أبتدي، ولكني أعتدي.

قال أبو الغراف: فتأناهم حولاً، وذلك قوله:

ألم ينه عني الناس أن لست ظالماً
بريئاً وأني للمتأحين متيح

فاتته كندة فاستعدوه من نفسه، وطلبوا أن لا يذكرهم. قال: فأخبروني بمساويه إن كنتم صادقين. ففرشوه أمره، فقالوا: هم أهل بيت كانوا في فزارة مجاورين، ثم تحولوا إلى بني كلاب، ثم تحولوا في طيء، ومعه ابنة له جارية حدثة، فطبن لها غلام منهم يقال له عتاب، فكان يلاعبها، فقالوا إنها حبلت منه وولدت، وقتل الولد. وكانوا نزولاً في جبل يقال له شعبي، وكانوا أهل بيت سرو وجمال - قال: رأيت رجلاً من ولده فما رأيت أجمل منه - فقال جرير:

ستطلع من ذرى شعبي قواف
أيوماً في فزارة مستجيراً
أعتاباً تجاوز حين أجنّت
يخاتلها وتحسبه لعباً
وما خفيت هضبية يوم جرت
يقطع بالمشاقص حالبيها
وقد حملت ثمانية وتمت
أعبداً حل في شعبي غريباً
إذا نزل الحجيج على قنيع
فقد حلت يمينك إن إمام

على الكندي تلتهب التهابا
ويوماً ناشداً حلفاً كلاباً
نخيل أجاً وأعززه الربابا
أساء غلام جيرتك اللعابا
ولا إطعام سخلتها الكلابا
وقد بلت مشيمتها الترابا
لتأسعها وتحسبها كعابا
ألوماً لا أبالك واغترابا
دببت الليل تسترق العيابا
أقام الحد واتبع الكتابا

فيزعم الناس: انه لما أتته هذه البيات كمد فمات.

قال، وقال رجل من عبد القيس، يقال له: أحمر بن غدانة، من بني عصر:

علام تعني يا جرير وقد قضى
وإن امرأ سوى كليياً بدارم

أخو عصر أن قد علاك الفرزدق
وسوى جريراً بالفرزدق أحقق

فأخذه عبد العزيز بن عمرو بن مرجوم - وكان سيد عبد القيس بالبصرة، وأبوه سيد، وجده سيد - وكان جده مرجوم اسمه: عامر بن عبيد، فنافر رجلاً من قومه إلى النعمان، فنفره عليه وقال: رجعتك بالشرف! فسمى مرجوماً، وفيه يقول لبيد:

وقبيل من لكيز شاهد رهط مرجوم ورهط ابن المعل

فشده وثاقاً، فأرسل به إلى جرير وقال: احكم فيه فقال جرير:

لولا ابن عمرو بن مرجوم لقد خرجت شنعاء لا تتقي سمعاً ولا بصراً

إني لأرجو وراجي الخير مدركه أن يجبر الله في الدنيا بني عصرا

كم من يتيم ومسكين وأرملة وبائس في قديم الدهر قد جبرا

وقال جرير يرد على الصلتان:

أقول ولم أملك أمال بن حنظل متى كان حكم الله في كرب النخل

فاعترضه خليلد عيين، من أهل هجر، فقال:

وأي نبي كان من أهل قرية وما الحكم يا ابن اللؤم إلا مع الرسل

فقال جرير:

فخل الفخر يا ابن أبي خليلد وأد خراج رأسك كل عام

لقد علقت يمينك رأس ثور وما علقت يمينك باللجام

وقال جرير:

كم عمة لك يا خليلد وخالة خضر نواجدها من الكراث

نبتت بمنبته فطاب لشمها ونأت عن القيصوم والجثجات

فسكت خليلد.

وقال في أحمر بن غدانة:

نبتت عبداً بالعيون يسبني أحيمر سواراً على كرب النخل

فقال أحمر:

أعيرتنا بالنخل أن كان مالنا وود ابوك اللؤم لو كان ذا نخل

فهم جرير ببني عصر، فأتاه عبد العزيز بن عمرو بن مرجوم، فشده فأرسله إلى جرير، وحمل جريراً وكساه.

ذكر الأخطل حدثني عامر بن عبد الملك المسمعي قال: لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لا بنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتيني بخبرهما. قال: فلقيهما، ثم استمع، فأتى أباه فقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: فجرير أشعرهما، ثم قال:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف لما سمعت ولما جاءني الخبر
أن الفرزدق قد شالت نعامتة وعضه حية من قومه ذكر

ثم قدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة بدارهم وحملان وكسوة وخمر - وبلغني أن الذي بعث بهذا شبة بن عقال المجاشعي - وقال للأخطل: فضل شاعرنا عليه وسبه. فقال الأخطل:

أخساً كليب إليك إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان
قوم إذا خطرت غليك قرومهم جعلوك بين كلا كل وجران
وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

فقال جرير:

ياذا العباية إن بشراً قد قضى أن لا تجوز شهادة النشوان
وأخبرني أبو عبيدة النحوي قال: لما أتى الأخطل قول جرير:

جارت مطلع الرهان بسنه روق شبيبته وعمر ك فاني

ويروى:

جارت مطلع الرهان بروقه ماء الشباب وماء روقك فاني

قال الأخطل: صدق ابن المراغة! وقد أدبل مني حين أقول للنابعة بني جعدة:

لقد جارى أبو ليلى بقحم ومنتكت على التقريب وان
إذا خبط الخبار أكب فيه وخر على الجحافل والجران

يروى: "إذا دخل الخبار". وكان الأخطل من أسن أهل طبقته.

أنشدني محمد بن الفضل الهاشمي لجرير في محمد بن عمير ابن عطار:

إننا لنعلم ما أبوك بحاجب فالحق بأصلك من بني دهمان

وهي قصيدة.

وقال لشبة بن عقال، وكانت فيه شوهة، وذاك في ولده بين:

فضح العشيبة يوم يسلم قائماً

ظل النعامة شبة بن عقال

وقال للأخطل:

رشتك مجاشع سكرأ بفلس

فلا تهنيك رشوة من رشاكا

وهي قصيدة طويلة.

وقال:

يا شب ويحك لا تكفر فوارسنا

يوم ابن كبشة عالي الملك جبار

لولا حماية يربوع نساءكم

كانت لغيركم فيهن أطهار

قال ابن سلام: وسألت بشاراً المرعث: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلت لبشار: وأي شيء لجرير من المراثي إلا التي رثى بها امرأته؟ فأنشدي لجرير يرثي ابنه سواده، ومات بالشام:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم

كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

فارقتني حين كف الدهر من بصري

وحين صرت كعظم الرمة البالي

أمسى سواده يجلو مقلتي لحم

باز يصصر فوق المربأ العالي

قد كنت أعرفه مني إذا غلقت

رهن الجياد ومد الغاية الغالي

إن الثوى بذى الزيتون فاحتسبي

قد أسرع اليوم في عقلي وفي حالي

إلا تكن لك بالديرين معولة

فرب باكية بالرمل معوال

كأم بو عجول عند معهده

حنت إلى جلد منه وأوصال

حتى إذا عرفت أن لا حياة به

ردت هماهم حري الجوف مثكال

زادت على وجدها وجداً وإن رجعت

في الصدر منها خطوب ذات بلبال

حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي، عن الحرر بن أبي هريرة قال: إني بأريحا، في عسكر سليمان بن عبد الملك، وفيه جرير والفرزدق، إذ أتانا الفرزدق فقال: اشهدوا جنازة محمد ابن أخي، ثم قال:

بتنا بدير أريحاء بليلة

خدارية يزداد طولاً تمامها

أكابد فيها نفس أقرب من مشى

أبوه بإمر غاب عني نيامها

شمائل يعلو الفاعلين كرامها

وكنا نرى من غالب في محمد

بزينته صحراؤها وإكامها

وكان إذا ما حل أرضاً تزينت

إلينا ولكن كي ليسقاه هامها

سقي أريحاء الغيث وهي بغیضة

ثم انصرف، وجاء جرير فقال: قد رأيت هذا و سمعت ما قال في ابن أخيه، وما ابن أخيه، فعل الله به
وفعل؟ وذكر اللعن. قال: ومضى جرير، فلا والله ما لبثنا إلا جمعاً حتى جاء جرير فقام مقامه فقال:
اشهدوا سواده! ابنه.

ثم قال:

باز يصرصر فوق المربأ العالي

كان سواده يجلو مقلتي لحم

وحين صرت كعظم الرمة البالي

ودعتني حين كف الدهر من بصري

فرب باكية بالرمل معوال

إلا تكن لك بالديرين باكية

كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم

ما قيل في الأخطل وأحاديثه حدثني ابو يحيى الضبي قال: كان عبد الرحمن بن حسان ويزيد بن معاوية
يتقاولان، فاستعلاه ابن حسان. قال يزيد لكعب ابن جعيل التغلي: أجه عني، واهجه؟ فقال: والله ما
تلتقي شفتاي بهجاء الأنصار! ولكني أدلك على الشاعر الماهر الفاجر! فتى منا يقال له: غياث بن الغوث،
نصراني.

وكان كعب سماه الأخطل، وذاك أنه سمعه ينشد هجاء فقال: يا غلام، إنك لأخطل اللسان.
قال أبو يحيى: قال كعب بن جعيل: إني قد هجوت نفسي ببيتين، وقد ضمنت عليهما، فمن أصابهما فهو
الشاعر. فقال الأخطل:

وكان أبوك سمي الجعل

سميت كعباً بشر العظام

محل القراد من است الجمل

وإن محلك من وائل

قال: هما هذان! قال أبو يحيى: أرسل إليه يزيد: أن أهجهم! فقال: كيف أصنع بمكاهم؟ أخافهم على
نفسي! قال: لك ذمة أمير المؤمنين وذمتي. فذلك حين يقول:

واللؤم تحت عمائم الأنصار

ذهبت قريش بالسماحة والندی

فجاء النعمان بن بشير الأنصاري إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بلغ منا أمر ما بلغ منا مثله في جاهلية
ولا إسلام! قال: من بلغ ذاك منكم؟ قال: غلام نصراني من بني تغلب. قال: ما حاجتك فيه؟ قال: لسانه.

قال ذاك لك.

وكان النعمان ذا منزلة من معاوية، وكان معاوية يقول: يا معشر الأنصار! تستبطنوني، وما صحبني منكم إلا النعمان بن بشير! وقد رأيتم ما صنعت به! وكان ولاه الكوفة وأكرمه.

فأخبر الأخطل، فصار إلى يزيد، فدخل يزيد إلى أبيه فقال: يا أمير المؤمنين، هجوني وذكروك، فجعلت له ذمتك وذمتي على أن رد عني! فقال معاوية للنعمان: لا سبيل إلى ذمة أبي خالد. فذاك حيث يقول الخطل:

أبا خالد دافعت عني عظيمة وأدركت لحمي قبل أن يتبددا
وأطفأت عني نار نعمان بعدما أغذ لأمر فاجر وتجردا
ولما رأى نعمان دوني ابن حرة طوي الكشح إذ لم يستطعني وعردا
وما مفعم يعلو جزائر حامر يشق إليها خيزراناً وغرقددا
تحرز منه أهل عانات بعد ما كسا سورها الأذنى غثاء منضدا
كأن بنات الماء في حجراتها أباريق أهدتها دياف لصرخدا
يقمص بالملاح حتى يشفه الحذار وإن كان المشيح المعودا
بمطرذ الأذى جون كانما زفا بالقراقير النعام المطردا
بأجود سيباً من يزيد إذا غدت به بخته يحملن ملكاً وسوددا
يققص بالسيف الطويل نجاده خميص إذا السربال عنه تقددا

حدثني يونس، وعامر بن عبد الملك، وأبو الغراف، فألفت ما قالوا، قال: أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري الشيباني، وهو يومئذ سيد بكر بن وائل، فسأله في حمالة، وكان سؤلة - على مثال فعلة - قال: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت أعطيتك درهمين. قال: ما بال الألفين، وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتك ألفين، لم يعطكها إلا قليل، وإن أعطينا درهمين، لم يبق بكري بالكوفة إلا أعطاك درهمين، وكتبنا لك إلى إخواننا من أهل البصرة، فلم يبق بكري إلا أعطاك درهمين، فخفت عليهم المؤونة وكثر لك النيل. قال: فهذه إذن. قال: نقسمها لك إلى أن ترجع من البصرة. فكتب له بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي، وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة. قال يونس بن حبيب في حديثه: فتزل على آل الصلت ابن حريث الحنفي. فأخبرني من سمعه أنه قال: والله لا أزال أفعل ذاك.

ثم رجع إلى الحديث الأول، قال: وأتى سويداً بالكتاب، فأخبره بحاجته. قال: نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو ملك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو أهل أن نقضي حاجته، وهو الذي يقول:

إذا ما قلت قد صالحت بكرةً

وأيام لنا ولهم طوال

ومهراق الدماء بواردات

هما أخوان يصطليان ناراً

فهيجهم على الأخطل. قالوا: فلا ها الله! إذن والله لا نعطيه شيئاً.
فخرج وهو يقول:

فإن تمنع سدوس درهميها

تواكلني بنو العلات منهم

صريعاً وائل هلكا جميعاً

يريد: مالك بن مسمع، ويزيد بن رويم الشيباني.

وقال لسويد بن منجوف، وكان سويد رجلاً تقتحمه العين، وليس بذي منظره:

وما جذع سوء خرق السوس أصله

لما حملته وائل بمطيق

ويروى: "حرب السوس جوفه".

وكان الأخطل مع مهارته وشعره، يسقط. كان مدح سماكاً الأسدي - وهو سماك الهالكلي، بن عمير بن عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقبون القيون، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها، فخرج أيام علي هارباً فلحق بالجزيرة - فمدحه الأخطل فقال:

نعم المجير سماك من بني أسد

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه

ويروى: "قد كنت أنبؤه قيناً وأخيره".

إن سماكاً بني مجدأ لأسرته

حتى الممات وفعل الخير يبتدر

فقال سماك: يا أخطل، أردت مديحي فهجوتني! كان الناس يقولون قولاً فحقته! فلما هجا سويداً: يا أبا مالك، والله ما تحسن أن تهجو ولا تمدح! لقد أردت مدح الأسدي فهجوته - يعني قوله: "قد كنت أحسبه قيناً" - وأردت هجائي فمدحتني، جعلت وائلاً كلها حملتي أمورها، وما طمعت في بني ثعلبة،

فضلاً عن بكر ، فردتني تغلب .

أبان بن عثمان البجلي، قال: مر الأخطل بالكوفة في بني رؤاس، ومؤذهم ينادي بالصلاة، فقال بعض شباهم: أبا مالك، ألا تدخل فتصلي؟ فقال:

أصلي حيث تدركني صلاتي **وليس البر وسط بني رؤاس**

حدثني أبو الحصين المدني قال: بينا الأخطل قد خلا مع صاحب له بخميرة لهما في نزهة، إذ طراً عليهما طارئ لا يعرفانه ولا يستخفانه، فشرب شراهما، وثقل عليهما، فقال الأخطل:

وليس القذى بالعود يسفط في الخمر **ولا بذباب خطبه أيسر الأمر**
ولكن شخصاً لا يسر بقربه **ترامى به الغيطان من حيث لا ندري**

ابان بن عثمان، حدثني أبي، قال: دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة إلى منزله، فقال: يا ابن أخي، أنت لا تحتمل المؤونة، وليس عليك محتمل! فلم يزل به حتى انتجعه. فأتى الباب فقال: يا شقراء! فخرجت إليه امرأة، فقال لها: أعلمي فلاناً مكاني. فقال لأمه: هذا أبو مالك قد زارنا! فباعت غزلاً فاشترت لهم لحماً وبيداً وريحاناً، فدخل خصماً لهم، فأكل معه وشرب، فقال في ذلك:

وبيت كظهر الفيل جل متاعه **أباريقه والشارب المتقطر**
ترى فيه أثلام الأصيل كأنها **إذا بال فيها الشيخ حفر معور**
لعمرك ما عشنا بيوم معيشة **من الدهر إلا يوم شقراء أقصر**
حوارية لا يدخل الذم بيتها **مطهرة يأوي إليها مطهر**

قال ابو يحيى الضبي: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان يغرى بين الشعراء، فقال للأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير. قال: أعفني أيها الأمير! قال: احكم بينهما! فاستعفاه بجهد، فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشؤوم! ثم قال: الفرزدق ينحت بذلك، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته:

يا ذا العباية إن بشراً قد قضى **أن لا تجوز حكومة النشوان**
فدعوا الحكومة لستم من أهلها **إن الحكومة في بني شيبان**
قلوا كليبكم بلقحة جارهم **يا خزر تغلب لستم بهجان**

وقال الأخطل يرد عليه:

ولقد تقايستم إلى أحسابكم
فإذا كليب لا يساوي دارماً
وإذا جعلت إباك في ميزانهم
وإذا وردت الماء كان لداروم
وجعلتم حكماً من الصلتان
حتى يساوي حصرم بأبان
رجحوا وشال أبوك في الميزان
عفواته وسهولة الأعطان

ثم استطار الهجاء.

وحدثني رجل من بني مروان، شامي، قال: اجتمع جرير والأخطل عند عبد الملك بن مروان، فقال له الأخطل: أين تركت أعيار أمك؟ قال: ترعى مع خنازير أبيك! أبو الغراف قال: تناشدا عند الوليد بن عبد الملك، فأنشد الأخطل كلمة عمرو بن كلثوم:

ألا هبى بصحنك فاصبحا

فتحرك الوليد، فقال: مغر يا جرير! يريد قصيدة أوس بن مغراء السعدي، ثم القريعي:

ماذا يهيجك من دار بفيحانا
منا النبي الذي قد عاش مؤتمناً
تحالف الناس مما يعلمون لنا
محمد خير من يمشي على قدم
قفر توهمت منها اليوم عرفانا
وصاحباه وعثمان بن عفانا
ولا نحالف إلا الله مولانا
وكان صافية لله خلصانا

فقال الأخطل: أعلى تعصب يا أمير المؤمنين! وعلى تعين! وأنا صاحب عبد الرحمن بن حسان، وصاحب قيس، وصاحب كذا!! وكان الأخطل مستعلياً قيساً في حربهم، فقال:

إن السيوف غدوها ورواحها
تركت هوازن مثل قرن الأغضب

وكان يونس ينشد هذا البيت: "غدوها ورواحها"، جعله ظرفاً.

وقال الأخطل:

لقد خبرت والأنباء تنمي
لقد نجاك يا زفر الفرار

إلى أن قال:

ألا أبلغ الجحاف هل هو نائر
بقتلي أصيبت من سليم وعامر

فجمع لهم الجحاف السلمي، وهو أحد بني فالج بن ذكوان، وولد بالبصرة هو وزفر بن الحارث، وكاننا عثمانيين، فلما ظهر على بن أبي طالب على أهل البصرة، خرجا إلى الشام، فسادا أهلها. وزفر، من بني

نفيل بن عمرو بن كلاب، من ولد يزيد بن الصعق، وهو سيد شريف، وله يقول القطامي حين أسره فمن عليه:

من البيض الوجوه بني نفيل أبت أخلاقهم إلا ارتفاعا

فجمع لهم الجحاف جمعاً فأغار على البشر، وهي منازل تغلب، فأسرف في القتل فيهم، فاستخذأ الأخطل، فقال:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول
فإلا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل
فقال: إلى أين؟ لا أم لك! قال: إلى النار.
فوثب عليه جرير عند استخذائه فقال:

فإنك والجحاف حين تعضه أردت بذاك المكث والورد أعجل
سما لكم ليلاً كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل
فما ذر قرن الشمس حتى تبينوا كراديس يهديهن ورد محجل
وما زالت القتلى تمج دماءها مع المد حتى ماء دجلة أشكل
فالا تعلق من قريش بذمة فليس على أسياف قيس معول
بكي دوبل، لا يرقىء الله دمه!

أنا أبو خليفة، قال ابن سلام، قال أبو الغراف، قال الأخطل: والله ما سمتني أمي دوبل الا يوماً واحدا! فمن أين سقط الى الخبيث!! وقال الجحاف يجيب الأخطل:

أبا مالك، هل لمتني مذ حضضتني على القتل؟ أم هل لامني لك لائم؟

ولقى الجحاف الأخطل فقال: أبا مالك، كيف رأيت؟ قال: رأيت شيخا فاجرا.
وقال لي أبان الأعرج: أدرك الجحاف الجاهلية. فقلت له: لم تقول ذلك؟ قال لقوله:

شهدن مع النبي مسومات حنينا وهي دامية الكلام
نعرض للطعان إذا التقينا وجوها لا تعرض للطام

فقلت له: إنما عني خيل قومه بني سليم.

وذكرت ذلك لعبد القاهر بن السري فقال: جدي قيس ابن الهيثم أعطى حكيم بن أمية جارية ولدت له

الجحاف في غرفة في دارنا - لا أحسبه إلا قال - : رأيتها.

وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: رأيت الجحاف يطوف بالبيت في أنفه خزام وهو يقول: اللهم أغفر لي، ولا أراك تفعل! فقلت: من هذا؟ قالوا: الجحاف. وكان بعد ذلك يتأله ويظهر التوبة. ومر عكرمة بن ربيع الفياض التيمي بأسماء بن خارجة، حين قتلت تغلب عمير بن الحباب، فقال عكرمة لأسماء: أبا مالك، قتلت تغلب عميرا في دارهم! قال: نعم، ومقبلا غير مدبر! قال: نعم. قال: فلا بأس! قال: فلما أدير عكرمة قال أسماء:

يدي لك رهن من سليم بغارة

وأن يتركوا رهط الفدوكس عصابة

قال ابن سلام: قدم الأخطل الكوفة، فأتى حوشب ابن رويم الشيباني، فقال: اني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي! فنهزه. فأتى شداد بن البزيعه فسأله، فاعتذر اليه. فأتى عكرمة الفياض، وكان كاتباً لبشر بن مروان، فسأله وأخبره بما رد عليه الرجلان، فقال: أما اني لا أتهمك ولا أعتذر اليك، ولكني أعطيتك احدهما عينا والأخرى عرضا. قال: وحدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: ان أردت أن تكافئ عكرمة يوما فاليوم فليس جبة خز، وركب فرسا، وتقلد صليبا من ذهب، وأتى باب المسجد، ونزل عن فرسه. فلما رآه حوشب وشداد نفسا عليه ذلك، وقال له عكرمة: يا أبا مالك! فجاء فوقف، وابتدأ ينشد قصيدته:

لمن الديار بحائل فوعال

حتى انتهى الى قوله:

ان ابن ربيعي كفاني سيبه

أغلبت حين توأكلنتي وائل،

ولقد مننت علي ربيعة كلها،

كابن البزيعه أو كآخر مثله،

ان اللثيم اذا سألت بهرته،

واذا عدلت به لارجالا لم تجد

قال: فجعل عكرمة يتهج ويقول: هذه والله أحب الي من حمر النعم!.

أنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، أنا ابن سلام قال: أخبرني أبو الغراف قال: لما قال جرير:

إذا أخذت قيس عليك وخدفت بأقطارها، لم تدر من أين تسرح؟

فما أنشدته الأخطل قال: لا من أين! سد والله على الدنيا! حتى أنشد قوله:

فمالك في نجدحصاة تعدها ومالك في غورى تهامة أبطح

فقال الأخطل: لا ابالي والله أن لا يكون! فتح، والصليب لي القول! ثم قال:

ولكن لنا بر العراق وبحره وحيث يرى القرقور في الماء يسبح

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، قال أبو الخطاب، حدثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟ فنهري وقال: بئس ما قلت! وما أنت وذاك لأم لك! فقلت: وما أنا وغيره! قال لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن، وما رأيت الا خشيت أن يبتلعني.

وفي حديث أبي قيس العنبري، عن عكرمة بن جرير، حين سأل أباه عن الشعراء، فقال في الأخطل: يجيد نعت المولك، ويصيب صفة الخمر.

أخبرني أبو خليفة قال: أنبأنا محمد بن سلام قال: حدثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير الى الشام، فتزل متزلا لبني تغلب، فخرج متاثما عليه ثياب سفره، فلقبه رجل لا يعرفه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم؟ - فأنشده مما قال لجرير - فقال: أما سمعت ما قال لك غاوي بني تميم؟ - فأنشده - ثم عاد الأخطل وعاد جرير في نقضه، حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبي: من أنت؟ لا حياك الله! والله لكأنك جرير قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال: سمعت سلمة بن عياش يقول: تذاكرنا جريرا والفرزدق والأخطل، فقال قائل: من مثل الأخطل؟ ان في كل بيت له بيتين، اذ يقول:

ولقد علمت، اذا العشار تروحت هدى الرثال، تكبهن شمالا،

انا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال، ونقتل الأبطالا

ولو شاء لقال:

ولقد علمت اذا العشار تروحت هدى الرثال

أنا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال

فكان هذا شعرا، وكان على غير ذلك الوزن.

وقيل للأخطل عند الموت: أتوصي أبا مالك فقال:

أوصي الفرزدق عند الممات

بأم جرير وأعيارها

وزار القبور أبو مالك

برغم العداة وأوتارها

أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال، فحدثني أبان بن عثمان قال: لما بلغ الفرزدق قول الأخطل، جعل يحن عليه ويقول: سأخذ بوصية أخي أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام قال، حدثني محمد بن حفص بن عائشة التيمي قال: قال اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: خرجت مع أبي إلى الشام، فخرجت إلى دمشق أنظر إلى بتائها، فإذا كنيسة، وإذا الأخطل في ناحيتها. فلما رأني أنكري، فسأل عني فأخبر بنسي، فقال: يافتى ان لك موضعا وشرفا، وان الأسقف قد حبسني، فأنا أحب أن تأتيه تكلمه في اطلاقي. قال: قلت: نعم! فذهبت إلى الأسقف وانتسبت له، فكلمته وطلبت إليه في تخليته. فقال: مهلا، أعيدك بالله أن تكلم في مثل هذا، فان لك مودعا وشرفا، وهذا ظالم يشتم أعراض الناس ويهجوهم! فلم أزل به حتى قام معي فدخل عليه الكنيسة، فجعل يوعده ويرفع عليه العصا، والأخطل يتضرع إليه، وهو يقول له: أتعود؟ أتعود؟ فيقول: لا! قال اسحاق: فقلت له: يا أبا مالك تمابك الملوك، وتكرمك الخلفاء، وذكرك في الناس عظيم أمره، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستحذي له! قال: فجعل يقول لي: انه الدين! انه الدين! أنا أبو خليفة، أنا ابن سلام، حدثني محمد بن الحجاج الأسدي قال: خرجت إلى الصائفة، فترلت متزلا لبني تغلب، فلم أجد به طعاما ولا شرابا ولا علفا لدابتي شري ولا قري، ولم أجد ظلا. فقلت لرجل منهم: أما في داركم هذه مسجد أستظل بفيئه؟ قال: ممن أنت؟ قلت: من بني تميم. قال: ما كنت أرى عمك جريرا الا قد أخبرك حين قال:

فيما المساجد والامام، ولا ترى

في دار تغلب مسجدا مغمورا

أخبرني أبو خليفة، اجازة، عن محمد بن سلام قال، قال ابان بن عثمان، حدثني سماك بن حرب، عن ضوء بن اللجلاج قال: دخلت حماما باكوفة وفيه الأخطل، قال، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني ذهل. قال: أتروي للفرزدق شيئا؟ قلت: نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرع مارجع في هبته! قلت: وما ذاك: قال: لقوله:

أبني غدانة، انني حررتكم

فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم

من بين الأم آنف وسبال

وهبهم في الأول، ورجع في الآخر! فقلت: لو أنك الناي كلهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت. قال: كيف؟ قلت: هجوت زفر بن الحارث، ثم خوفت الخليفة منه فقلت:

فلا يبيتن فيكم أمنا زفر

لوقعة كائن فيها له جزر

بني أمية، اني ناصح لكم

مفترشا كافتراش الليث كلكلة

ومدحت سماك بن مخرمة فقلت:

فاليوم طير عن أثوابه الشرر

قدكنت أحسبه قينا وأخبره،

لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا! فقال لي الأخطل: والله لولا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق، لهجوتك هجاء يدخل معك قيرك. ثم قال:

ولا تكدر نعمي بعد ما تجب

ما كنت هاجي قوم بعد مدحهم

مقلدات الأخطل أنا أبو خليفة، أنا أبو سلام أنا أبو الغراف قال: أنشد الأخطل قصيدته التي يقول:

نخرا يكون كصالح الأعمال

وإذا افتقرت الي الذخائر، لم تجد

فقال له هشام بن عبد الملك: هنيئا لك أبا مالك الإسلام! - أو قال: أسلمت! - قال: ما زلت مسلماً! - يقول: في ديني - .

أخبرنا أبو خليفة اجازة، عن محمد بن سلام قال، قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود؟: قول جرير:

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

أم قول الأخطل:

وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم

فقلت: بيت جرير أحلى وأسير، وبيت الأخطل أجزل وأرزن. فقال: صدقت! وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة.

وقال الأخطل فيها:

وان ألمت بهم مكروهة صبروا

حشد على الحق، من قول الخناخرس

فلا تبيتن فيكم أمنا زفر

بني أمية، اني ناصح لكم

وما تغيب من أخلاقه دعر

فان مشهدة كفر وغائلة

كالعهر يكمن أحيانا ويبتشر

ان العداوة تلقاها، وان أقدمت،

أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

بني أمية، قد ناضلت دونكم

فبايعوك جهارا بعدما كفروا

وقيس عيلان حتى أقبلوا رقصا

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم، وقيس عيلان من أخلاقها الضجر
وقوله لجرير:

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم، قالوا لأهمهم: بولي على النار
وقوله له:

يا ابن المراغة، ان عمى اللذا
وأخوهم السفاح ظمأ خيله
فانعق بضأنك يا جرير فإنما
منتك نفسك أن تكون كدارم
قتلا الملوك وفككا الأغلالا
حتى وردن جبي الكلاب نهالا
منتك نفسك في الخلاء ضلالا
أو أن توازن حاجبا وعقالا

وقوله في قصيدته التي أوقع فيها بقيس قبيلة قبيلة، وشبب بهند بنت أسماء:

ألا يا اسلمى ياهند هند بني بدر
وإن كنت قد أفصدتني إذ رميتني
وإن كان حيانا عدي آخر الدهر
بسهمك والرامي يصيب ولا يدري
وقال فيها:

وقد سرنى من قيس عيلان أننى رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

قال: واستنشد سلم بن قتبية - وهو أمير على البصرة - عيسى بن عمر، وكان أحسن الناس نشيدا،
فأنشده كلمة الأخطل هذه فلما مضى فيها انتبه فأقصر. فقال له سلم: اضرب بها وجوهنا في ظلمة الليل
أبا عمرو.

وقوله لجرير:

نخست بربوع لتدرك دارما!
جريت شباب الدهر لم تستطعهم
لقد ضل من مناك تلك الأمانيا!
أفالأآن لما أصبح الدهر فانيا!
أنتشم قوما أتلوك بنهشل
ولولاهم كنتم كعكل مواليا؟

وقوله لمصقلة بن هبيرة الشيباني:

دع المغمر لا تسأل بمصرعه
إن ربيعة لن تنفك سالحة
واسأل بمصقلة البكري: ما فعلا؟
ما دافع الله عن حوبائك الأجلا

وقوله لبشر بن مروان:

إذا أتيت أبا مروان تسأله
وجدته: حاضره الجود والحسب

وقوله:

فقلت: أصبحونا لا أبا لأبيكم؟ وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

وقال فيها لخالد بن عبد الله بن أسيد:

أبي عودك المعجوم إلا صلابة وكفاك إلا نائلا حين تسأل

وقوله:

وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار

عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادي بدينار

وقوله ليزيد بن معاوية:

وترى عليه إذا العيون شزرنه سيما الحليم وهيبة الجبار

الراعي والراعي: عبيد بن حصين، كان من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يقال له في شعره: كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل! أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه، وكان مع ذلك بذيا هجاء لعشيرته، قال له جرير:

وقرضك في هوازن شر قرص تهجيتها وتمتدح الوطابا

قال ابن سلام: وسمعت يونس وقيل له: ما يعني الراعي بقوله:

بيبت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

قال يونس: الحب: القرط، وقال: الشنف. والنضناض: الذي يخرج لسانه. قال يونس: يقولون: "حياة ذكر، ونعامه ذكر، وشاة ذكر، وبطة ذكر" - ولم أسمعه منه - وكان بعد هجاء جرير له مغلبا. قال رجل من قومه، علامة وراوية فصيح: كان فحل مضر حتى ضغمه الليث! يعني جريرا.

ولقد هجا الراعي فأوجع. قال لابن الرقاع العاملي:

لو كنت من أحد يهجي هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

أخبرنا أبو خليفة قال، أخبرنا محمد بن سلام قال، قال أبو الغراف: جاور راعي الإبل بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فنسب بامرأة منهم، من بني شمس، ثم أحد بني وابش، فقال:

بني وابش إنا هوبنا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا

خليطين من حيين شتى تجاورا
أرى أهل ليلي لا يبالي أميرهم
جميعا وكانا بالتفريق أضيعا
على حالة المحزون أن يتصدعا
وقال فيها أيضا:

تذكر هذا القلب هند بني سعد!
تذكر عهدا كان بيني ووبينها
سفاها وجهلا ما تذكر من هند!!
قديما وهل أبقت لك الحرب من عهد!!
قال ابن سلام: فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى، فخرج عنهم، وقال فيهم:

أرى إبلي تكالاً راعياها
وقد جاورتهم فرأيت سعدا
مخافة جارها الدنس الذميم
شعاع الأمر عازبة الطوم
فأمرى أرض قومك! إن سعدا
تحملت المخازي عن تميم

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، وحدثني أبو يحيى الضبي قال: وفد الراعي إلى عبد الملك يشكو بعض عماله، وكانت قيس زبيرية، وكان عبد الملك ثقيل النفس عليه، فأتاه وقد قال في مديحه بشر بن مروان، في كلمة يعتذر من تزيير قومه:

فلو كنت من أصحاب مروان إذ دعا
على بردى إذ قال: إن كان عهدهم
بعذراء يمت الهدى إذ بداليا
أضيع فكونوا لاعلى ولاليا
ولكنني غبيت عنهم فلم يطع
رشيد ولم تعص العشيرة غاويا

قال: فأنشدتها جابر بن جندل، أبا عبد الله الفزاري، فقال: هو الذي يخطب الدراهم حتى أتت قومه.
وقال لعبد الملك:

إني حلفت على يمين برة
ما إن أتيت أبا خبيب وافدا
لا أكذب اليوم الخليفة قبلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر
يوما أردت لبيعتي تبديلا
أزمان قومي والجماعة كالذي
أبغى الهدى فيزيديني تضليلا
أخذوا العريف فشققوا حيزومه
لزم الرحالة أن تميل ممبلا
كهداهد كسر الرماة جناحه
بالأصبحية قائما مغلولا
فأرفع مظالم عيلت أبناءنا
يدعو بقارعة الشريف هديلا
ولئن بقيت لأدعون لطية
عنا وأنقذ شلونا المأكولا
تدع الفرائض بالشريف قليلا

فقال له عبد الملك: وأين من الله والسلطان، لا أم لك؟! فقال: يا أمير المؤمنين: من عامل إلى عامل،
ومصدق إلى مصدق فلم يحظ ولم يحل منه بشيء.
فوفد إليه من قابل، فقال في كلمة أخرى:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبب

واختل ذو المال والمثرون قد بقيت
فإن رفعت بهم رأسا نعشتهم
على التلائل من أموالهم عقد
وإن لقوا مثلها في قابل فسدوا

فقال له عبد الملك: أنت العام أعقل منك عام أول.
أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، حدثني أبو الورد الكلابي قال: اجتمع الراعي: أما الشعر فالأمير أعلم به،
ولكن والله ماتمحضت تغلبية عن مثلك! - وأم بشر: قطية بنت بشر بن عامر بن مالك أبي براء ملاعب
الأسنة - وقال له الراعي:

نزلت من البطحاء في آل جعفر ومن عبد شمس منزلا متعاليا

وقال الأخطل في حرب تغلب وقيس، في التي هجا فيها قبائل قيس:

وقد سرنني من قيس عيلان أنني
وقد غير العجلان حيناً إذا بكى
رأيت بني العجلان سادوا بني بدر
على الزاد ألقته الوليدة في الكسر
فيصبح كالخفاش يدلك عينه
فقبح من وجه لئيم ومن حجر

فعارضه الراعي فقال:

برهظ ابن كلثوم بدأنا فأصبحوا
وغارتنا أودت ببهراء إنها
لتغلب أذنابا وكانوا نواصيا
تصيب الصريح مرة والمواليا

وقال وكانت امرأة من العرب، من بني نمير، حسانة، وكانت تظغن مع الراعي إذا ظغن، وتحل معه إذا
حل. فغار رجل منهم - يقال إنه من قيس كبة - فقطع بطانها لما رحلت، فسقط هودجها وعنتت، فقال
الراعي:

ولم أر معقورا به وسط معشر
سوى نظر ساج بعين مريضة
أقل انتصارا باللسان وباليد
جرت عبرة منها ففاضت بإثم
بكت عين من أذرى دموعك إنما
وشى بك واش من بني أخت مسرد

فلو كنت معذورا بنصرك طيرت

صقوري غربان البعير المقيد

قال وكان أوس بن مغراء السعدي القريعي يهاجي النابغة الجعدي وراعي الإبل وابن السمط، من بني عامر بن صعصعة، فقال الراعي لأوس بن مغراء:

وأوس بن مغراء الهجين يسبني

وأوس بن مغراء الهجين أعاقبه

تمنى قریش أن تكون أخاهم!

لينفكك القول الذي أنت كاذبه!

قریش الذي لا تستطيع كلامه

ويكسر عند الباب أنفك حاجبه !!

فسالم أوس بن مغراء، الجعدي وابن السمط، فقال الراعي في صلحهم:

فإن كنت يا ابن السمط سالمت دوننا

وقيس أبو ليلى فلما نسالم

وإن كنتما أعطيتما القوم موتقا

فلا تغدوا واستسما للمراجم

فإنني زعيم أن أقول قصيدة

محبرة كالنقب بين المخارم

خفيفة أعجاز المطي ثقيلة

على قرننها نزالة بالمواسم

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، حدثني جابر بن جندل الفزاري بقصة، وفي إثرها قال: وضاف الراعي رجل من بني كلاب في سنة حصاء ولم يحضره قرى، وكان الكلابي على ناب له، فأمر الراعي ابن أخ له، يقال له حبر، فنحرها، فأطعمها إياه ولا يعلم الكلابي فعيه بنوعم له من قومه كانوا يهاجونه: الحلال وختر، فزعم أنه أحلفها له، وقال الراعي:

عجبت من السارين والريح قره

إلى ضوء نار بين فردة والرحا

إلى ضوء نار يستوي القد أهلها

وقد يكرم الأضياف والقد يشتوي

فلما أتونا فاشتكتنا إليهم

بكوا وكلا الحيين مما به بكى

بكى معوز من أن يلام وطارق

يشد من الجوع الإزار على الحشا

فطأطأت طرفي هل أرى من سميئة

تدارك فيها ني عامين والصوى!

فأبصرتها كوما ذات عريكة

هجانا من اللاتي تمتعن بالصوى

فأومضت إيماضا خفيا لحبتر

ولله عينا حبتر! أيما فتى!

فقلت له: ألصق بأبيس ساقها

فإن يجبر العرقوب لا يرقأ النسا

فقام إليها حبتر بسلاحه

مضى غير منكود ومنصله انتضى

كأنني وقد أشبعته من سنامها

كشفت غطاء عن فؤاجي فانجلى

لنا قبل ما فيه شواء ومصطفى
بستين أنقتها الأسنة والخلا

فبتنا وباتت قدرنا هزة
وأصبح راعينا بريمة عندنا

وناب عليها مثل نابك في الحيا

فقلت لرب الناب: خذها فنتية

الطبقة الثانية

البعيث، واسمه خداهش بن بش بن خالد بن بيبة بن قرط ابن سفيان بن مجاشع بن دارم. وسمي البعيث بقوله:

أمرت حبال كل مررتها شزرا

تبعث مني ما تبعث بعد ما

وهو أول شعر قاله.

والقطامي، واسمه عمرو بن شبيب بن عمرو، أحد بني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي، وهو ابن أبي جمعة، وكنيته أبو صخر، وهو عند أهل الحجاز أشعر من كل من قدمنا عليه.

وذو الرمة، واسمه غيلان، وهو الذي يقول:

أنا أبو الحارث، واسمي غيلان

ابن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن أد، وهم عدي التيم، وتيم عدي، والتيم من الرباب وكان البعيث شاعرا فاخر الكلام حر اللفظ، وقد غلبه، جرير وأخمله. وكان قد قاوم جريرا في قصائد، ثم ضج إلى الفرزدق واستغائه.

وكان القطامي شاعرا فحلا، رقيق الحواشي، حلو الشعر. والأخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا. وكان زفر بن الحارث أسره في حرب بينهم وبين تغلب، فمن عليه وأعطاه مئة من الإبل ورد عليه ماله، فقال القطامي في كلمة له:

عن القطامي قولاً غير إفراد

وبين قومك إلا ضربة الهادي

وقد تعرض مني مقتل بادي

ولن أبدل إحسانا بإفساد

من مبلغ زفر القيسي مدحته

إني وإن كان قومي ليس بينهم

مثل عليك بما أسلفت من حسن

فلن أثيبك بالنعماء مشتمة

فإن هجوتك ما تمت محافظتي
وإن مدحت لقد أحسنت إصفاذي
إذ يعتريك رجال يسألون دمي
ولو تطيعهم أبكيت عواذي
وإذ يقولون: أرضيت العداة بنا!
لا بل قدحت بزند غير صلاب
ولا كردك مالي بعدما كربت
تبدي الشماتة أعدائي وحسادي
فإن قدرت على يوم جزيت به
والله يجعل أقواما بمرصاد

قال ابن سلام: فلما بلغ زفر قوله، قال: لا قدرت على ذلك اليوم.
وقال القطامي بمدحه في أخرى:

ومن يكن استلام إلى ثوى
فقد أحسنت يا زفر المتاعا
أكفر بعد دفع الموت عني
وبعد عطائك المئة الرتاعا؟
ولم أر منعمين أقل منا
وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بني نفيل
أبت أخلاقهم إلا اتساعا
بني القرم الذي علمت معد
تفضل فوقهم حسبا وباعا
والقطامي الذي يقول:

ألم يحزنك أن حبال قيس
وتغلب قد تباينتنا انقطاعا
أمر لو تدبرها حلیم
إذا لنهى وهيب ما استطاعا
ولكن الأديم إذا تقرى
بلى وتعينا غلب الصناعا
ومعصية الشفيق عليك مما
يزيدك مرة منه استماعا
وخير الرأي ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعا

وقال يمدح أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

إذا مات ابن خارجة بن حصن
فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البريد بغنم خير
ولا حملت على الطهر النساء
وقال فيه أيضا:

وعليك أسماء بن خارجة الذي
على الفعال ورفع البنيانا
فستعلمين: أصادر وراده
عنه وأي فتى غطفانا؟

وكان كثير شاعر أهل الحجاز، وإنهم ليقدمونه على بعض من قدمنا عليه. وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حظه بالعراق.

وسمعت يونس النحوي يقول: كان ابن أبي إسحاق يقول: كان كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: ورأيت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدا، يقول: كان يستقصي المديح. وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب، وكانت له منزلة عند قريش وقدر قال: وقدم على عبد الملك بن مروان الشام فأنشده، والأخطل عنده، فقال عبد الملك: كيف ترى يا أبا مالك! قال: أرى شعرا حجازيا مقرورا، لو ضغطه برد الشام لاضمحل.

قال: وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذلها

فقال له عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس ابن معدي كرب؟:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال يا أمير المؤمنين! وصفه بالخرق، ووصفتك بالحزم.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني عثمان بن عبد الرحمن قال: أنشد كثير عبد الملك بن مروان حين أزمع بالمسير إلى مصعب:

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت وبكى مما شجاها قطينها

فقال عبد الملك: والله لكأنه شهد عاتكة! بنت يزيد بن معاوية وهي امرأته، أم يزيد بن عبد الملك.

وقدم كثير على يزيد بن عبد الملك وقد مدحه بقصائد جياذ مشهورة، فأعجب بمن يزيد، وقال له: احتكم. قال: وقد جعلت ذلك إلي! قال: نعم. قال: مئة ألف. قال: ويحك! مئة ألف!! قال: على جود أمير المؤمنين أبقى أم على بيت المال؟ قال: ما بي استكثارها، ولكني أكره أن يقول الناس: أعطي شاعرا مئة ألف، ولكن فيها عروض؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فكان يحضر سمر يزيد ويدخل عليه، فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله:

إذا عرقت مغابنها وجادت بدرتها قرى جحن قتين

قال: فسكت عنه يزيد، فقال: بصبصن إذ حدين! ثم أعاد فسكت عنه يزيد، فقال: بصبصن إذ حدين! فقال له يزيد: وما على أمير المؤمنين أن لا يعرف هذا؟ هو القراد أشبه الدواب بك! - وكان كثير قصيرا متقارب الخلق - فحجب عن يزيد فلم يصل إليه، فكلّم مسلمة بن عبد الملك يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، مدحك؟ قال: بكم مدحنا؟ قال: بسبع قصائد. قال: فله سبعمئة دينار، والله لا أزيده عليها. أنا أبو خليفة، نا ابن سلام، نا - أو حدثني - ابن جعدبة وأبو اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فأجفلت قريش في جنازة كثير، ولم يوجد لعكرمة من يحملة.

وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا في النسيب، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان جميل صادق الصباية، وكان كثير يتقول، ولم يكن عاشقا، وكان راوية جميل. وهو القائل:

وإن نأتك ولم يلّم بها خرق

ألم بعزة إن الركب منطلق

كأن إنسانها في لجة غرق

قامت تراءى لنا والعين ساجية

مبادرا خلسات الطرف يستبق

ثم استدار على أرجاء مقلتها

در تحلل من أسلاكه نسق

كأنه حين مار المأفيان به

قال وسمعت الناس يستحسنون من قوله:

تمثل لي ليلي بكل سبيل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

قال ابن سلام: وسمعت من يطعن عليه يقول: ما له يريد ينسى ذكرها؟ تعلق الناس على كثير بقوله:

غزا كامنات الصدر مني فنالها

فإن أمير المؤمنين هو الذي

وقوله:

ثمانون ألفا قد توافت كمولها

ترى ابن أبي العاصي وقد صف دونه

إذا أمكنته شدة لا يقيلها

يقلب عيني حية بمحارة

قال ابن سلام: فقلت لابن أبي حفصة: من جودة مديحه هذا، جعل دونه ثمانين ألفا! وجعله يقلب عيني حية بمحارة! وجعل أمير المؤمنين غزا كامنات صدره!. فقال: هذا النابغة قال لملك العرب:

إلى حمام شراع وارد التمد

أحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت

أمره أن يحكم كحكم فتاة وقال كثير لعبد العزيز بن مروان:

وما زلت رقاك تسل ضغني

وتخرج من مضابئها ضبابي

ويرقيني لك الحاؤون حتى

أجابك حية تحت الحجاب

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: كان علماؤنا يقولون: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة.

وقوله:

بها العين والآرام فوضى كأنها

ذبال تذكي أو نجوم طوالع

وقوله:

كأن يدي حربائها منشمسا

يدا مجرم يستغفر الله تائب

وقوله:

فلننا صدورا من حديث كأنه

جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، أخبرنا أبو البيداء الرياحي قال، قال جرير: قاتل الله ذا الرمة حيث يقول:

ومنتزع من بين نسعيه جرة

نشيج الشجا جاءت إلى ضرسه نذرا

أما والله لو قال: "من بين جنبيه"، لما كان عليه من سبيل.

حدثنا أبو خليفة، عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمثلة قتادة من الحسن وابن سيرين، وكان يروى عنهما وعن الصحابة، وكذلك ذو الرمة، هو دونهما ويساويهما في بعض شعره. قال: ويقال إن ذا الرمة راوية راعي الإبل، ولم يكن له حظ في المهجاء، وكان مغلبا.

أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء: لها مشم في أول شمش ثم تعود إلى أرواح البعر.

أخبرني محمد بن يحيى، عن الفضل بن الحباب، عن محمد ابن سلام قال: مر الفرزدق بذئ الرمة وهو ينشد:

أمنزلتي مي سلام عليكما

هل الأزمن اللائي مضين رواجع

فوقف حتى فرغ منها. فقال: كيف ترى يا أبا فراس؟ قال: أرى خيرا. قال: فمالي لا أعد في الفحول؟

قال: بمنعك عن ذلك صفة الصحاري وأبعار الإبل. وولى الفرزدق وهو ينشد:

ودوية لو ذو الرميمة رامها

بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح

قطعت إلى معروفها منكراتها

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير، وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمي، وتيم وعدي
أخوان من الرباب، وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير:

فلا يضغمن الليث عكلا بغرة

وعكل يشمون الفريس المنيبا
الفريس ههنا: ابن لجأ. وكذلك يفعل السبع: إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقتها، أقبلت الغنم تشم
موضع الضغم، فيفترسها السبع وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عدي:

وقلت نصيحة لبني عدي:

ثيابكم ونضح دم القتيل
يخذر عديا ما لقي ابن لجأ أنا أبو خليفة، نا ابن سلام قال، أخبرني أبو يحيى الضبي قال، قال ذو الرمة
يوما: لقد قلت أبياتا إن لها لعروضا، وإن لها لمرادا ومعنى بعيدا. قال الفرزدق: وما قلت؟ قال قلت:

أحين أعادت بي تميم نساءها

وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك

ومن آل يربوع زهاء كأنه

وعمرو وشالت من ورائي بنو سعد

زها الليل محمود النكاية والرفد

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها، فأنا أحق بها منك! قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا إلا لك.

فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكنا إذا القيسي نب عتوده

ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

الأنثيان: الأذنان. والكرد: العنق.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، حدثني أبو الغراف قال: مر ذو الرمة بمثل لامرئ القيس بن زيد مناة،
يقال له "مرأة" به نحل، فلم يتزلوه ولم يقروه، فقال:

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت

علينا حصى المعزاء شمس تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنا

عناق وأسياف قديم صقالها

فلما رأنا أهل مرأة أغلقوا

مخادع لم ترفع لخير ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قرية

كرام صواديها لنام رجالها

فلج الهجاء بني ذي الرمة وبين هشام المرئي.

فمر الفرزدق بذوي الرمة وهو ينشد:

وقفت على ربع لمية ناقتي
فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أثته
تكلمني أحجاره وملاعبه

فقال الفرزدق أهلك التبكاء في الديار، والعبد يرحز بك في المقبرة! يعني هشاما.
وكان ذو الرمة مستعليا هشاما، حتى لقي جرير هشاما فقال: غلبك العبد! - يعني ذا الرمة - . قال: فما
أصنع يا أبا حزره، وأنا راجز وهو يقصد، والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء؟ فلو رفدتني! فقال له جرير
- لتهمته ذا الرمة وميله إلى الفرزدق - قل له:

غضبت لرهط من عدي تشمسوا!
وفيم عدي عبد تيم من العلا
وفي أي يوم لم تشمس رجالها
وأيامنا اللاتي يعد فعالها؟

وضبة عمي يا ابن جل فلاترم
يماشي عديا لؤمها لا تجنه
مساعي قوم ليس منك سجالتها
من الناس ما ماشت عديا ظلالتها
فقل لعدي تستعن بنسائها
على فقد أعي عديا رجالها
أذا الرم قد قلدت قومك رمة
بطئيا بأيدي المطلقين انحلالها

قال ابن سلام، فحدثني أبو الغراف قال: لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام هشام، ولكنه
كلام ابن الأتان.

قال: وحدثني أبو البيداء قال: لما سمعها قال؟ هو والله شعر حنظلي عدوي.
وغلب هشام على ذي الرمة.

وكان ذو الرمة يتشبه بمي بنت طلحة بن قيس بن عاصم المنقري، وكانت كثره أمة مولدة لآل قيس بن
عاصم - وهي أم سهم ابن بردة اللبن، الذي قتله سنان بن محيس القشيري، أيام محمد بن سليمان -
فقال كثره:

على وجه مي مسحة من ملاحه
ألم تر أن الماء يخبث طعمه
وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ولو كان لون الماء في العين صافيا

ونخلتها ذا الرمة. فامتعض من ذلك، وحلف بجهد إيمانه ما قالها، قال: وكيف أقول هذا، وقد قطعت
دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها! ثم أقول هذا!!، ثم طلع على أن كثره قالتها ونخلتها إياه.
وأخبرني أبو سوار الغنوين وكان فصيحاً، قال: رأيت ميا ورأيت معها بنين لها، صغار. قلت: فصفها.

قال: مسنونة الوجه، طويلة الخدين، شماء الأنف، عليها وسم جمال، فقالت لي: ما تلقيت بأحد من هؤلاء إلا في الإبل. قلت له: أفكانت تشدك ما قال فيها ذو الرمة؟ قال: إي والله، تسح سحا ما رأى مثله أحد.

قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: لقي ذو الرمة رؤبة فقال له ذو الرمة: ما يعني الراعي بقوله:

أناخا بأشوال طروقا بخبة قليلا وقد أعى سهيل فعردا

فجعل رؤبة يقع مرة ههنا ومرة ههنا، إلى أن قال: هي أرض بين المكثمة والمجدبة. وكذاك هي. قال: وكان ذو الرمة أيضا ينسب بخرقاء، إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، وكانت تحل فلجة ويمر بها الحاج، فتقعد لهم وتحديثهم وتهاديهم وتقول: أنا منسك من مناسك الحج. ثم كانت تجلس معها فاطمة ابنتها، فحدثني من رآها قال: لم تكن فاطمة مثلها. وإنما قالت: "أنا من مناسك الحج"، يقول ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

وقال فيها:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم؟

تثني الخمار على عرنين أرنية شماء مارنها بالمسك مرثوم

وكانت مية عند ابن عم لها يقال له عاصم، فيه يقول ذو الرمة:

ألا ليت شعري هل يموتن عاصم ولم تشتعيني للمنايا شعوبها!

رمى الله من حتف المنية عاصما بقاصمة يدعى لها فيجيبها

قال وحدثني أبي سلام، قال: دخلت على خرقاء فقالت: اخرجي يا فاطمة! - تعني ابنتها - فخرجت امرأة جميلة، وليست كأمرها.

قال ابن سلام في خبره: وأرسلت خرقاء، إلى القحيف العقيلي تسأله أن يشبب بها فقال:

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

وخرقاء لا تزدد إلا ملاحه ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال وحدثني محمد بن أبي عدي الفقيه قال، قال ذو الرمة: بلغت نصف عمر الهرم، وأتانا ابن أربعين سنة. قال: ولم يبق ذو الرمة بعد ذلك إلا قليلا، لأنه مات شابا.

قال ابن سلام: حدثني أبو الغراف، أنه مات وهو يريد هشاما، وقال في طريقه ذلك:

بلاد بها أهلها لست ابن أهلها وأخرى بها أهلون ليس لها أهل

قال: وكانوا إخوة ثلاثة: غيلان، وهو ذو الرمة، وأوفى، ومسعود، بنو عقبة، فهلك أوفى، ثم هلك ذو الرمة، فقال مسعود:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده
ولم ينسني أوفى المصيبات بعده
ولمسعود يقول ذو الرمة:

بل عجبت أخت بني لبيد
رأت غلامي سفر بعيد
مثل أذراع اليلمق الجديد
وهزئت مني ومن مسعود
يدرعان الليل ذا السدود
أما بكل كوكب حريد

إذا سهيل لاح كالوقود
يا صاحبي صوتا بالوقود
وفيها يقول:

أشعث باق رمة التقليد

وهذه الكلمة سمي ذا الرمة.

وحدثني أبي - سلام بن عبيد الله - قال: رأيت ذا الرمة، ورأيت لمتة وهيئته. وقال لأبي الغراف: فيك مشابه منه.

حدثني أبو الغراف قال: داراً الحكم بن عوانة ذا الرمة في بعض قوله، فقال فيه:

فلو كنت من كلب صحيح هجوتكم
ولكنما أخرت أنك ملصق
تدهدي فجرت ثلثة من صحيحة
جميعا ولكن لا إخالك من كلب
كما ألصقت من غيرها ثلثة القعب
فلز بأخرى بالغراء وبالشعب

وحدثني أبو الغراف قال: دخل ذو الرمة على بلال ابن أبي بردة، وكان بلال راوية فصيحاً أديباً، فأنشد بلال أبيات حاتم طيء:

لحا الله صعلوكا مناه وهمه
يرى الخمس تعذيباً وإن نال شعبة
من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما
يبث قلبه من قلة الهم مبهما

فقال ذو الرمة: "يرى الخمص تعذيباً". وإنما الخمس للإبل! وإنما هو خمص البطون! فمحك بلال، وكان محكاً، وقال: هكذا أنشدنيها رواة طيء. فرد عليه ذو الرمة، فمحك. فدخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدها؟ فعرف أبو عمرو الذي به، فقال: كلا الوجهين. فقال: أتأخذون عن ذي الرمة؟ قال: إنه لفصيح، وإنما لأخذ عنه بتمريض. وخرجنا من عنده، فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لولا أي أعلمك حطبت في حبله وملت في هواه، لهجوتك هجاء لا يقعد إليك معه اثنان.

الطبقة الثالثة

من الإسلاميين: أربعة كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة بن عوف مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل.

وعمر بن أحمر بن العمرد بن تميم بن ربيعة بن حرام ابن فراص بن معن الباهلي.

وسحيم بن وثيل بن أعيفر بن أبي عمرو بن إهاب بن حميري ابن رياح بن يربوع.

وأوس بن مغراء، من قريش بن عوف بن كعب ابن سعد.

كعب بن جميل: شاعر مفلق قديم في أول الإسلام، أقدم من الأخطل والقطامي، وقد لحقا به وكانا معه، وهو يقول:

من الإنس في قصر منيف غواربه

وأبيض جني عليه سموطه

فبت أمنية المنى وأخالبه

تدليته سقط الندى بعد هجعة

وما لو يسنى حية مال جانبه

بما ينزل الأروى من الشعف العلي

مضى واستتبت للرواة مذاهبه

ندمت على شتم العشيرة بعد ما

كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

فأصبحت لا أستطيع ردا لما مضى

من الناس أودعها وحيًا تضاربه

معاوي أنصف تغلب ابنة وائل

إذا رابني باب الأمير وحاجبه

قليل على باب الأمير لبائتي

سمت بابن هند في قريش مضاربه

ولما تداروا في تراث محمد

وكعب يقول في عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وقتل بصفين وهو مع معاوية، قتلته بنو شيبان:

بصفين أجلت خيله وهو واقف

ألا إنما تبكي العيون لفارس

وكان فتى لو أخطأته المتالف

تبدل من أسماء أسياف وائل

تمج دم الجوف العروق النوارف

تركن عبيد الله بالقاع مسندا

وأبي فتى لو أخطأته المآلف

وطار الوشيط عنهم والزعانف

بني أسد إني لما قيل عارف

وما إن لنا في بطن صفيين قائف

يحللن عنه جيب درع حصينة

وحافظ صدر من ربيعة صاير

إذا قيل: أي الناس شر قبيلة؟

أغرتم علينا تسرقون عيابنا

وسحيم بن وثيل الرياحي، شريف مشهور الأمر في الجاهلية والإسلام، جيد الموضع في قومه، شاعر خنذيذ. وكان الغالب عليه البداء والحشنة، وهو الذي ناجر غالب بن صعصعة - أبا الفرزدق - بالكوفة، أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تفاخرا، وقد أقدما جلبا لهما، فتناحرا، فجعل غالب لا يفرس، وجعل سحيم يفرس. فقيل له: أتجاري هوج بني دارم؟ أقلع. وغدا الناس بالمدى والجفان ليأخذوا اللحم، فقال علي: يا أيها الناس! لا تأكلوا منه فإنه مما أهل لغير الله به. فأرتدع الناس.

قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه استعمل سمرة بن عمرو بن قرط بن جناب بن عدي بن جندب العنبري - في ولده وأسرته شرف إلى اليوم، يقال لهم بنو السمرات - فاستعمله على هوامي عمرو ابن تميم وفلج وما يليها. فكان لا يخبر بضألة في قوم إلا أخذها فعرفها. فكان من ذهب له ضالة طلبها عنده. فبلغه أن ناقة في إبل بني وثيل، فأتاهم وأعبد معه، وليس هناك من بني وثيل أحد، وأمهم ليلي بنت شداد، من بني حمير بن رياح بن يربوع، عجزوز كبيرة في غلمة لهم، فقال: أعرضوا على الإبل، فأبت. فأخذ ليعرضها، فأهوت له، فدفعها، فقالت: فمي! فمي! وزعموا أن ثنيتها قد كانتا سقطتا قبل ذلك بزمان. فلما رأى ذلك سمرة لها عنها وترك الإبل. فلما قدم سحيم بن وثيل إلى أمه أخبرته الخبر، فسكت حتى يلقي عبيد ابن غاضرة بن سمرة، فصرعه فدق فمه، فاستعدى عليه سمرة ابن عفان - وكان عثمان إذا عاقب بالغ - فأشخص سحيم إليه إلى المدينة، وحبست إبله حتى ضاعت، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، إنه كسر فم أمي! قال: ألا استعديت عليه؟ وقال عثمان: لأفطعن منك طابقا أو يرضى سمرة. وصادف سحيم بن وثيل يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل - أخوا ليلى بنت مسعود، أم عبيد الله ابن علي بن أبي طالب - ونعيما أبا قران اليربوعي، فقاما بأمر سحيم، وحملا للعنبري مئة من الإبل، فقال في ذلك سحيم ابن وثيل:

ومن يك مولاه فليس بواحد

متى أضع العمامة تعرفوني

كفاني أبو قران نفسي فداؤه

وسحيم بن وثيل القائل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

مكان الليث من وسط العرين
فما بالي وبال ابني لبون
وقد جاوزت رأس الأربعين

ألم تر أنني في حميري
عذرت البزل إن هي خاطرتني
وماذا يغمز الأعداء مني

وعمر بن أحمد صحيح الكلام كثير الغريب، وهو القائل:

ويغتني من بعد ما يفتقر
والعيش فنان: فحلو ومر
فعايش النفس وفيها وقر
أو يخلدني منع ما أدخر؟
أنني حوالي وأنني حذر؟
أعلم ما ينفع مما يضر

إن الفتى يقترب بعد الغنى
والحي كالميت ويبقى التقى
إما على نفسي وإما لها
هل يهلكني بسط ما في يدي
أو ينسأني يومي إلى غيره
ولن ترى مثلي ذا شبيبة

الطبقة الرابعة

نهمش بن حري، أحد بني نهمش بن دار.

وحميد بن ثور الهلالي.

والأشهب بن رميلة.

وعمر بن لجأ التيمي، من تيم الرباب.

فنهمش بن حري: شاعر شريف مشهور. وأبوه حري: شاعر مذكور. وجده ضمرة بن ضمرة: شريف

فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر. وأبوه: ضمرة بن جابر: سيد ضخم الشرف بعيد الذكر. وأبوه

جابر: له ذكر وشهرة وشرف. وأبو قطن: له شرف وفعال وذكر في العرب. فهم ستة كما ذكرنا، لا

أعلم في تميم رهطاً يتوالون توالي هؤلاء.

ونهمش بن حري الذي يقول:

على عرضه إن الخنا طرف الغدر
بحبلك واستره بما لك من ستر
وجيران أقوام بمدرجة الدهر
وإن لم تكن نار قعود على جمر

إذا كنت جارا لأمرئ فارهب الخنا
وذد عن حراه، ما عقدت حباله
جار منعناه من الضيم والعدى
ويوم كأن المصطلين بحره

صبرنا له حتى يبوخ وإنما

تفرج أيام الكريهة بالصبر

وحميد بن ثور القائل:

قليل المعى إلا مصيرا يبيله

دم الجوف أو سؤر من الحوض ناقع

ترى طرفيه يعسلان كلاهما

كما اختب عود الساسم المتتابع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ال

منايا بأخرى فهو يقظان هاجع

والأشهب بن رميلة ورميلة أمه، وأبوه ثور. وكان الأشهب شاعرا، وكان يهاجي الفرزدق، وهو أحد بني
هشيل بن دارم.

وكان له أخ يدعى زبابا، وكان من أشد الناس وأحبهم، وكان الفرزدق يفرقه فرقا شديدا، وفيه يقول
الأشهب:

وقائلة تنعى زبابا وقائل:

جزى الله خيرا ما أعف وأمنعا!

وأطعن في الهيجا وأضرب في الوغى

وأطعم إن أمسى المراضيع جوعا

شمت ابن قين أن أصابت مصيبة

كريما ولم يترك لك الدهر مسمعا

كريما حماك الدهر طول حياته

وأنت لئيم منبت الحمض أجمعا

أعيني قلت أسوة من أخيكما

بأن تسهر الليل التمام وتدمعا

قتلنا زعيم القوم لا خير بعده

ولم يك في الأحجار منع فأمنعا

إذا ما ذكرنا من أخينا أخاهم

روينا ولم تشف الغليل فينقعا

الأحجار: صخر، وجندل، وجرول، بنو هشيل. فغلب الفرزدق على الأشهب وفضل عليه.

وأما عمر بن لجأ: فحدثني أبو الغراف قال: قدم لقمان الخزاعي على صدقات الرباب، فكانت وجوه
الرباب تحضره وفيهم عمر بن لجأ بن حدير، أحد بني مصاد، فأنشده يوما:

تأويني ذكر لزولة كالخبل

وما حيث تلقى بالكثيب ولا السهل

تحل وركن من طمية دونها

وجو قسا مما يحل به أهلي

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة!

ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل؟

فقال لقمان: ما زلنا نسمع بالشام أنها كلمة حرير. وأبلغ لقمان جريرا فقال: زعم أنك سرقتها منه! فقال
جرير: وأنا أحتاج أن أسرق قول عمر! وهو القائل وقد وصف إبله: - فذكر قصة قد ذكرها ابن سلام

عن أبي يحيى الضبي في أخبار جرير -
قال فرد عليه عمر بن لجأ:

وكل عاو بفيه الترب والحجر
أن الكليبي لم يكتب له الظفر
للموت تعمد والموت الذي تذر
رحل الفرزدق لما مسك الدبر

أنبتت كلب كليب قد عوى جزعا
قد لمتني ظالما في سنة سبقت
هبت الفرزدق واستبعثتني عبثا
فاخسأ لعلك ترجو أن يحل بنا

ومن قوله:

لمن أمسى يواصلنا خلايا
فقد جمع التدلل والكذابا!
وأحسن حين قال وما استنابا؟
لتطرد عنك حلما حين ثابا
بعود أراكه بردا عذابا
ليغلبها وكان لها قطابا
سواد الزوج والتثم الرضابا
كفى فوها لمغتبق وطابا
وريا حيث تعتقد الحقابا
كغصن البان فاضطرب اضطرابا
حباب الماء يتبع الحبابا
إذا ما أكرها نشبا فغابا
فلاذكرا لذاك ولا طلابا

أجد القلب هجرا واجتبابا
ومن يدنو ليعجبنا وينأى
ألا تجزين من أثنى عليكم
تصدت بعد شيبك أم بكر
بجيد غزال مقفرة وماحت
كأن سلافة خلطت بمسك
مذاقتها إذا ما بينتها
ليغتبق العلالة من نداها
أسيلة معقد السمطين منها
إذا مالت روادفها بمتن
تهادى في الثياب كما تهادى
ترى الخلخال والدملوج منها
إذا ما الشيء لم تقدر عليه

الطبقة الخامسة

أبو زيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر.
والعجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول
وعبد الله بن همام السلولي.

ونفيع بن لقيط الأسدي.

أنا أبو خليفة، نا محمد بن سلام، أخرجنا أبو الغراف قال: كان أبو زييد الطائي من زوار الملوك، والملوك العجم خاصة، وكان عالما بسيرهم. وكان عثمان بن عفان يقربه على ذلك ويدينه ويدين مجلسه، وكان نصرانيا. فحضر ذات يوم عثمان، وعنده المهاجرون والأنصار، فتذكروا مآثر العرب وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبي زييد فقال: يا أخ تبع المسيح، أسمعننا بعض قولك، فقد أنبت أنك تجيد. فأنشده قصيدته التي تقول فيها:

من مبلغ قومي النائن إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد. فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت! والله إني لأحسبك جباناً هذان! فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم. فقال عثمان: وأني كان ذلك؟ قال: خرجت في صياحة أشرف من أفناء قبائل العرب، ذوي هيئة وشارة حسنة، ترمي بنا المهاري بأكسائها، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام. فاحروط بنا المسير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت المياه، وأذكت الجوزاء المعزاء، وذاب الصيهد، وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في حجره - أو قال في وجاره - قال قائلنا: يا أيها الراكب! غوروا بنا ضوج هذا الوادي. وإذا واد قد يديمتنا كثير الدغل، دائم الغلل، شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة، فحططنا رواحلنا في أصول دوحات كنهيلات، فأصبنا من فضلات المزارد وأتبعناها الماء البارد.

فإننا لنصف حر يومنا ذلك ومماطلته، إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه. فو الله ما لبث أن جال، ثم حمحم فبال، وفعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً. فتضععت الخيل، وتكعكت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافر بشكاله، وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع. ففزع كل امرئ منا إلى سيفه فاستله من جربانه، ثم وقفنا رزدقا. فأقبل يتظالع من بغيه كأنه مجنوب أو في هجار، لصدرة نحيط، ولبلاعيمه غطيظ، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض، كأنما يخبط هشيماً، وإنما يطأ صريماً. فإذا هامة كالجن، وإذا خذ كالمنسن، وعيناه سجراوان، كأنهما سراجان يقدان، وقصرة ربله، ولهزمة رهلة، وكند مغبط، وزور مفظ، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شتنة البرائن، إلى مخالب كالحاجن. فضرب بيديه فأرهب وكشر فأفرج، عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق، كالغار الأخرق. ثم تمطى فأشرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظله مثلية. ثم ألقى فاقشعر، ثم تميل

فاكفهر، ثم تجهم فازبأر. فلا والذي بيته في السماء ما انقيناها إلا بأول أخ لنا من بني فزارة، كان ضخم
الجزارة، فوقصه ثم نفضه نفضة، ففضض متنية، ثم جعل يلغ في دمه. فذمرت أصحابي، فبعد لأي ما
استقدموا. فهجهجنا به فكر مقشعرا بزيرة كأن بين كتفيه شيهما حوليا، فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا،
فنفضه نفضة تزايلت مفاصله، ثم هم ففرفر، ثم زفر فبربر، ثم زأر فجرجر، ثم لحظ، فو الله لخلت البرق
يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه فأرعشت الأيدي، واصطكت الأرجل، وأطلت الأضلاع،
وارتجت الأسماع، وحمجت العيون، ولحقت البطون، وانخزلت المتون، وساءت الظنون.
فقال عثمان: اسكت، قطع الله لسانك! فقد رعبت قلوب المؤمنين.
وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات يسري	بصير بالدجي هاد هموس
إلى أن عرسوا وأغب عنهم	قريبا ما يحس له حسيب
خلا أن العتاق من المطايا	حسين به فهن إليه شوس
فلما أن رأهم قد تدانوا	أتاهم وسط أرحلهم يميمس
فثار الزاجرون فزاد منهم	تقرابا وواجهه ضبيبس
بنصل السيف ليس له مجن	فصد ولم يصادفه جبيبس
فيضرب بالشمال إلى حشاه	وقد نادى فأخلفه الأنيس
بسمر كالمحاجن في قنوب	يقيها قضة الأرض الدخيس
فجر السيف واختلفت يداه	وكان بنفسه وقيت نفوس
فطار القوم شتى والمطايا	وغورد في مكرهم الرئيس
وجال كأنه فرس صنيع	يجر جلاله ذبل شموس
كأن بنحره بساعديه	عبيرا بات تعبؤه عروس
فذلك إن تفادوه تفادوا	ويصرف عنكم أمر شكيس

وحدثني أبي سلام، عمن حدثه: أن رجلا من طيء، من بني حية، نزل به رجل من بني الحارث بن ذهل
بن شيبان، يقال له المكاء، فذبح له شاة وسقاه من الخمر. فلما سكر الطائي قال: هلم أفاخرك: أبنو حية
أكرم أم بنو شيبان؟ فقال له الشيباني: حديث حسن ومنادمة كريمة، أحب إلينا من المفاخرة. فقال

الطائي: والله ما مد رجل قط يداً أطول من يدي! فقال الشيباني: والله لئن أعدتها لأخضبتها من كوعها. فرفع الطائي يده، فخضبها من كوعها. فقال أبو زيد في ذلك:

خبرتنا الركبان: أن قد فخرتم
ولعمري لعارها كان أدنى
ظل ضيفا أخوكم لأخينا
ثم لما رآه رانت به الخم
وفرحتم بضربة المكاء!
لكم من تقي وحسن وفاء
في صبوح ونعمة وشواء
ر وأن لا يريبه باتقاء
لم يهب حرمة النديم وحقت
يا لقوم للسوأة السوأة!

وقال حين عزل الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة، وحملت أثقاله:

من يرى العير لابن أروى على ظه
مصعدات والبيت بيت أبي وهب
يعرف الجاهل المضلل أن ال
ليت شعري كذا كم العهد أم كا
بعد ما تعلمين يا أم زيد
أصبح البيت قد تبدل بالحي
غير ما طالبين ذحلا ولكن
كل شيء تحتال فيه الرجال
ر المرورى حداتهن عجال
خلاء تحن فيه الشمال
دهر فيه النكراء والزلال
نوا أناسا كمن يزول فزالوا
كان فيهم عز لنا وجمال
وجوها كأنها أقتال
مال دهر على أناس فمالوا
غير أن ليس للمنايا احتيال

وقال أبو زيد، وكان في أحواله بني تغلب، وكان مقيم فيهم أكثر أيامه وكان له غلام يرعى إبله، وأن بهراء غزت بني تغلب، فمروا بغلامه، فدفع إليهم الإبل. وقال: انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم. فصحبهم، فالتقوا، فهزمت تغلب بهراء وقتل العبد، فقال أبو زيد:

قد كنت في منظر ومستمع
تسعى إلى فتية الأراقم واستع
في عارض من جبال بهرا به
فنهزة من لقوا حسبتهم
عن نصر بهراء غير ذي فرس
جلت قيل الجمان والقبس
الأل مرين الحروب عن درس
أحلى وأشهى من بارد الدبس!
ولا هم نهزة لمختلس
غير لئام ضجر ولا كبس
لا ترة عندهم فتطلبها
جود كرام إذا هم ندبوا

صمت عظام الحلوم إن قعدوا
تقوت أفراسهم نساؤهم
صادفت لما خرجت منطلقا
فجال في كفه مثقفة
بكف حران نائر بدم
إما تقارش بك الرماح فلا
حمدت أمري ولمت أمرك إذ
وقد تصليت حر نارهم
تذب عنه كف بها رمق
عما قليل علون جثته

فلما فرغ أبو زيد من قصيدته، بعثت إليه بنو تغلب بديّة غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك:

ألا أبلغ بني عمرو رسولا
فإني في مودتكم نفيس

ويقال إن أزد عمان قتلت رجلا من طيء، فقال في ذلك أبو زيد:

بلغا طيئا جميعا وشتى
إنهم إخوة أبوهم أبونا
قتلتنا سيوف أزد عمان
من دم ضائع تغيب عنه
يابن سلمى وللنجبية سلمى
ولسعد مما أقول نصيب
غير دعوى والنائبات تنوب
سفها والدهور فيه العجيب
أقربوه إلا الصدى والحبوب
ولقد ينجل النجيب النجيب

ليتني مت إذ دعونك إذ تدع
ليت شعري بك ابن أم عميس!
غبت عنه وأنت لم تك عنه
ركبوا ما تهيب الناس منا!

وقال أيضا يرثي ابن أخته اللجلج، وكان من أحب الناس إليه، وجزع عليه جزعا شديدا:

وأيضا يرثي ابن أخته اللجلج، وكان من أحب الناس إليه، وجزع عليه جزعا شديدا:

يوم فارقته بأعلى الصعيد

غير أن اللجاج قد هد ركني

من تراب وجندل منضود

في ضريح عليه عبء ثقيل

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى قال، حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال، حدثنا أبو الغراف قال: كان العجير السلوي دل عبد الملك بن مروان على ماء يقال له: مطلوب، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

إن لم أروع بغيظ أهل مطلوب

لأنوم إلا غرار العين ساهرة

ذرق الدجاج بحفان اليعاقب

إن تشتموني فقد بدلت أيكتم

بنو أمية وعدا غير مكذوب

وكننت أخبركم أن سوف يعمرها

قال: فركب رجل من خثعم، يقال له أمية، إلى عبد الملك حتى دخل عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سنأل - وحر به عليه - .

فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الخبر، فركب في الليل حتى أتى عبد الملك. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني، وابعث من يبصر الأرضين والضياع فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل وبل! فبعث، فاتخذ ذلك الماء ضيعة فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية وقال العجير السلوي:

على جريه ذو علة ويسير

خلقت جوادا والجواد مثابر

مغل لأطراف الرماح عثور

ولا يسبق الغايات مستسلم الصلا

إذا ابتل من سجم الحميم طحور

ولكن مشيح الركض مستبعد المدى

به ضعف أو في القيام فتور

فلا توزعيني إنما يوزع الذي

إذا ضاف أمر أو أناخ أمير

ولا تزدريني وانظري ما خليقتي

ليوث الشرى سدت بهن ثغور

فإن بني كعب رجال كأنهم

إذا البزل لم يصبح بهن درور

تحلب أيديهم نجيعا ونائلا

نجيعا له تحت اللبان خريز

مروها بأطراف العوالي فأسبلت

كما بالرحا من صاحتين صخور

مقيمين لا تعتاد إلا وجدتهم

لأنني الندى جم الفراغ مطير

إذا غار منهم كوكب ناء كوكب

فأضحى وفيه مورد وصدور

وإن هبطوا بينا أدلوا ترابة

وقال يذم ابن عم له، ويرثي سليم بن زيد السلوي:

الأجبل الشم بعدما
دجا الليل واجتر الجمال القوامح
نهارك مافيه ليان ولا قرى
لعين وأيام ابن زيد صوالح
وذاك ابن عم الصدق أما عطاؤه
فجزل وأما صدره فهو ناصح
وكان شفاء غير داء دنوه
إذا قال لي: قم! قلت: بل أنت فاكفني!
فقام فجلى أبيض الوجه واضح

وقال العجير: وخرج هو وابنه القيل، وكان مسنا، كثير اللحم، فخرجا ماشيين في أمر قطبة ابنة الضحاك أخيه، فأعي القيل وبلد، فذمه العجير ومدح ابنه الآخر، واسمه الفرزدق:

إذا ما لقيت الخاضبات أكفها
عليهن مقصور الحجال المروق
فلا تجعلن القيل إلا لمزرع
رواء ولكن الشجاع الفرزدق
سمين وكان الأسمنون خيارنا
بيوتا وأندابا يدا حين نظرق
هو ابني لغراء الجبين نجبية
تأقت على طهر به غير أحمق
تداعى لها من أكرم الحي نسوة
يطفن بكسرى بيتها وهي تطلق
ولكن لعمرى إن قتلت لألفين
سبطرا كإرسال الرديني أعنق
فجاءت بعاري الساعدين كأنه
من الطير أفني ينفض الطل أزرق
لجوج غداة الفوت حتى كأنه
حصان يلاقي دعة الخيل أبلق

وقال العجير لموسى بن عبد الرحمن بن عبيدة، وأم عبد الرحمن من بني عقيل، وأم العجير، من بني أسان من بني سعد ابن غنم:

ألم تر أن الحي حي مبشر
كفوا غرمهم واستفضل المال حامله
أولئك أخوالي وأخوال ذي القفا
قبيل توقي بالحجاز معاقله

وقال العجير في محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، أخي الحجاج بن يوسف:

فداك النساء الحنف كم من سراق
به البخت والأنباط شهب قنابله
دخلت وأشرف الرجال يروني
على سبط الكفين جم فواضله
على يوسفى لوتناخ ركابه
على البحر أفناه نداه ونائله

وقال في عمر بن عبد العزيز:

الحمد لله حمدا لا شريك له

والحمد لله: أما بعد يا عمر

فأفرج لنا الباب لا تحبس مطيتنا

فإن بابك لاضيق ولا ضرر

والثالث: عبد الله بن همام السلوي: قال، فحدثني يونس بن حبيب وأبو الغراف قالا: كان عبد الله همام، رجلا له جاه عند السلطان ووصله بهم، وكان سريرا في نفسه، له همة تسمو به، وكان عند آل حرب مكينا حظيا فيهم. فكان الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد: أن عبد الله بن همام السلوي قال إلى يزيد بن معاوية، فأنشد شعرا رثى فيه معاوية بن أبي سفيان، وحضه على البيعة لابنه معاوية، فقال:

تعزوا يا بني حرب بصبر

فمن هذا الذي يرجو الخلودا؟

لعمر مناخهن ببطن جمع

لقد جهزتم ميتا فقيدا!

لقد وارى قلوبكم بيانا

وحلما لا كفاء له وجودا

وجدناه بغیضا في الأعداي

حبيبا في رعيتة حميدا

أمینا مؤمنا لم يقض أمرا

فيوجد غبه إلا رشيدا

فقد أضحى العدو رخي بال

وقد أمسى التقى به عميدا

فعاض الله أهل الدين منكم

ورد لنا خلافتكم جديدا

مجانبة المحاق وكل نحس

مقارنة الأيمان والسعودا

خلافة ربكم حاموا عليها

إذا غمرت خنابسة أسودا

تعلمها الكهول المرد حتى

تذل بها الأكف وتستقيدا

إذا ما بان ذو ثقة تلقت

أخا ثقة بها صنعا مجيدا

تلقتها يزيد عن أبيه

وخذها يا معاوي عن يزيدا

فإن عرفت لكم فتلقوها

ولا ترموا بها الغرض البعيدا

فإن دنيا كم بكم اطمأنت

فأولوا أهلها خلقا سديدا

وإن ضجرت عليكم فاعصبوها

عصابا تستدر به شديدا

قال: وأنشده هذا الشعر أيضا:

إننا نقول ويقضي الله مقتدرا

مهما يدم ربنا من صالح يدم

يزيد يا ابن سفيان هل لكم

إلى ثناء ومجد غير منصرم؟

اعزم عزيمة أمر غبة رشد
وأقدر بفائقكم خذها يزيد فقل
إن الخلافة إن تعرف لثالثكم
ولا تزال وفود في دياركم
يزم أمر قریش غیر منتکث
عیشوا وأنتم من الدنيا على حذر
ولا تحلنها في دار غيركم
وأطعم الله أقواما على قدر
ولا لمن سالك الشورى مشاورة
أني تكون لهم شورى وقد قتلوا
خير البرية راعوا المسلمين به
وكان قاتله منكم لمصرعه
أو كالدھيم وما كانت مباركة

قبل الوفاة وقطع قالة الكلم
خذها معاوي لا تعجز ولا تلم
تثبت مراتبها فيكم ولا ترم
يغشون أبلج سباقا إلى الكرم
ولو سما كل قرم منهم قطم
واستصلحوا جند أهل الشام للبهيم
إنني أخاف عليكم حسرة الندم
ولم يحاسبكم في الرزق والطعم
إلا بطعن وضرب صائب خذم
عثمان ضحوا به في أشهر الحرم
ملحبا ضرجت أثوابه بدم
مثل الأحمير إذ قفى على إرم
أدت إلى أهلها ألفا من اللحم

نفسى فداء الفتى في الحرب لزهم
وبارك الله في الأرض التي ضمنت

حتى تدانوا وألهي الناس بالسلم
أوصاله وسقاها باكر الديم

فلم تزل في نفس يزيد حتى بايع معاوية ابنه فعاش أربعين ليلة بعد أن أتته البيعة من الآفاق، ثم مات. فقيل له: أوصه. فقال: ما أحب أن أزودهم الدنيا وأخرج عنها.

وحدثني يونس بن حسان: أن عبد الله بن همام كان يسمع أبا عمرة صاحب شرطة المختار، واسمه كيسان، يذكر الشيعة وينال من عثمان، فقنعه بالسوط. فلما ظهر المختار، كان معتزلاً حتى استأمن له ابن شداد، فجاء إلى المختار، فأنشده شعرا له فيه، يذكره ويذكر أصحابه، فقال:

ألا انتسأت بالود عنك وأدبرت
وحملها واث سعى غير مصلح
فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى
وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى

معالنة بالهجر أم سريع
فأب بهم في الفؤاد وجيع
فليس انتقال خلة ببديع
ويلهيه عن رؤد الشباب شموع

كتائب من همدان بعد هزيع
يقود جموعا عفيت بجموع
بكل فتى حامي الذمار منيع
بأمر لدى الهيجاء جد رفيع
هناك بمخذول ولا بمضيع
وكان أبا حنانة وخشوع
إلى ابن إياس مصحرا لوقوع
وشد بأولاهها على ابن مطيع
وطعن غداة السكتين وجيع
وكان لهم في الناس خير شفيح
بخير إياب آبة ورجوع
فنحن له من سامع ومطيع

دعا: ما لثارات الحسين! فأقبلت
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك
ومن أسد وفي يزيد لنصره
وجاء نعيم خير شيبان كلها
وما ابن شميظ إذ يحرض قومه
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن
وسار أبو النعمان لله سعيه
فكر الخيول كرة أنلقتهم
فولى بضرب يفلق الهام وقعه
فمر وزير ابن الوصي عليهم
فآب الهدى حقا إلى مستقرة
إلى الهاشمي المهتدى بضيائه

فلما أنشدتها المختار قال لأصحابه: قد أثني عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء، فأحسنوا جزاءه. ثم قام فقال: لا تبرحوا حتى أخرج إليكم. فقال عبد الله بن شداد: فإن له عندي فرسا ومطرفا. وقال قيس بن طهفة: فإن له عندي فرسا ومطرفا. وقال ليزيد بن أنس: ما تعطيه؟ قال: إن كان ثواب الله أراد بما يقول، فما له عند الله خير له، وإن اعترى بهذا القول أموالنا، فوالله ما في أموالنا ما يسعه. ثم وقع بينهم كلام شديد، فوثب به بعضهم، فضمه إبراهيم بن الأشتر إلى نفسه، وقال: أنا جار له. فأنتزعه منهم. فقال عبد الله بن همام:

على الكلاب ذو الفعال ابن مالك
بطعن دراك أو بضرب مواشك
طوال الذري فيها عزاز المبارك
لها وقعا في مستحار المهالك
مع ابن شميظ شر ماش وراتك
وما مفتر طاغ كآخر ناسك
وهل أنتم إلا لئام عوارك

أطفأ عني نار كليين ألبا
فتى حين يلقي الخيل يفرق بينها
وقد غضبت لي من هوازن عصبه
إذا ابن شميظ أو يزيد تعرضا
وثبتم علينا يا موالى طامر
وأعظم جبار على الله فريه
كأنهم في العز قيس وخنعم

والرابع: نويفع بن لقيط وتارة كان يقول: نافع فحدثني أبو الغراف قال: كان لنافع بن لقيط امرأة من بني منقذ بن جحوان، تدعى حية، وكان في أخلاقها زعارة، وقد كانا تشارا مرة ثم إن قومها أنفوا من ذلك، فادعوا عليه طلاقا، فقاتلهم حتى كان بينهم جراح، وكان مستخفيا من الحجاج، فقال وهو مستخف:

لم يبق مني الكرى يا أم نافع ولا الروغ في الحلفاء غير المعارف
إذا قيل: هذا فارس! طار طيرة فؤادي وما فزعت من مثل خائف
ولكنما الغاوي إذا سود اسمه بأنفاسه ضيف على السرح واقف

فرفعوا أمره إلى الحجاج، فبعث إليه نفرا، وهو في أجمة الأسود، أجمة خفية، فأحرق عليه في نواحي الأجمة، وقالوا: قد كفتنا الأسود والنار أمره. فأدركهم الليل فانصرفوا، وخلصه الله حتى لحق بقومه بالقنان والعزاف، فتزوج ابنة عمه: جهمة ابنت شيبان بن مرثد فتغنى يوما فقال:

وردت بنارا ملحة فكرهتها بأهلي أهلي الأولون وماليا

قال، وأنشدني أبو الغراف، عن سليمان الجذامي، لنويفع ابن لقيط:

أدوا إلى ميدان عنكم عرسة ودعوا سبابي يا بني عرقوب
إن المخازي قد رثمن أنوفكم رثم الحجارة إصبع المنكوب
لن تهدموا شرفي بلؤم أبيكم ونهاق عير فيكم مكروب

وقال أيضا:

وإياك والظلم المبين إنني أرى الظلم يغشي بالرجال المغاشيا
أتجمع إن كنت ابن تقن فطانة وتغلب أحيانا وتأتي الدواهيا؟!
إذا أنت أكثرت المجاهل كدرت عليك من الأخلاق ما كان صافيا
فلاتك حفارا بظلفك إنما تصيب سهام الغي من كان غاويا
ألا إن آبائي على كل موطن وخال أبي لم يورثوني المخازيا
أباحوا لنا المجد التليد وإنهم لمنبت زندی الفروع الأعاليا

قال: وأنشدني محمد بن أنس الحذلي الأسدي، عن أعراب بني أسد، أنه قال في الحجاج بن يوسف:

لو كنت في العنقاء أوفى عماية ظننتك إلا أن تصد تراني
أسهد من نوم العشاء كأنني سليم يغز الضرو بالنبوان

عليه تميمات كأن فؤاده
 جناحا عقاب دائم الخفقان
 تضيق بي الأرض الفضاء لخوفه
 وإن كنت قد طوفت كل مكان
 وآليت لا آتيك إلا مسالما
 معي منك يا ابن الأكرمين أمانى
 وما العرق كانت لي بدار إقامة
 ولا الجو منها كان لي بمغانى
 أعود بقبري يوسف وابن يوسف
 أخيك وبالقبر الذي بعدان
 سمي نبي الله من أن تتالني
 يداك ومن يغتر بالحدثان!

قال: وكان نويغ من رجالات العرب شعرا ونجدة، وكان ربما أخاف السبيل فأطرده الحجاج لجناية، فلم يزل خائفا.

الطبقة السادسة

من الإسلاميين حجازية، أربعة رهط: عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب ابن ضباب بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي بن غالب، من قريش الطواهر، وإنما نسب إلى الرقيات، لأن جدات له توالين يسمين رقية.
 والأحوص، عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن قيس وهو أبو الأفلح، شهد عاصم بدرًا، وقتل يوم الرجيع، وحتمته الدبر وهو من الأوس.
 وجميل بن معمر بن خيرى بن ظبيان بن حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة.
 ونصيب مولى عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.
 فحدثني يونس حبيب قال: كان عبد الله بن قيس الرقيات أشد قريش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبيري. وكان غزلا، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة. وكان عمر يصرح بالغزل، ولا يهجو ولا يمدح، وكان عبد الله يشب ولا يصرح، ولم يكن له معقود عشق وغزل، كعمر بن أبي ربيعة.
 وكان انقطاعه إلى آل الزبير: فمدح مصعبا وهجا عبد الملك بن مروان وذلك حين يقول:

إنما مصعب شهاب من الله
 تجلت عن وجهه الظلماء
 ملكه ملك قوة ليس فيه
 جبروت ولا له كبرياء
 ينتقي الله في الأمور وقد أف
 لح من كان همه الإتياء

وقال لعبد الملك فيها:

لا تميمين غيرك الأدواء
منا التقى والخلفاء

قد رضينا فمت بدائك غيظا
إن منا النبي الأمي والصدیق

وقال أيضا:

ذكرت قومها قريشا فقالت: راب دهري وأي دهر يدوم
لا يربك الذي ترين فإن الله طب بما ترين عليم
إن يكن للإله في هذه الأمة دعوى يعد عليك النعيم
وتحلى محل آبائك الأخيار بالحجر حيث يلقى الحطيم
بلد تأمن الحمامة فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم
يعني عبد الله بن الزبير.

وقال في مصعب بن الزبير، قبل أن يقتل:

أم زمان من فتننة غير هرج؟
قد أتنا من عيشنا ما نرجى
رك في رأيه الضعيف المزجي
وردت خيله قصور زرنج
تاف يوجفن بين قف ومرج
ترك يأتين بعد عرج بعرج
ساهم الوجه تحت أحناء سرج
لبن البخت في عساس الخننج

ليت شعري أول الهرج هذا
إن يعش مصعب فإنا بخير
ملك يبرم الأمور ولا يش
جلب الخيل من تهامة حتى
حيث لم تأت قبله خيل ذي الأك
أنزلوا من حصونهن بنات ال
كل خرق سيمدع وشنون
يلبس الجيش بالجوش ويسقي

وقال في عبد الملك، لما أخذ عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الأمان له:

فعينه بالدموع تتسكب
لا أم دارها ولا سقب

عاد له من كثيرة الطرب
كوفية نازح محلتها

ثم قال:

أنهم يحلمون إن غضبوا

ما نقموا من بني أمية إلا

وأنهم معدن الملوك فلا
 إن الفنيق الذي أبوه أبو ال
 خليفة الله فوق منبره
 يعتدل التاج فوق مفرقه
 أحفظهم قومهم بباطلهم
 تجردوا يطلبون باطلهم
 قوم هم الأكثرون قبص حصي
 في الناس والأكرمون إن نسبوا

والثاني الأحوص فحدثني أبي، عمن حدثه، أحسبه قال: عن الزهري، قال: كان الأحوص الشاعر يشيب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنين يغنون في شعره، فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك: فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مئة سوط، ويقيمه على البلس للناس، ويسيره إلى دهلك، ففعل به، فتوى بها سلطان سليمان، وعمر بن عبد العزيز: فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فسألوه أن يردده، وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه من قومه، وقد أخرج إلى أرض الشرك فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه، ودار قومه. فقال عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءة
 قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:
 أدور ولولا أن أرى أم جعفر
 قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

سيلقى لها في القلب في مضمحل الحشا
 سريرة حب حين تبلى السرائر

قالوا: الأحوص. قال: إنه يومئذ عنها لمشغول، والله لا أردده ما كان لي سلطان. فمكث هناك بقية ولاية عمر، وصدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك. ثم استخلف يزيد بن عبد الملك، فبينما يزيد على سطح، وحبابة جاريتها تغنيه بشعر الأحوص، إذ قال يزيد: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعيشك ما أدري! قال: وقد كان ذهب من الليل شطره، قال: ابعثوا إلى الزهري، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك. فأتى ابن شهاب الزهري فخرج فخرج فزعا، حتى أتى يزيد. فلما صعد إليه قال: لا بأس عليك، لم ندعك إلا لخير، أجلس. فجلس. فقال: من الذي يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص يا أمير المؤمنين. قال: فما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك! قال: عجبت لعمر بن عبد العزيز كيف أغفله! فأمر بالكتاب بتخيلة

سبيله، وأمر له بأربعمئة دينار. فأقبل الزهري من ليلته إلى ناس من الأنصار، فبشرهم بتخيلة سبيل الأحوص. ثم قدم عليه، فأجازته وأحسن إليه.

وحدثني أبو الغراف، عمن يثق به، قال: بعث يزيد ابن عبد الملك، حين قتل يزيد بن المهلب، إلى الشعراء، فأمرهم بهجاء يزيد وأهل بيته: منهم الفرزدق وكثير والأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدح ما امتدحت بمثله أحدا، وإنه لقبيح بمثلي أن يكذب نفسه على رأس الكبر، فليعفي أمير المؤمنين. فأعفاه. وقال كثير: إني لأكره أن أعرض نفسي وقومي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب. وأما الأحوص فإنه هجاهم. فلما بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي، وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه بزق من خمر، فأدخل منزل الأحوص، ثم بعث إليه خيلا، فدخلوا منزله، فصبوا الخمر على رأسه، ثم أخرجوه على رؤوس الناس، وأتوا به الجراح، فأمر به فحلق رأسه ولحيته، وضربه الحد، يتراوحه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تضرب الحدود!! فجعل الجراح يقول: صدقت! أجل! ولكن لما تعلم.؟ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك بالذي كان من أمره، فأغضى له عليها.

فمما قال الأحوص، قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

أقول بعمان وهل طربي به	إلى أهل سلع إن تشوفت نافع؟
أصاح ألم تحزنك ريح مريضة	وبرق تلالا بالعقيقين رافع؟
فإن الغريب الدار مما يشوقه	نسيم الرياح والبروق اللوامع
نظرت على فوت وأوفى عشية	بنا منظر من حصن عمان يافع
وللعين أسراب تفيض كأنما	تعل بكحل الصاب منها المدامع
لأبصر أحياء بخاخ تضمنت	منازلهم منها التلاع الدوافع
فأبدت كثيرا نظرتي من صبابتي	وأكثر منها ما تجن الأضالع
وكيف اشتياق المرء يبكي صباية	إلى من نأى عن داره وهو طائع؟
لعمر ابنة الزيدي أن أدكارها	على كل حال للفؤاد لرائع
وإني لذكرها على كل حالة	من الغور أوجلس البلاد لنازع
لقد كنت أبكي والنوى مطمئنة	بنا وبكم من علم ما البين صانع

كما ثبتت في راحتين الأصابع
رفاق إلى أهل الحجاز نوازع
إمام دعانا نفعة المتتابع
حسام جلت عنه الصياقل قاطع
إليه انتهت أحسابها والدسائع
وكل عزيز عنده متواضع
لغيث حيا يحيى به الناس واسع

وقد ثبتت في الصدر منها مودة
أهم لأنسى ذكرها فيشوقني
إنا عدانا عن بلاد نحبها
أغر لمروان وليلي كأنه
هو الفرع من عدي مناف كليهما
فكل غني قانع بفعاله
هو الموت أحيانا يكون وإنه

وهو الذي يقول:

كالشمس لا تخفي بكل مكان
إلا تشرفني وترفع شأنني
تخشى بوادره على الأقران

إني إذا جهل اللثام رأيتني
ما من مصيبة نكبة أمني بها
فتزول حين تزول عن متخبط

وحدثني أبي، سلام بن عبيد الله قال: بلغني أن مسلمة بن عبد الملك قال ليزيد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين! ببابك وفود الناس، وتقف ببابك أشراف العرب، فلا تجلس لهم! وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز! وقد أقبلت على هؤلاء الإماء! قال: أرجو أن لا تعاتبني على هذا بعد اليوم. فلما خرج مسلمة من عنده، استلقى على فراشه، وجاءت حباة جاريتيه فلم يكلمها، فقالت: ما دهاك عني؟ فأخبرها بما قال مسلمة وقال: تنحى عني حتى أفرغ للناس. قالت: فأمتعني منك مجلسا واحدا، ثم أصنع ما بدا لك. قال: نعم. فقالت لمعبد: كيف الحيلة؟ قال: يقول الأحوص أبياتا وتغني فيها. قالت: نعم. فقال: الأحوص:

فقد غلب المحزون أن يتجلدا
فكن حجرا من يابس الصخر جلدا
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبأ
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي

فغنى فيه معبد وقال: مررت البارحة بدير نصارى، وهم يقرأون بصوت شج، فحكيتيه في هذا الصوت. فلما غنته حباة هذا الصوت، قال: لعن الله مسلمة! صدقت، والله لا أطيعهم أبدا. ومن قوله أيضا:

ألم وببش دون سلمى وكبكب

أمن آل سلمى الطارق المتأوب

فكدت اشتياقا إذ ألم خيالها
ويوما بذى بيش ظللت تشوقا
أتحت لنا إحدى كلاب بن عامر
بأرض نأى عنها الصديق وغانني
وما هربت من حاجة نزلت بها
أقامت ببيش في ظلال ونعمة
غريب نأى عن أرضه وسمائه
أبوح ويبدو من هواي المغيب
لعينيك أسراب من الدمع تسكب
وقد يقدر الحين البعيد ويجلب
بها منزل عن طية الحي أجنب
ولكنها من خشية الجرم تهرب
لها قيم يخشى الجرائر مذنب
ليحیی وطول

أخبرنا أبو غانم قال، أخبرنا أبو خليفة قال، حدثني محمد ابن سلام قال، حدثني محمد بن أبان: أن الأحوص بن محمد الشاعر، كان يهوى أخت امرأته، ويكتم ذلك، وينسب بها ولا يفصح باسمها، فتزوجها مطر، فبلغه الأمر، فأنشأ يقول:

أن نادى هديلا ذات فلج
ظللت كأن دمك در سلك
تموت تشوقا طربا وتحي
كأنك من تذكر أم حفص
صريع مدامة غلبت عليه
وأنى من ديارك أم حفص
أحل النعف من أحد وأدنى
سلام الله يا مطر عليها
ولاغفر الإله لمنكحها
كأن المالكين نكاح سلمى
فإن يكن النكاح أحل شيئا
فلو لم ينكحوا إلا كفيا
فطلقها فلست لها بأهل
مع الإشراف في فنن حمام
هوى نسقا وأسلمه النظام
وأنت جو بدائك مستهام
وحبل وصالها خلق رمام
تموت لها المفاصل والعظام
سقى بلدا تحل به الغمام!
مساكنها الشبيكة أو سنام
وليس عليك يا مطر السلام
ذنوبهم وإن صلوا وصاموا
غداة يرومها مطر نيام
فإن نكاحها مطر حرام
لكان كفيها ملك همام
وإلا عض مفرك الحسام

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن سالم بن أبي السمحاء - وكان صاحب حماد الراوية -: أن حماداً كان يقدم الأحوص في النسب.

الثالث: جميل بن معمر. فحدثني أبو الغراف، عن الأخيل ابن أبي الأخيل قال، حدثني أدهم التميمي قال: لقيني كثير عزة فقال: لقيني جميل بن معمر في هذا الموضع الذي لقيتك فيه فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة، أعني أبا بئينة. ثم قال لي: وإلى أين تريد؟ قلت: إلى الحبيبة، أعني عزة. قال: لا بد من أن ترجع عودك على بدئك، فتستجد لي موعداً. قلت: فإن عهدي بأبيها الساعة وأنا أستحي. قال: لا بد من ذلك. قلت: فمتى عهدك بهم؟ قال: بالدوم، وهم يرحضون ثيابهم. فأتيت أباهما، قال: ما ردك يا ابن أخي؟ قلت: أبيات عرضت، أحببت أن أعرضها عليك. قال: هات. فأنشدته:

فقلت لها: يا عز! أرسل صاحبي

على نأي دار والموكل مرسل

بأن تجعلني بيني وبينك موعداً

وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وأخر عهد منك يوم لقيتني

بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت بئينة جانب الخدر وقالت: احسأ، احسأ! قال أبوها: مهيم يا بئينة؟ قالت: كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية. قال: فأتيته، فأخبرته أنها قد وعدته إذا نوم الناس من وراء الرابية. ومن قوله:

ما من قرينة آلف لقرينة

إلا لجلب قرينها إقصار

وإذا أردت ولا يخونك كاتم

حتى يشيع حديثك الإظهار

كتمان سرك يا بئين وإنما

عند الأمين تغيب الأسرار

ومن قوله:

ويحسب نسوان من الحي أنني

إذا جئت إياهن كنت أريد

فأقسم طرفي بينهن فيستوي

وفي الصدر بون بينهن بعيد

ألا ليت شعري! هل أبيتن ليلة

بوادي القرى؟ إني إذا لسعيد!

وهل ألقين سعدي من الدهر مرة

وما مر من عصر الشباب جديد؟

ومن يعط في الدنيا قرينا كمثلها

فذلك في عيش الحياة رشيد

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها

ويحيى إذا فارقتها فيعود

ومن قوله:

وكننا إذا ما معشر جحفوا بنا

ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة
ترى الناس ما سرنا يسبيرون خلفنا
وسوف نوفيها إذا الناس طففوا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فشد الفرزدق على هذا البيت وقال: أنا أحق به، وقال: لا تعد فيه. فلم يكثر له:

برزنا وأصحرنا لكل قبيلة
فأي معد كان فيء رماحه
بأسيافنا إذ يؤكل المتضعف
ونحن منعنا يوم أود ذمارنا
وكما قد أفأنا والمفاخر منصف
ونحن حمينا يوم مكة بالقنا
قصيا وأطراف القنا تتقصف
فحطنا لهم أكناف مكة بعدما
أرادت بها ما قد أبى الله خذف

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان:

إلى القرم الذي فانتت يدها
إذا ما أغلى الحمد اشتراه
بفعل العرف سطوة من ينيل
أمين الصدر يحفظ ما تولى
فما إن يستقيل ولا يقيل
أبا مروان أنت فتى قريش
بما يكفي القوى به النبيل
توليه العشيرة ما عناها
وكهلهم إذا عد الكهول
فلا ضيق الذراع ولا بخيل
إليك تشير أيديهم إذا ما
رضوا أو غالهم أمر جليل
وكل فعاله حسن جميل
غابك في الذؤاية من قريش
بناة المجد والعز الأثيل
أروم ثابت يهتز فيه

والرابع نصيب مولى عبد العزيز بن مروان، فحدثني أبو الغراف قال: مر جرير بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك! - وكان نصيب أسود - فقال: وجلدتك يا أبا حزررة! وحدثني أبو اليقظان قال، حدثني حويرية بن أسماء قال: قلت لنصيب مولى عبد العزيز: يا أبا محجن: من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. فقلت: ثم من؟ قال: ابن يسار. فلقيت إسماعيل بن يسار فقلت: من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: نصيب. قلت: إنكما لتقارضان الثناء! قال: وما ذاك؟ قلت: لقت نصيبا فقال فيك ما قلت فيه! قال: إنه لشاعر والله

كريم ولا أظنه إلا بدأ بـابن يسار قبل نصيب.
فمن قوله:

لديه فأضحى وهو أسوان معدم
على النأي مني غير ذنبي تنقم
إليها فتجزيني به حيث أعلم
وحاول صرما لم يزل يتجرم

حريب أصاب المال من بعد ثروة
فإن تك ليلي العامرية أصبحت
فما ذاك من ذنب أكون اجتنبته
ولكن إنسانا إذا مل صاحباً

وقال أيضا:

وهذا الشيب أصبح قد علاني!
إلى داعي الشباب إذا دعاني!
من الدنيا فلا يغررك فإني
وصبح نهاره يتداولاني
أدب على القناة لأبلياني

وكيف يقودني كلف بسعدي
وودعني الشباب وكنت أسعى
فإن يفن الشباب فكل شيء
ولو أني بقيت لمسى ليل
صحيحاً لا ألقى الموت حتى

وقال يذكر الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز:

فراط مكرمة كانوا لنا قدما
قود الجنائب خضعا تتبع الخزما
حق وإن نسبوا فالقوم من كرما
في الخرق لابساً أعلامها قتما
مرت أخذن بنا من بعد علما
قد باشرت بعد غرب الجدة الخدما

في قرى مجد وجدت له
ملك تقود الناس كلهم
بلادا أن يصاب به
ستعمل الأنضاء دائبة
قن مروق النبل من علم
أنتك بنا خوصاً مقدمة

ومن قوله أيضا:

روائع شيب هز عته عواسله

الصبا والرأس قد ظهرت به

أخ لك إن طالت حياتك عاذلة

الشباب فإنه

لبستهما حيناً وعادت مبادلة

ثوبية الجديدين بعدما

وقال أيضا:

أيقظان أم هب الفؤاد لطائف
سرى من بلاد الغور حتى اهتدى لنا
ونحن قريب من عمود سواده
بنجد وما كانت بعهدي رجيلة
ولا ذات فكر في سرى الليل فاطمه
فو الله ما من عادة لك في السري
سريت ولا أن كنت بالأرض عالمه
ولكنما مثلت ليلا لذي الهوى
فبت صديقا ثم فارقت سالمه
فيالك ذا ود ويالك ليلة
تجلت وكانت بردة العيش ناعمه
بدائي وما الدنيا لحي بدائمه
فلو دمت لم أملل ولكن تركنتي
وليلتنا إذ النوى متلائمه
وذكرتني أيامنا بسويقة

الطبقة السابعة

من الإسلاميين أربعة رهط: المتوكل الليثي، ويكنى أباجهمه: وهو المتوكل بن عبد الله بن نمشل بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وكان كوفيا، وكان في عصر معاوية.
والثاني يزيد بن ربيعة بن مفرغ بن مصعب الحميري.
والثالث: زياد الأعجم، وهو زياد بن سليم العبدي.
والرابع عدي بن الرقاع، وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عدة بن شعل بن معاوية بن قاسط بن عميرة ابن زيد بن الحاف بن قضاة.
فحدثني أبي سلام، عن حدثه قال: كانت رهميم، امرأة المتوكل، أقعدت فسألته الطلاق، فقال: ليس ذا حين طلاق! فأبت عليه، فطلقها، فبرأت بعد الطلاق، فقال يذكرها:

قفي قبل التفرق يا أماما
وردي قبل بينكم السلاما
سعى الواشون حتى أز عجوها
ورث الحبل فانجذم انجذاما
فلمست بزائل ما دمت حيا
مسرا من تذكرها هياما
ترجيتها وقد شحطت نواها
ومنتك المنى عاما فعاما!
خدلجة لها كفل وبوص
ينوء بها إذا قامت قياما
صليني وأعرفني أني كريم
وأن حلاوتي خلطت سماما

خلقت لمن يضارسني لجاما
تجاور هامتي في القبر هاما

وأني ذو محافظة صليب
فلا وأبيك لا أنساك حتى

ومن قوله أيضا:

فبيبن عفا سره مكتوم
شفقا من التعجيز وهو مليم
وعلى للخصم الألد خصيم
مولاهم المتهضم المظلوم
عمدا فأنت الواهن المذموم
إن السفية معنف مشتوم
وخليقة إن الكريم قؤوم
عار عليك إذا فعلت عظيم
والمحصنات فما لذاك حريم
إني أمامك في الأنام قديم
ويقل مال المرء وهو كريم

أرعى الأمانة للأمين بحقها
وأشد للمولى المدفع ركنه
ينأى بجانبه إذا لم يفتقر
إن الأدلة واللثام معاشر
وإذا أهنت أخاك أو أفردته
لا تتبع سبل السفاهة والخنا
وأقم لمن صافيت وجها واحدا
لاتته عن خلق تأتي مثله
وإذا رأيت المرء يقفو نفسه
ومعيري بالفقر قلت له اقتصد
وقد يكثر النكس المقصر همه

قال: كان رجل من بني حشم يقال له: الهذيل بن حية صديقا لأبي المتوكل، ثم جفاه قليلا فقال المتوكل:

فإني لم أخنك ولم تخني
رأيتك قد طويت الكشح عني
قلبت لصرمه ظهر المجن
أدين عليهم وأدين مني
على شيء إذا لم يأتمني

ألا أبلغ أبا قيس رسولا
ولكني طويت الكشح لما
وكنت إذا الخليل أراد صرمي
كذاك قضيت للخلان إني
ولست بأمن أبدا خليلا

وقال:

وأذاك ما يتحدث الأكفاء
رزق الأسنة والحصون فضاء
ويموت أقوام وهم أحياء

ولقد علمت لو أن علمي نافع
الذين حصونهم
إنا أناس تستتير جدودنا

ول المجتتى
 اخ سوابقا
 معتقيهم مرحبا
 على المضاف إذا دعا
 بيض كأن شعاعها
 قد يعلم الأقوام غير تتحل

ودعائم الإسلام والنجباء
 زرق القنير كأنهن نهاء
 مع ذلك فيهم قوة ووفاء
 حتى ينفس والرماح رواء
 تحت العجاجة بالأكف ضياء
 أنا نجوم فوقهم وسماء

والثاني: يزيد بن مفرغ الحميري، فحدثني يونس ابن حبيب: أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ كان رجلا من أهل يصب و كان عديدا لبني أسيد بن أبي العيص بن أمية، من أهل البصرة و كان رجلا شريرا هجاء للناس. فصحب عباد بن زياد - وعباد يومئذ على سجستان -، عامل عبید الله بن زياد، وعبید الله يومئذ على البصرة دون الكوفة، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فهجا ابن مفرغ عبادا، فبلغه ذلك. و كان على ابن مفرغ دين، فأمر عباد الديان فاستعدوا عليه، فبيع ماله في دينه، ففضى الديان. و كان فيما بيع غلام يقال له برد، و جارية يقال لها أراكه فقال ابن مفرغ:

أفقرت من آل ليلي الهضاب
 منزل منا ومن آل ليلي
 داركم دار لنا إن سلمنا
 أيها الشاتم جهلا سعيدا
 ما أبوكم مشبها لأبيه
 إن دهرا كنت فيه أميرا

وعفى بعد الأنيس الجنباب
 إذ خيام دارهم و قباب
 وانقضى الغزو و حان الإياب
 وسعيد في الحوادث ناب
 سائلوا الناس بذاكم تجابوا
 تخطب الناس لدهر عجاب

وسعيد هذا الذي ذكره في شعره: سعيد بن عثمان بن عفان، و كان عاملا لمعاوية على خراسان، و كان دعا يزيد بن مفرغ أن يصحبه، فأبي عليه و صحب عباد بن زياد. و قال ابن مفرغ أيضا لعباد بن زياد:

أصرمت حبلك من أمامة
 لهفي على الرأي الذي
 تركي سعيدا ذا الندى

من بعد أيام برامه؟
 كانت عواقبه نداه!
 والبيت ترفعه الدعامة

وتبعت عبد بني علا
جاءت به حبشية
من نسوة سود الوجو
وشريت بردا لييتي
هامة تدعو صدى
العبد يقرع بالعصا
والريح تبكي شجوها
ورمقتها فوجدتها

ج تلك أشرط القيامة!
سكاء تحسبها نعامه
ه ترى عليهن الندامة
من بعد برد كنت هامه!
بين المشقر واليامة
والحر تكفيه الملامة
والبرق يلمع في الغمامه
كالضلع ليس له استقامه

ثم أقبل ابن مفرغ حتى قدم البصرة، وكان عبيد الله وافدا على معاوية، فعرف ابن مفرغ الذي أثر في بني زياد، فأتى الأحنف ابن قيس التميمي فقال: أجزني من بني زياد. فقال: لا أحسر عليهم، ولكني أكفيك شعراء بني تميم أن يهجوكم. فقال: أما هذا فلا أريد أن تكفينيه: فأتى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال له: أجزني. فوعده. وأتى عمر بن عبيد الله بن معمر، فوعده. وأتى طلحة الطلحات فوعده. وأتى المنذر بن الجارود، فأجاره. وبلغ عبيد الله الذي كان من هجاء ابن مفرغ عبادا، وهو عند معاوية، فقال: إن ابن مفرغ قد هجانا، فأذن لي في قتله. قال: أما قتله فلا، ولكن ما دون القتل. فلما قدم عبيد الله البصرة، لم يكن له همة إلا ابن مفرغ. فسأل عنه، فقيل: أجاره ابن الجارود، وهو في داره. فأرسل إلى المنذر فأتاه، فلما دخل عليه أرسل عبيد الله الشرط إلى دار المنذر، فأخذوا ابن مفرغ، فأتوا به عبيد الله بن زياد، فلم يشعر المنذر حتى رآه واقفا عليه وعلى عبيد الله. فقام إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال: أجرته! فقال عبيد الله: يا منذر، ليمدحن أباك وليهجون أبي، وليمدحنك وليهجوني، ثم أرضى بذلك! قال: فخرج المنذر من الدار، وحبس ابن مفرغ، وأسلم إلى الحجامين ليعلموه الحجامه فهو الذي يقول:

وما كنت حجاما ولكني أحلني
وقال يهجو الذين أجاروه ثم خفروا:
غدرت جذيمة غدره مذكورة
طوق الحمامة يعرفون بها ضحى

سائل بني الجارود أين نزيلهم
لا يبعد الجار الذي أسلمتموا
أغدا مع الغادين يوما أو ثوى
زين المجالس والفتى كل الفتى

لعن الثلاثة منذر وابن استنها
وأمية الكذاب قال مقالة

وطليحة الداعي جهارا للردى
كانت منى منه وما تغني المنى !

وقال أيضا:

تركت قريشا أن أجاور فيهم
أناس أجاروني فكان جوارهم
فأصبح جاري من جذيمة نائما

وجاورت عبد القيس أهل المشقر
أعاصير من فسو العراق المبذر
ولا يمنع الجيران غير المشمر

وقال في عبيد الله بن زياد:

إن العبيد وما أدت طروفته
بزندورد خذوا منها مساحيكم
أنتم قريش لئن لم تخب ناركم
قد يقتل المرء لم يسلم حليلته
ولم يذر أمه في الدار والهة

لأعبد من زوان لا يصلونا
واستبدلوا بالمأزير التبا بينا
موتوا فإن قريشا قد يموتونا
ولم يقل لابنتيه: استعرضا البينا
قد استجار لها إذ هم يجارونا!

والثالث: زياد الأعجم، وكان زياد رجلا هجاء قليل المدح للملوك والوفادة إليهم. ولم تكن له همة تدعوه، وكانت همته ومركزه بخراسان وما يليها، وكان أكثر نزوله بإصطخر من أرض فارس، وكان يهاجي كعبا الشقري شقرة بني تميم. وكان صاحب بديهة وقدرة في الشعر.

فحدثني أبو الغراف: أن خالد بن عبد الله القسري قال للأقيشر التميمي: أي الناس أسرع بديها؟ قال: أنا، أصلحك الله. قال: فأين زياد الأعجم؟ قال: والله لوددت، أنه بيني وبينك! فكتب خالد إلى أسد بن عبد الله، وزياد عنده بخراسان: أن وجهه إلي. فلما قدم جمع بينهما، فقال: يا أبا أمامة، زعم هذا أنه أسرع بديها منك! قال: إن شاء فليبدأ، وإن شاء بدأت. فقال: هات يا أبا أمامة! فأطرق غير طويل ثم أنشأ يقول:

ألم تر أنني وثررت قوسي
عوى فرميته بسهام موت
وكننت إذا غمزت قناة قوم

لأبقع من كلاب بني تميم
يصبين عوادي الكلب اللئيم
كسرت كعوبها أو تستقيم

ثم قال: هات يا أقيشر! فأطرق طويلا ثم قال: خنقت..... فأعطى زيادا وحباه.

وقال زياد:

وما ترك الهاجون لي إن هجوته
ولا تركوا الحما يرى فوق عظمه
صأكسر ما أبقوا له من عظامه
وإنأ وما تهدي لنا هجوتنا
مصحا أراه في أديم الفرزدق
لأكله أبقوه للمعترق
وأنكت مخ الساق منه فأننتقي
لكالبحر مهما يلقي في البحر يغرق

قال: وحدثني أبي سلام قال، حدثنا بعض أصحابنا: أن زيادا أتى عبد الله بن الحشرج الجعدي، وهو على قهستان، فأجازه بثلاثين ألفا، فقبل له: ترحل، فإنه إن احتاج إليها أخذها. وقالوا له: إنه قد كان يعطي الرجل، فإذا نابتة نائبة أخذ ما أعطاه، فإذا أتاه مال رد عليه. فخرج زياد ولم يسلم عليه، ففقده وسأل عنه فقال: ما فعل زياد؟ فقالوا: خرج. فأرسل غلاما له بفرو، فقال: الحقه فقل له: البس هذا الفرو لا تقرأ! فلحقه الغلام فدفعه إليه، فقال زياد:

نبأنتني أن عبد الله منتزع
كذبت لم تغذه سوداء مقرفة
إلا بألبان حور كالدمى شمس
وقال يهجو بني يشكر:

ألم تر أن اللؤم حل عماده
إذا ما رأيت الخز فوق ظهورهم
وقال يهجو جرما:

تكلفني سويق الكرم جرم
فما شربوه إذ كانت حلالا
فأولى ثم أولى ثم أولى
ولما نزل التحريم فيها
وما جرم وما ذاك السويق
ولا غالوا بها يوم سوق
ثلاثا يا ابن جرم أن تذوقي
إذا الجرمي عنها لا يفيق
وقال أيضا:

إني لأكرم نفسي أن أكلفها
هجا جرم وما يهجوهم أحد
ماذا يقول لهم من كان هاجبهم؟
وقال الأعجم يهجو بني يشكر:

لو أن بكرا براه الله راحلة

لكان يشكر منها موضع الذنب

ليسوا إليه، ولكن يعلقون به

كما تعلق راعي النخل بالكرب

الرابع: عدي بن الرقاع العاملي، فحدثني أبو الغراف قال: لما أتت الخلافة سليمان بن عبد الملك، أتته وهو بالسبع، فكتب إلى عامله: أن أبعث إلى عدي بن الرقاع في وثاق مع ثقة، فوجهه إليه. فلما دخل عليه قال: إن كنت لكارها لخلافتي! قال: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: حين تقول في مدحة الوليد:

عدنا بذى العرش أن بنقى ونفقده

أو أن نكون لراع بعده تبعا

قال ابن الرقاع: والله ما هكذا قلت، يا أمير المؤمنين، ولكني قلت:

عدنا بذى العرش أن نبقى ونفقدهم

أو أن نكون لراع بعدهم تبعا

قال: وكذلك قلت؟ قال: نعم. قال: فكوا حديده، وردوه على مركبه إلى أهله. وإنما كان يخص بتلك المدحة الوليد.

وحدثني أبي سلام قال: قام روح بن زنباع الجذامي يوم الجمعة إلى يزيد بن معاوية، حين فصل بين الخطبتين، فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا بإخوتنا، فإننا قوم معديون، والله ما نحن من قصب ولا من غاف - شجر اليمن -، فألحقنا بإخوتنا. فقال يزيد: إن أجمع على ذلك قومك، فنحن جاعلوك حيث شئت. فبلغت الدعوى عدي بن الرقاع فقال:

إنارضيها وإن غابت جماعتنا

ما قال سيدنا روح بن زنباع

يرعى ثمانين ألفا كان مثلهم

مما يخالف أحيانا على الراعي

فبلغ ذلك ناتل بن قيس الجذامي، فجاء يركض حتى دخل المقصورة، فقال: أين جلس الفاجر الكاذب روح بن زنباع؟ فأشاروا له إلى مجلسه، فانتظر يزيد، حتى إذا كان عند فصل خطبته قام فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن روح بن زنباع قام فزعم أنه من معد، وذلك ما لا نعرفه ولا نقر به، ولكننا من قحطان، يسعنا ما وسع قحطان، ويعجز عنا ما يعجز عنهم، فبلغ ذلك ابن الرقاع فقال:

لو أن أطعتك يا غرار كسوتني

في كل مجمعة ثياب صغار

أضلال ليل ساقط أكنافه

في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له

وأبو خزيمة خندف بن نزار

أنبيع والدنا الذي ندعى له

بأبي معاشر غائب متواري

تلك التجارة لا نجيب لمثلها

ذهب يباع بآنك وأبار!

فقالوا: غيرت يا ابن الرقاع! فقال: إنه والله أعزهما سخطا - يعني ناتلا - .

وحدثني يونس النحوي قال: استسقى ابن الرقاع بني بحر، من بني زهير بن جناب الكلبيين، فلم يسقوه، وهو على ماء لهم يقال له الدمعانة، فورد على بني تغلب ماء يقال له خالة، وفيه جفر يقال له القيني. فكانت بنو تغلب قد رعت فيه، فوقع قعب في القيني، فرعم أنه وجد في التراب القعب، فاقتلت في ذلك الجفر بنو تغلب حتى كادت تتفان. ثم اصطلحوا على أن ملأوه حجارة وقتادا، واحتفروا حوله. فموضع القيني من خالة معروف يقال لما حوله القينيات فقال ابن الرقاع:

غابت سراة بني بحر ولو شهدوا
يوما لأعطيت ما أبغى وأطلب
لما دفعت إلى الماحوز قلت له:
هل أنت مفتعل خيرا ومحتسب
إذا خطيت قضى منا مقالته
ثنى بأخرى خطيب فاصل أرب
حتى وردنا القينيات ضاحية
في ساعة من نهار الصيف تلتهب
فجاء بالبارد العذب الزلال لنا
ما دام يمسك عودي دلونا الكرب
من ماء خالة جياش بجمته
مما توارثه الأوحاد والعتب

العتب، يريد عتبة بن سعد، وعتاب بن سعد، وعتبان ابن سعد. والأوحاد: عوف وكعب، ابنا سعد، من بني تغلب.

وقال يمدح عبد الملك بن مروان، ويهجو مصعب ابن الزبير:

لعمرى لقد أصحرت خيلنا
بأكناف دجلة للمصعب
وجرت سنايكها بالعرا
ق حتى تركناه كالمشجب
وردنا الفرات وخابوره
وكانا هما ثقة المشرب
على كل ريق ترى معلما
يصرف كالجمل الأجرب
لضاحية الشمس في رأسه
شعاع تالألأ كالكوكب
إذ ما منافق أهل العرا
ق عوتب ثمت لم يعتب
دلفنا إليه بذى تدرأ
قليل التققد للغيب
يقومنا واضح وجهه
كريم المضارب والمنصب
أغر يضيء لنا نوره
إذا ما انجلت غمرة الموكب

رواقا من النقع لم يطنب
ومن ينصر الله لا يغلب

تظل القنابل يكسونه
أعين بنا ونصرنا به

وقال أيضا:

بون كذاك تفاضل الأشياء
جود وآخر ما وجود بماء
ويلف بين تباعد وتناهي
ويموت آخر وهو في الأحياء

والقوم أشباه وبين حلومهم
كالبرق منه وابل متتابع
والدهر يفرق بين كل جماعة
والمرء يورث مجده أبناءه

وقال أيضا:

قلم أصاب من الدواة مدادها
قفرا تربب وحشة أولادها
غر السحاب به الثقال مزادها
وتباعدت عني اغتفرت بعادها
من ضغنها سئم القرين قيادها
حتى علا وضح يلوح سوادها
لي جاعلا إحدى يدي وسادها

ترجي أغن كأن إبرة روقه
ركبت به من عالج متخيرزا
بمجر مرتجز الرواعد بعجت
إني إذا ما لم تصلني خلة
وإذا القرينة لم تزل في نجدة
إما ترى شيبتي تفشغ لمتي
فلقد تبيت يد الفتاة وسادة

الطبقة الثامنة

من الإسلاميين، أربعة رهط: عقيل بن علفة المري.
وبشامة بن الغدير المري، أحد بني سهم بن مرة.
وشبيب بن البرصاء واسمه شبيب بن زيد بن حمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة، وأمه البرصاء
بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة.
وقراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزي بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة.
قال: فحدثني أبو عبيدة: أن يزيد بن عبد الملك خطب إلى عقيل بن علفة ابنته وقال: زوجني، فلست
بواجد في قومي مثلي. قال عقيل: بلى والله، لأجدن في قومك مثلك، وما أنت بواجد في قومي مثلي.

فحبسه، فضرب عقيل كتف ابنه وقال: زوجه يا بني، فأنت أحق بالأمة مني! فزوجه أم عمرو بنت عقيل.
فلما أهداه عقيل، تمثل جثامة بن عقيل فقال:

أعذر لاهينا ويلحين في الصبا!
وهل هن والفتيان إلا شقائق؟

فرماه عقيل بسهم وقال: تمثل بهذا عند بناي! فخرج جثامة مراغما لأبيه، فأتى يزيد بن عبد الملك. فكتب عقيل إلى يزيد: إنه أذاك أعق خلق الله. وكان يزيد قد أعطاه وحباه، فأخذ ذلك منه وحبسه.
وحدثني أبو عبيدة قال: كان علفة بن عقيل بن علفة هوى امرأة من قومه من بني مالك بن مرة وهويته، فأراد أن يتزوجها، فخطبها أبوه فتزوجته. فأقامت عنده حيناً، ثم إن قومها ادعوا عليه طلاقاً، فهرب بها إلى الشام، فقال في ذلك علفة بن عقيل بن علفة:

لعمري لئن كانت سلافة بدلت
من الرملة العفراء قفلاً تزاوله
ونوحا يغنيها دوين حمامة
إذا هي ضجت بزله وجوازه

قال: وخرج عقيل ومعه بنوه: علفة، وعملس، وجثامة، وابنته الجرباء، حتى إذا كانوا بجانب دومة الجندل، تغنى علفة بن عقيل فقال:

قفي يا ابنة المري نسألك ما الذي
تريدين فيما بيننا إنه سهل
نخبرك إن لم تتجزي الوأى أننا
ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا
وإن شئت لم يفن التكارم والبذل
ونسألك ما تغني عن الجاهل المنى؟
وهل يستقيدن الجنيب ولا حبل

فعدا عليه أبوه بالسيف وقال: يا عدو الله، ما هذه المرية؟ واتهمه بامرأته وقال: تشب بأملك؟ فكلمه أخوه، فحمل عليهما، ويرميه عملس بسهم في فخذه فصرعه، فقال عقيل:

إن بني رملوني بالدم
شنشنة أعرها من أخزم

من يلق أحدات الرجال يكلم وقال عقيل بن علفة يهجو بني بدر بن عمرو:

إذا جارة حلت على الهجم لم تجد
كريما ولم تعدم لئىما يزورها
ألم تر بدرا لا تمناني دماءهم
دماء ولم يعقد لجار مجيرها

أتقصر عن باع الكرام أكفها
وتبلغ أنصاف المخازي أيورها

وحدثني أبو عبيدة: أنه كان لعقيل بن علفة نديم من بني كلاب، يقال له غثراء وكان عقيل يسمر عند عبد الملك، فأصاب وجه عقيل أثر، فترك إتيان عبد الملك، فبعث إليه فأتاه، فرأى ما بوجهه، فقال: ما هذا بوجهك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا والله إلا أنني اشتهيت اللبن فقممت إلى الفلانية، - ناقة له - لأجلها، فزبتني.

فقال عبد الملك: أشهدك غثراء؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لقد ذهبت مذهبا، وظننت ظنا سائلك عنه. قال: أنا أسئل عنه أم من عمله يا ضب؟ وحدثني أبو عبيدة أنه قيل لعقيل بن علفة: والله ما نراك تقرأ شيئا من كتاب الله! قال: بلى والله، إني لأقرأ. قالوا: فاقرا. فقال: إنا بعثنا نوحا - وقيل: ما قال: إنا فرطنا نوحا - فقالوا: قد والله أخطأت! قال: فكيف تقولون؟ قالوا: إنا أرسلنا نوحاً. فقال: أرسلنا وبعثنا أشهدكم أنكم تعلمون أنهما سواء، ثم قال:

كلا جانبي هرشى لهن طريق

خذا صدر هرشى أو قفاها فإنه

وقال يرثي ابنه علفة بن عقيل:

محللة بعد الفتى ابن عقيل

لتمض المنايا حيث تشئن فإنها

فحل الموالي بعده بمسيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة

وكان عقيل بن علفة زوج ابنته الجرباء يحيى بن الحكم ابن أبي العاص: فطلقها يحيى، فأقبل إليها عقيل، ومعه ابنه العملى وحزام، فحملها فقال في ذلك:

على عرض ناطحنه بالجمام

قضت وطرا من دير يحيى وطالما

نشأوي من الإدلاج ميل العمائم

فأصبحن بالموماة ينقلن فتية

ثم قال: أجز يا حزام، فأرتج عليه، فقالت الجرباء:

عقارا تمشى في المطا والقوائم

كأن الكرى يسقيهم صرخدية

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! ثم شد عليها بالسيف، فطرح حزام نفسه عليها، فضر بها فأصاب حزاما.

وحدثني أبو عبيدة: أنه كان لعقيل جار من بني سلامان، فخطب إليه، فأخذه فقطمه ودهن استه بشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكلن خصيه، فخلاه، وقال له: يخطب إلى عبد الملك فأرده، وتخرى على! ثم إنه بعد ذلك ورد وادي القرى، فثار بنو حن بن ربيعة، فعمقروا به، فقال في ذلك:

وما لعبت حن بذى حسب قبلي

لقد عقرت حن بنا وتلعبت

وتنشر الأنعام في بلد سهل

رويد بني حن تسيحوا وتأمنا

وحدثني أبو عبيدة: أن عقيل بن علفة جاور جذاما، فبينما هو ذات يوم بفنائمه، إذا آتته جماعة منهم فخطبه إليه، فقام يسعى حتى صعد شرفا، ثم رمى بصره إلى الحجاز، ثم عوى عواء الكلب، فقالوا: والله لقد جن! فانصرفوا. فقالت ابنته: يآبه، إنه والله ما أنت ببلاد غطفان حيث تقول ما أحببت لا تخاف أحدا، وإني أخاف أن يغتالك القوم، فالحق ببلادك. فعرف ما قالت: فلما أمسى قرب رواجه وانصرف إلى قومه، وقال عقيل:

ألا ليت شعري هل أشنن غارة
بغضيان أو وادي تبوك المصوب
وهل أشهدن خيلا كأن غبارها
بأسفل علكد دواخن تتضب
تصب على رمص كأن عيونهم
فقاح الدجاج في الودي المعصب

والثاني: بشامة بن الغدير بن عمرو بن ربيعة بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف.
قال محمد بن سلام الجمحي، فحدثني أبو عبيدة: أن بشامة ابن الغدير كان كثير المال، وكان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها.
وكان قد أقعد، فلما حضره الموت، ولم يكن له ولد، قسم ماله بين إخوته وبني أخيه وأقاربه، فقال له زهير بن أبي سلمى وهو ابن أخته: ماذا قسمت لي يا خاله؟ قال: أفضل ذلك كله! قال: ما هو؟ قال: شعري! فيزعم من يزعم أن زهيرا جاءه الشعر من قبل بشامة بن الغدير.
قال بشامة:

يا قومنا لا تسومونا التي كرهت
إن الكرام إذا ما أكرهوا غشموا
لا تظلمونا ولا تتسوا قرابتنا
إطوا إلينا فقد ما تعطف الرحم
لا ترجعن أحاديثا وتنتهكوا
منا محارمنا قد تتقى الحرم
ولا يكن لكم يا قومنا مثلا
فيما مضى من زمان سالف جلم

وقال أيضا:

إن الخليط أجد البين فابتكروا
لنية ثم ما عاجوا وما انتظروا

زموا الجمال وقالوا: إن مشربكم
ماء بكلية لا ملح ولا كدر
ما كان بينهم إلا مجاهرة
أشفقت منها فماذا زادك الحذر؟
استقبلوا المسقط الشرقي يحفزهم
في السير أشوس فيه الفحش والضجر

نخل المشقر أو ما ربيت هجر
حتى تقطع دون الجيرة البصر
وشواشة سرحا في دفها زور
كما يرض سوادى القرى حجر
كالعذق لا كشف فيه ولا زعر
وأحرز الظل في أعدائه الشجر
حتى إذا ما انتهى أودى به القدر
عنا وهل ينفعم عندنا عذر
وبالقراية والأخرى التي وذروا
يبيض منها إذا ما تذكر الشعر
فإن عندكم من مسنا خبير
إن الندامة تعدو سبقها البطر
يصرى الدماء عليه الصاب والصبر
عند الصباح وفينا جامل عكر

كأن ظعنهم والآل يرفعها
ما زلت أرمقهم في الآل مرتفعا
فاقر الهموم التي نابت مذكرة
تذرى الحصى رثما من تحت منسمها
تمر جثلا على الحاذين ذا خصل
كأن أوب ذراعيها إذا انحدرت
أوب ذراعي لجوج جاد واحدها
فأبلغن قومنا إن جئتهم عذرا
إنا نذكرهم بالله واحدة
حسن البلاء وأياما لنا سلفت
فلا تعدوا علينا الزور وارتدعوا
لا تبطروا السلم واستأنوا بإخوتكم
وإن فينا صبوحا غير ممتزج
فينا فتو وفينا سادة حشد

كم من رئيس فريناه بأجمعها المشرفية حتى يعدل الصعر
وقال أيضا:

والضاربون على ما كان من ألم
مبثوثة كعجيم تر عن جرم
عنا وعنكم وعن من نلق بالرقم
أنفا أشم فأمسى حق مصطلم
منكم عصائب بين العرج والرخم
فيهم أحاديثهم في الناس كالحلم

نحن الفوارس يوم الشعب ضاحية
والمعلمون وعظم الخيل لاحقة
هلا سألت وقول الحق أصدقه
أنا جدعنا بصغر من أنوفكم
يا عام لا تفسد الدعوى وقد تركت
مالت عليهم لغيط غبية بركت

وقال أيضا:

أجدوا على ذي شويس حلولا

ونبتت قومي ولم ألقهم

فإنكم وعطاء الرهان
 إذا جرت الحرب جلا جليلا
 كثوب ابن بيض وقاهم به
 فسد على السالكين السبيلا
 فأبلى أمانث سهم رسولا
 فإما هلكت ولم آتكم
 بأن التي سامكم قومكم
 هم جعلوها عليكم عدولا
 هوان الحياة وخزي الممات
 وكلا أراه طعاما وبيلا
 فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
 فإن لم يكن غير إحداهما
 كفى بالحوادث للمرء غولا
 ولا تهلكوا وبكم منة

والثالث شبيب بن البرصاء، وهو الذي يقول:

أنا ابن برصاء بها أجيب!
 هل في هجان اللون ما تعيب؟

واسمه: شبيب بن يزيد بن حمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة، وأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة.

وقال:

يدل علينا الجار آخر قبله
 وأحلامنا معروفة وسدادها
 وجاراتنا مادمن فينا بعزة
 كاروى ثبير لا يحل اصطياها
 ترى إبل الجار الغريب كأنها
 بمكة بين الأخشيين مرادها
 يكون علينا نقصها وضماها
 وللجار إن كانت تزيد ازديادها

وقال أيضا:

هل عند سعدى ابنة العمري من زاد
 أم هل لعان لديها موثق فادي
 قامت تراءى لنا سعدى فقلت لها:
 ماذا تريدين من قتلي وإقصادي؟
 أبدت ترائب عبلات وسالفة
 وأبديت عبلات وسالفة
 حالي الترائب والذفري عقدن به
 وجيد مغزلة من خير أجياذ
 من لؤلؤ وجمان غير أفراد

تبدو وساوس منها كلما ارتفعت
 هز الجنوب استخفت عشرق الوادي
 في ضامر الكشح والأحشاء تحسبه
 مما تخضد منه طي أسناد
 منها إلى كفل نهد روادفه
 مرتجة كارتجاج الدعص مياد

ووارد كعذوق النخل زينه
 من الجداول لا زعر ولا كادي
 طال اتباعي أمورا ما تجود بها
 حتى يئست فهبني غير مزداد
 ثم استمرت ولم تقض التي وعدت
 لا يهنتنك إذ أخلفت ميعادي
 دعها لشأنك وانظر أنت كيف ترى
 شأن أمرأين ذوي مال وأولاد
 إني امرؤ لي رواب لا يشققها
 سيل الأتي ولا تسطاع أو تادي
 إن المكارم والأحساب عودها
 من آل مرة: أعمامي وأجدادي
 أنا ابن عوف! ومني، إن فخرت بهم
 بنو سنان ومسعود بن شداد
 وقال أيضا:

ماذا تلمس سلمى في معرسنا؟
 كر الغريم لدين كان قد وجبا
 أوكر صاحب ذي الأوجاع مسنده
 إذا تأوه ألقى فوقه الهببا
 ألم تكن زعمت بالله مسلمة؟
 ولم تكن هي مما قضت الأربا
 فلا يحل لسلمى أن تؤرقنا
 بعد المنام ولو كنا لها نصبا
 وقال أيضا:

كأن ابنة العذري يوم بدت لنا
 بواد القرى، روعى الجنان سليب
 من الأدم ضمته الحبال فأفلتت
 وفي الجسم منها علة وشحوب
 حدثني أبو عبيدة قال: خطب شبيب بن البرصاء إلى نهر بن علي بن جابر، أحد بني غيظ بن مرة، فقال:
 نعم أزوجك. قال شبيب: أوامر أخي. فقال: أتؤامر رجلا في تزويجك! والله لا أزوج رجلا لا يملك أمره!
 فقال شبيب:

لعمر ابنة المرى! ما أنا بالذي
 له أن تتوب النائبات ضجيج
 وقد علمت أفناء مرة أنني
 إلى الضيف قوام السنات خروج
 وإني لأغلى اللحم نيا وإني
 لممن يهين اللحم وهو نضيج
 إذا المرضع العوجاء باتت يعزها
 على ثديها ذو ودعتين لهوج

والرابع: قراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزي ابن صبيح بن سلامة بن مرة.
 قال محمد بن سلام: فحدثني أبو عبيدة قال: كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر

جيده، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه فتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى، ادعى هذه الأبيات:

إن الرزية لا رزية مثلها
ما تبتغي غطفان يوم أضلت
إن الركاب لتبتغي ذا مرة
بجنوب نخل إذا الشهور أحلت
ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا
نهلت من العلق الرماح وعلت
ينعون خير الناس عند كرية
عظمت مصيبتهم هناك وجلت
فوارس كالنيران يحمون نسوة
عقائل لم يدنس بيض المحاجر
إذا ما نسين ينتسبن إلى الذرى
لبدر بن عمرو أو لعمرو بن جابر
وعودن أن يعبان حصا وفارة
وعودن من سعد بن ذبيان كلها
ولا من موالها حميس بن عامر

الطبقة التاسعة

رجاز، منهم: الأغلب العجلي، وكان مقدا، يقال إنه أول من رجز.
وأبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة بن عبيد بن محمد بن عبيد الله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل.
والعجاج، واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن عمرو بن حني بن ربيعة سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.
ورؤبة بن العجاج.

قال محمد بن سلام، حدثني الأصمعي قال: كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز فقال:

قد عرفنتي سرحتي وأطت
وقد شمطت بعدها واشمطت

قال: فاعترض له رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو ابن كعب بن سعد، فقال له:

قبحت من سالفة ومن قفا
شيخ إذا ما رسب القوم طفا

كما شرار الرعي أطراف السفا

قال: وأنشدنا للأغلب في سجاح، لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

قد لقيت سجاح من بعد العمى!
تاح لها بعدك حزاب وزبي

مثل الفنيق في شباب قد أنى
ليس بذى واهنة ولا نسا
حتى شتا تنتح ذفراه الندى
كأنما جمع من لحم الخصي
كأن عرق أيره إذا ودى
يمشي على قوائم خمس خسا

قال: حديثا لم يغيرني البلى
فانتشغت فيشته ذات الشوي
ما زال عنها بالحديث والمنى
قال: ألا ترينه؟ قالت: أرى!
فشام فيها مثل محراث الغضى
لمثلها كنت أحسيك الحسى
وقد تطلت حين هما وأدى
تقذف عيناه بعلك المصطكى

قال: وحدثني أيضا أنه كان يقول إن هذه القصيدة في الجاهلية لجشم بن الخزرج.
وقال أيضا:

بجحفل جم الوغى من وائل
في ديلم يزحف بالقنابل
ومن بني شيبان غير خامل
تحت قتام الغبر القساطل
وعدد كالدبر غير جافل

لا يملك الناس لها تغييرا

ملوحا في العين مجلوز القرا
من اللجيميين أصحاب القرى
نشا بخبز وبلحم ما انتهى
خاطي البضيع لحمه خطا بظا
إذا تمطى بين برديه صأى
حبل عجوز ضفرت سبع قوى
يرفع وسطاهن من برد الندى
قالت: متى كنت أبا الخير؟ متى؟
ولم أفارق خلة لي من قلبي
كأن في أجيادها سبع كلى
والحلف السفساف يردى في الردى
قال: ألا أشيمه؟ قالت: بلى!
تقول لما غاب فيها واستوى:
يبرى لها كينا كأطراف النوى
من طيب مصان الذي كان اشترى

نحن وردنا وادى جلاجل
عند اختلاف الأسل النواهل
في جذم عجل في العديد الذائل
والخيل تعدو بالوشيح الذابل
في حسب بخ وقبص كامل

وقال أيضا:

إن لنا شابكة وعورا

ولم يجد مجاور مجيرا

وشزب قد طويت شهورا

يهوين بالمستلئمين زورا

نحن إذا الداعي دعا ثورا

قمنا بحد لم يكن عثورا

حتى انطوت أقرابها ضمورا

فهي تباري منهبا طحورا

الثاني: أبو النجم. فحدثني أبي سلام قال: دخل أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك فقال: كيف رابك يا أبا النجم في النساء؟ قال: ما هن عندي خير، وما أنظر إليهن إلا شزرا، ولا ينظرن إلى إلا خزرا. قال: فما ظنك بأمر المؤمنين؟ قال: ظني بنفسي! قال: لا علم لك يا أبا النجم. ثم أرسل إلى جوار له، فسألن عما ظن أبو النجم. فقلن: يا أمير المؤمنين، وما علم هذا؟ ثم أقبلن على أبي النجم، فقلن له: يا أعرابي، أتقول هذا لأمر المؤمنين، وليس منا امرأة تصلي إلا بغسل منه؟ فقال هشام: يا أبا النجم، دونك هذه الجارية - لواحدة منهن - فأخذ بيدها، ثم أمره أن يغدو عليه بخبرها، فغدا عليه ولم يصنع شيئا. فلما رآه قال: ما صنعت يا أبا النجم؟ قال: ما صنعت شيئا ولقد قلت في ذلك شعرا، قال: وما هو؟ قال: قلت:

من حسنه ونظرت في سرباليا

وعثا روادفه وأختم ناتيا

كالقعب أوصرح يرى متجافيا

رخوا حمائله وجلدا باليا

أهدي إليه عقاربا وأفاعيا

لو قد صبرتك للمواسي خاليا

أظننت أن حر الفتاة ورائيا

أبد الأبيد ولو عمرت لياليا

كان الغرور لمن رجاه شافيا

نظرت فأعجبها الذي في درعها

فرأت لها كفلا ينوء بخصرها

ضيقا يعرض بكل عرد ناله

ورأيت منتشر العجان مقبضا

أدني له الركب الحليق كأنما

إن الندامة والسدامة فاعلمن

ما بال رأسك من ورائي خالفا

فاذهب فإنك ميت لا ترتجى

أنت الغرور إذا خبرت وربما

قال: فضحك هشام، وأمر له بجائزة.

وقال أيضا:

أعطي فلم يبخل ولم يبخل

تبقلت من أول التبتل

الحمد لله الوهوب المجزل

كوم الذرى من خول المخول

بين رماحي مالك ونهشل

يدفع عنها العز جهل الجهل

يريد: مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ونهشل بن دارم. ويروى عن أبي النجم أنه قال: "بين رماحي دارم" وهم حي من بني تيم الله بن ثعلبة، ونهشل من بني عجل.
قال: وكان أبو النجم ربما قصد فأجاد، ولم يكن كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا، وكان صاحب فخر وبذخ وهو الذي يقول:

علق الهوى بحبائل الشعثاء

والموت بعض حبائل الأهواء

ليت الحسان إذا أصبن قلوبنا

بالداء جدن بنعمة وشفاء

لشم عندي بهجة وملامة

وأحب بعض ملاحاة الذلفاء

وأرى البياض على النساء جهارة

والعتق تعرفه على الأدماء

والقلب فيه لكلهن مودة

إلا لكل دميمة زلاء

فلئن فخرت بوائل لقد ابتنت

يوم المكارم فوق كل بناء

ولئن خصصت بني لجيم إنني

لأخص مكرمة وأهل غناء

قوم إذا نزل الفظيع تحملوا

حسن الثناء وأعظم الأعباء

ليست مجالسنا تقرر لقائل

زيغ الحديث ولا نثا الفحشاء

محمد بن سلام، عن يونس - وحدثني أبي سلام ببعض هذا الحديث -، قال: اجتمع شعراء العرب عند سليمان بن عبد الملك فأمرهم أن يقول كل رجل منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب. ثم جعل لمن برز عليهم جارية مولدة. فأنشدوه، وأنشد أبو النجم حتى أتى على قوله:

عدوا كمن ربع الجيوش لصلبه

عشرون وهو يعد في الأحياء

فقال سليمان: أشهد، إن كنت صادقاً، إنك لصاحب الجارية! فقال: أبو النجم: سل الملاء عن ذلك يا أمير المؤمنين. قال الفرزدق: أما أنا فأعرف منهم ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة، كلهم قد ربع. فقال سليمان: ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية.
وقال أبو النجم في نعت الفرس:

في ذي شكيم عضه يرمله

ثم تناولنا الغلام ننزله

عن متن سامي الطرف ما يعلله

والسوط في يمينه ما يعمله

يجول في أشطانه ويسعله
تعمج الماء يفيض جدوله
فوافت الخيل ونحن نشكله
كل مكب الجري أو منعتله
والضرب يحشوها بربو تسعله
والجن عكاف به تقبله
وهو نشيط النفس حر ظلله

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازة، عن محمد بن سلام قال، قال أبو عمرو بن العلاء:
"كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج" "الأغاني".
أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال، قال عامر بن عبد الملك المسمعي: "كان رؤبة وأبو النجم
يجمعان عندي، فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفه عنه" "الأغاني".
والثالث: العجاج. وإنما اكتفينا من نسبة، لشهرة اسمه وبعد ذكره، وأنا لم نجد شاعرا له اسمه غيره، وكما
قال الشاعر:

أحب من النسوان كل قصيرة
لها نسب في الصالحين قصير

يقول: تعرف بأبيها الأذن، لشرف أبيها وشرفها.
قال محمد بن سلام الجمحي، فحدثني أبو الغراف قال: لما توجه عمر بن عبيد الله بن معمر إلى أبي فديك
الشاري امتدحه العجاج فقال:

قد جبر الدين الإله فجبر
وعور الرحمن من ولى العور

يعني أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وذلك أنه توجه إلى أبي فديك فهزمه. فكتب في ذلك إلى عبد
الملك بن مروان، فقال لعمر بن عبيد الله بن معمر: رأيتك لو كان بين عيني وتد أكنت تترعه؟ قال: نعم،
والله يا أمير المؤمنين! قال: فهذا أبو فديك وتد بين عيني، فأخرج إليه. قال: أعفني يا أمير المؤمنين. فلما
أبي عليه قال: ارفع إلينا ما جرى على يديك من خراج فارس. فأقر له بالخروج فتلقيه العجاج وهو
متوجه إلى أبي فديك، فلما قال:

هذا أوان الجد إذ جد عمر
وصرح ابن معمر لمن ذمر

قال عمر: لا قوة إلا بالله. فلما قال:
لا قدح إن لم تور ناراً بهجر
ذات سنا يوقدها من افتخر
قال عمر: توكلت على الله، ولن أدع جهدا. فلما قال:

شهادة فيها ظهور من طهر

فكأن عمر تطير من ذلك، ثم قال: ما شاء الله.
وقال العجاج:

يارب رب البيت والمشرق
إياك أدعو فتقبل ملقى
إننا إذا حرب غدت لا نتقى
نرد حد الناب منها الأروق
فقد علمته عصبة المروق
والحمس قد تعلم يوم ملزق
بالمشرفيات افتخار الأحمق

"شؤبوب" و "خندق"، "رجلان"، و "الحمس"، يعني قريشا.
وقال أيضا:

والحمد لله العشى والضحي
أسأل رب الناس هديا بالهدى
بل لو سألت خابرا عما أتى
وجمع عبد القيس إذ لاقى ثأبي
لاقي جوادا فعلاه إذ جرى
وبينما هم ينظرون المنقضي
مثل جراد الدبر من كل لوى
ساط إذ ابتل رقيقاه ندا
كالكر لاشخت ولا فيه لوى
جرداء سرحوب إذا باعت ردى
أضر بالخيال الغوار فانطوى
مستقدّمات جحفا جم الوغى
ذالجب يسرح من حيث اغتدى

والحمد لله فما شاء أتى
هو الذي أنزل آيات النقي
عن جمع بكر إذ حساما قد حسا
ضايفا علينا وسعى حيث سعى
وعن فوق شأوه حتى ارعوى
منا إذا هن أراعيل ربي
من كل شقاء ومنشق النسا
شديد جلز الصلب معصوب الشوى
وطرفة نبرى له إذا انبرى
نأى ولن يسبقها وإن نأى
منها الكشوح فهي أمثال النوى
كثير مجرى المقربات والحصا
حتى توارت شمسه وما انقضى

حيران لا يشعر من حيث أتى

ينكر ذو الحاجة منه ما ابتغى

غرق في القمقام أم لاقى هوى

عن قبص من لاقى أخاس أم زكا

والرابع: رؤية بن العجاج، ويكنى أبا الجحاف، وهو أول من قال في تقصير الاسم، وتخفيف عدد النسب، فقال:

باسمي إذا الأسماء طالت يكفني

قد رفع العجاج ذكري فادعني

ورؤية أكثر شعرا من أبيه. وقال بعضهم: إنه أفصح من أبيه. ولا أحسب ذلك حقا، لأن أباه قد أخذ عليه في قصيدته التي أولها:

مشتبه الأعلام لماع الخفق

وقاتم الأعماق خاو المخترق

يكل وفد الريح من حيث انخرق

ثم قال فيها:

مضبورة قرواء هرجاب فنق

فضم، وأولها مفتوح.

وقال أيضا يمدح سلم بن قتيبة الباهلي:

على عدي أوبقهم إبليس

يا سلم أعلى كعبك القدوس

أصلاهم ما تصطلي المجوس

يوم بني المهلب البئيس

ملمومة ذفراء درديس

إذ صبحتهم فيلق رجوس

جرت بذاك اللجم العطوس

وصبحت سفيانها النحوس

فلا يحس منهم حسيس

فصحتهم برحا ملطيس

أن امرءا حاربكم ممسوس

قد علم العالم والقسيس

بكم يداوي الفقم الشخيس

بئس الخليط الجرب المدسوس

وهذه طويلة وقال فيه أيضا:

حقا وأنت المسلم الحنيف

يا سلم قد عرفك التعريف

وقال أيضا:

حيا عروقا في الثرى وثمر

يا سلم يا ابن الأكرمين شجرا

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى، عن محمد بن سلام، عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر قالوا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم، فاجتمعنا يوماً، فقطعنا الطريق، ومرت بنا عجوز، فلم تقدر على أن تجوز في طريقها، فقال رؤبة:

تنح للعجوز عن طريقها **إذ أقبلت رائحة من سوقها**

دعها فما النحوي من صديقها

أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلام، عن يونس قال: غدوت يوماً، أنا وإبراهيم بن محمد العطاردي، على رؤبة، فخرج إلينا كأنه نسر، فقال له ابن نوح: يا أبا الجحاف، أصبحت والله كقولك:

كالكرز المشدود بين الأوتاد **ساقط عنه الريش كر الإبراد**

فقال له رؤبة: يا ابن نوح ما زلت لك ماقنتا! فقلت: بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر:

فأبقين منه وأبقى الطرا **د بطنا خميصا وصلبا سميئا**

فضحك وقال: هات حاجتك.

قال ابن سلام: ووقف رؤبة على باب سليمان بن علي يستأذن، فقبل له: قد أخذ الإذريطوس. فقال رؤبة:

يا منزل الوحي على إدريس **ومنزل اللعن على إبليس**

وخالق الاثنين والخميس **بارك له في شرب إذريطوس**

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلى، عن محمد بن سلام، عن عبد الله بن محمد بن علقمة الضبي قال: خرج شاهين بن عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعدهوا يلعبون بالنرد، فلما أتوا بالخوان قال رؤبة:

يا إخوتي جاء الخوان فارفعوا **حنانة كعابه تققع**

لم أدر ثلاثها والأربع

قال: فضحكنا ورفعنا، قدم الطعام.

وقال ابن سلام، عن يونس قال لي رؤبة: حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك؟ أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك!!.

الطبقة العاشرة

أربعة رهط: مزاحم بن الحارث العقيلي ويزيد بن الطثرية، والطثرية أمه: وهو يزيد بن المنتشر، أحد بني عمرو بن سلمة بن قشير. والطثرية، نسب إلى حي من قضاة يقال لهم: طثرة، فنسب إليها.

وأبو داود الرواسي، أحد بني رواس بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة.
والقحيف بن سليم العقيلي.
قال محمد بن سلام، فحدثني أبو عبيدة: أن مزاحم بن الحارث العقيلي كان رجلا غزلا، وكان شجاعا،
وكان شديد أسر الشعر حلوه، وكان مع رقة شعره صعب الشعر هجاء وصافا.
وقال في يوم أغار عليهم دهر الجعفي في قبائل مذحج وهمدان، ومعه علقمة الجعفي، فسبوا وغنموا،
وأصابوا إبلا كثيرة، فاتبعتهم بنو كعب ثلاثا، ثم رجع بعض القوم، ومضى عقال بن خويلد في بني عقيل،
فجعل يندى أبعاد الإبل ببوله، ثم يرى أصحابه البعر نديا، ويقول لأصحابه: ما أقربكم منهم! حتى ورد
عليهم النخيل في يوم قائظ، ورأس دهر في حجر جارية من بني بجلة تفليه متوسدا قطيفة، فكأن الجارية
أحست نفسها بالطلب، فجعلت تضفر شعره بمذب القطيفة، فلم ينتبه إلا بالخيل. فكان أول من لقي
دهرا هبيرة بن النفاضة، فضرب وجهه دهر بقوسه، فهشم وجهه، ولحقه عقال بن خويلد قطعنه فشر
بطنه، فسال من بطنه البرير مطبوخا، فقتلت جعفي ومن معها في ذلك الجيش، وهزمت هزيمة فاحشة،
فقال مزاحم بن الحارث في ذلك اليوم:

يقدمهم عاري الأشاجع أروع	منا الذين استنشطوا الأمر جهرة
له منذ ولى يسحج السير أربع	على أثر الجعفي دهر وقد أتى
جلود المهاري بالندى الجون تنتع	بسير طراحي ترى من نجائه
جبال وليل والنجائب تفرع	فما ذاق طعم النوم حتى تفرجت
سوام وسبي من سليم موزع	عن الحي من عليا حريم وفيهم
جنان وما يغتاله الدهر يفجع	طلوع نجاد القوم ما يستفزه

وقال أيضا:

متى عهده بالظاعن المحتمل	خليلي عوجا بي على الربع نسأل
على عبرة أو ترق عين معول	فإن تعجلاني بانصراف أهجما
بها الريح جولان التراب المنخل	فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت
وأمت قوى بين الحصير ومحب	وما هاجه من دمنة بان أهلها
متى ما يراجع ذكرها القلب يجهل	ألا لا تذكرني أميمة إنه
تتبع مني كل عظم ومفصل	وتعلم ريعات الهوى أن حبها

كما تبعت صرف عقار مدامة
 ومشااش المرورى ثم لما تنصل
 ويوم تلافيت الصبا أن يفوتني
 بصهباء تطوي نففن البعد عنسل
 تلاعب حاذيها وتطرح الشذا
 بأصهب ضاف سابغ المتذيل
 تنيف به طورا وطورا تخاله
 مخاريق بالأيمان أو نفع مشمل
 لها ورك كالجوب شدت فقاره
 حبت قدما ما في ممكن الخلق مكمل

وله:

كأنني وعبد الله لم تسر بيننا
 أحاديث يثنى سالف الدهر لينها
 ولم نطلب دون الحجون ظعائنا
 تبارى بها أدم المهارى وجونها
 ظعائن من عليا نمير بن عامر
 مصححة الأجساد مرضى عيونها

تتكرن من أنسى فلما عرفني
 بدت كل مبهاج أغر جبينها
 وقلن: اعجلا لا عين نخشى وأبشرا
 بليلة سعد غاب عنها ظنونها
 فجننا كما انقض القرينان أشرفا
 على خلوة ناء من الحي بينها
 فبتنا ندامى ليلة لم نذق بها
 حراما ولم ييخل بحل ضنينها
 صفاحا بأيمان نرى أن مسها
 شفاء الصدى من غلة طال حينها
 وبتنا وأيدينا وساد وفوقنا
 رباط وعالي بركة لانصونها
 فلما بدا ضوء من الصبح ساطع
 عصى خلة لم ينج إلا قرينها
 بدت زفرات الحب من كل وامق
 ومحجوبة لم تعط صبرا بعينها
 فأصبحن صرعى في الحجال وأصبحت
 بنا العيس بالموماة جعدا لجينها

والثاني: يزيد بن الطثرية. قال محمد بن سلام، حدثني أبو الغراف قال: كان يزيد بن الطثرية صاحب غزل ومحاذثة للنساء، وكان ظريفا جميلا، ومن أحسن الناس كلهم شعرة. وكان أخوه ثور رجلا سيذا كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكا كثير الحج والصدقة. وكان كثير الملازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يلم بالحي إلا وقعة، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد بن الطثرية فتسقى على عينه. فبينما يزيد مارا في الإبل وقد صدرت عن الماء، إذ مر بجباء فيه نسوة من الحاضر، فلما رأينه قلنا: يا يزيد، أطمعنا لحما.

قال: أعطيني سكيناً. فأعطينيه، فنحر لمن ناقة من إبل أخيه. وبلغ الخبر أخاه، فأقبل، فلما رآه أخذ بشعره وفسقه وشتمه، فأنشأ يزيد يقول:

ياثور ولا تشتمن عرضي فذاك أبي
فإنما الشتم للقوم للعواوير
ما عقر ناب لأمثال الدمى خرد
عون كرام وأبكار معاصير؟
عكفن حولي يسألن القرى أصلاً
وليس يرضين مني بالمعاذير
هبهن ضيفا عراكم بعد هجعتكم
في قطط من سقيط الليل منثور
وليس قربكم شاء ولا لبن
فيرحل الضيف عنكم غير محبور؟
ما خير واردة للماء صادرة
لا تتجلي عن عقير الرجل منحور؟

وقال أيضا في امرأة كان يتحدث إليها ويعجب بها، فبينما هو عندها، إذا حدث لها سواه قد طلع عليها، ثم جاء آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن، فقال:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم
له عند ليلي دينة يستدينها
فألقيت سهمي وسطهم حين أوخشوا
فما صار لي من ذاك إلا ثمينها
وكننت عزوف النفس أنشأ أن أرى
على الشرك م ورهاء طوع قرينها
فيوما تراها بالعهود وفية
ويوما على دين ابن خاقان دينها
يدا بيد من جاء بالعين منهم
وإن لم يجئ بالعين حيزت رهونها

وقال فيها وقد صارمها:

ألا بأبا من قد برى الجسم حبه
ومن هو موموق إلى حبيب
وإني وإن أحموا على كلامها
وليس يرى إلا عليه رقيب
لمثن على ربا ثناء يزينها
وحالت أعاد دونها وحروب
أريا! احذري نقض القوى لا يزل لنا
قواف بأفواه الرواة تطيب
وكوني على الواشين لداء شغبية
على النأي والهجران منك نصيب
فإن خفت أن لا تحكمي مرة القوى
كما أنا للواشي ألد شغوب
فردي فؤادي والمرد قريب

والثالث: أبو دواد الرواسي. قال محمد بن كعب ونمير بن عامر، فلم يقيم لهم بنو عقيل، وجعلت نمير تسرف عليهم. فلما رأت ذلك بنو كعب وبنو كلاب وما تلقى عقيل من بني نمير، أجمعوا على قتال بني

نمير. فارتحلت نمير ليلحقوا ببني سعد بن زيد مناة، فلحقتهم كلاب فردتهم، وتحملوا ما كان لهم من دم في بني كعب، ووهبوا لهم ما كان فيهم، فقال أبو داود:

دفعنا والأحبة من دفعنا
وكننا ملجأ لبني نمير
حوينا حجرنا لهم فحلوا
إلينا بعد تظعان وسير

وكان الرأس يوم قراض منا
وفاين ذهب العمى وأمنتموهم
صديق كلما كنتم بشر
ومنا الرأس يوم أبي عمير
فلا تستبدلوا أخيال طير
وأعداء إذا كنتم بخير

وقال أيضا في وقعتهم بمذحج:

الأهل أذاك ما لقيت قنان
وما لقيت بنو الديان منا
أتانا أن بالخرماء منهم
وأن بها قراضبة غساسا
فوجهنا كتائب غير ميل
وأفلتنا المحجل في صلاه
وغادرنا بني الديان صرعى
فغودر منهم لما التقينا
أبو خلف وصاحبه ووهب
وذو الرمحين أحمر قد آتاه
تنادوا نحونا ودعوت قومي
فآب لنا شريك حيث أبنا
فأنعمنا هناك على شريك

وقال أبو دواد أيضا:

لليلة خيال قل ما يتعرج
يهيج من أحزاننا ما يهيج

يؤرق أصحابي وبينها وبينها
وعهدي بها والدار تجمع أهلها
تواصل أحيانا وتصرم تارة
كأنا توافينا مع الليل مغزل
تظل بأجزاء المرير مرية
فإن تك أضحت بعد ساكن غبطة
فكل جميع صائر لتفرق
ونحن منعنا بطن مج وحائل
بحي حلال لا تكاد تجيرهم
نقاذف بالأسياف عبسا وطينا
بعزو كولغ الذئب غاد ورائح
بكل جواد مشرف حجباتها
ونحن حبسنا الجيش عنا وقد بدا
فما انصرفوا بقيا ولكن نهاهم
وقد سد فيف الريح جاواء فيلق
ونحن أباة الخسف في كل موطن
فتلك نمير ثم لم تغن نقرة
ولما رأينا أنما سعينا لنا
وكنا بني أم حمينا ذمارنا
سيخبر عن أيامنا وبلائنا

مناكب رعم فالنبايح فأخرج
لها مقلتا ريم وخلق خدلج
وشر الأخلاء الخليل الممزج
من الأدم جماء المدامع عوهج
وسال عليها من فجيرة أشرج
بها العين ترعى والظليم السفنج
وكل جديد لا محالة منهج
وأبلى من الأعداء حتى تفرجوا
وضاج ونفؤ والبطاح فمنعج
وقد أحجمت عنا تميم ومذحج
وسير كصدر السيف لا يتعزج
تشاركت الرعشاء فيها وأعوج
لهم نعم حوم بعثران محدج
حصيفان منهم حاسر ومدجج
وألفان أو ألف من الرجل يدرج
إذا كان يوم ذو كواكب مرهج
وقالت: هلا أهل إليكم مولج
وقد يفلح الساعي المجد ويفلج
ولم يك فينا العاجز المتزلج
وشداتنا في الحرب حدج وحنج

"حدج" و "حنج"، ابنا البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

والرابع: القحيف. قال محمد بن سلام، حدثني أبي سلام قال: كان القحيف خرج زائرا لإبراهيم بن عاصم العقيلي، فبعث الأشهب بن كليب العقيلي إلى إبراهيم بن عاصم رسولا يخبره أن القحيف قد هجاه وأساء القول فيه، ليحرمه وليقصيه. ففعل. فقال القحيف:

متى ما تحط خبرا بنا يا ابن عاصم
تجد لي رجالا من بني العم حسدا

وما ذاك عن ذنب إليهم جنيته
وقال القحيف في يوم الفلج، حين جاءهم صريخ بني كعب ابن ربيعة على بني عجل:

ديار الحي تضربها الطلال
وأجذم ذبها عودا وبدءا
من الخافي بها أهل ومال
بدفيه تعبقت السخال

بها الفدر الرياد وكل هقل
أما ومعلم التوراة موسى
لقد كانت تودك أم عمرو
أتانا بالعقيق صريخ كعب
ثلاثا ثم وجهنا إليهم
وحالفنا السيوف وصافنات
بنات بنات أعوج طامحات
شعير زادها وفتيت قت
وكر دست الحريش فعارضونا
وسالت من أباطحها قشير
نقود الخيل كل أشق نهد
تكاد الجن بالغدوات منا
فبتن على العسيلة ممسكات
فلما شق أبيض ذو حواش
صبحناهم نواصيهن شعنا
فلما جددت مئتان منهم
وصاروا بين ممتن عليه
تكفنه حنيفة بعد حول!
أمنكم يا حنيف! نعم لعمرى

كبيت الرفقة احترقوا فقالوا
ومن صلى وصام له بلال
بذات الصدر إذ نسي الخلال
فحن النبع والأسل النهال
رحى للموت ليس لها ثقال
سواء هن فينا والعيال
مدى الأبصار جلتها الفحال
ومن ماء الحديد لها نعال
بخيل في فوارسها اختيال
بمثل أتى ببيشة حين سالوا
وكل طمرة فيها اعتدال
إذا اصطفت كتائبنا تهال
لهن غدية رهج جفال
له حال وللظلماء حال
بهن حرارة وبنا اغتلال
وفر حنانهم عنه فزالوا
ومنصوب له جذع طوال
وكيف يكفنون وقد أحالوا؟
لحي مخضوبة ودم سجال!

صياح البيض تقرعها النصال
بفرسان الصباح قطا رعال

ولولا الريح أسمع أهل حجر
كأن الخيل طالعة عليهم

وقال أيضا:

وماء قد يظل على جباه
جعلت عمامتي صلة لدلوى
لأسقى فتية ومنفهاات
ركبناها سمانتها فلما
صبحناها السياط محدرجات

الفهرس

15	طبقات الشعراء الجاهليين
15	الطبقة الأولى
26	الطبقة الثانية
32	الطبقة الثالثة
36	الطبقة الرابعة
38	الطبقة الخامسة
40	الطبقة السادسة
41	الطبقة السابعة
42	الطبقة الثامنة
44	الطبقة التاسعة
50	الطبقة العاشرة
53	طبقة أصحاب المراثي
57	شعراء القرى العربية
62	شعراء مكة
68	شعراء الطائف
71	شعراء البحرين
73	شعراء يهود
76	طبقات الشعراء الإسلاميين
76	الطبقة الأولى
137	الطبقة الثانية
146	الطبقة الثالثة
148	الطبقة الرابعة
150	الطبقة الخامسة
161	الطبقة السادسة

170.....	الطبقة السابعة
178.....	الطبقة الثامنة
185.....	الطبقة التاسعة
192.....	الطبقة العاشرة
200.....	الفهرس

To PDF: www.al-mostafa.com